البراهين المرصعة

في كشف حال الحدادية والمميعة

إعداد

أبو عبد الرحمن كمال بن خميسي العنابي

قدم له فضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

دار الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

البراهين المرصعة

في كشف حال الحدادية والمميعة

البراهين المرصعة

في كشف حال الحدادية والمميعة

إعداد

أبو عبد الرحمن كمال بن خميسي العنابي

قدم له فضيلة الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

حقوق الطبع محفوظة

للمؤلف

1436هـ - 2015م

الطبعة الأولى لدار الميراث النبوي

طبع بإذن المؤلف

العلم ميراث النبي كذا أتى … في النص والعلماء هم وراثه

ما خلّف المختار غير حديثه … فينا فذاك متاعه وأثاثه

رقم الإيداع القانوني: **2015-1851**

ردمك: **978-9947-48-101-0**

دار الميراث النبوي

للنشر والتوزيع

القبة القديمة البحري - المحمدية - الجزائر العاصمة

الجوال: 554250098 (00213) تلفاكس: 26936739 (00213)

البريد الإلكتروني: dar.mirath@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله وآله وصحبه.

وبعد:

لقد اطلعت علىٰ هذا البحث للأخ كمال بن خميس العنابي -وفقه الله-، وقرأ عليَّ شيئًا من بحثه، وهو مفيد في بابه، اعتمد علىٰ النصوص وأقوال علماء السلف؛ وفقه الله.

وحريٌّ بمثل هذا البحث أن يُنشر ليستفيد منه الباحثون، وتحتاجه المكتبة الإسلامية.

قاله وكتبه

محمد بن رمزان الهاجري

٤ ذو الحجة ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه

لقد اطلعت على هذا البحث للأخ كمال بن حسين الصابري وفقه الله وقرأت شيئاً من بحثه وهو مفيد في بابه المشتمل على النصوص وأقوال علماء السلف وحري بمثل هذا البحث أن ينشر ليستفيد منه الباحثون وتحتاجه المكتبة الإسلامية.

قاله وكتبه

محمد بن أحمد الطاهري

ذو الحجة ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعةٌ، وكل بدعة ضلالةٌ، وكل ضلالة في النار.

وبعد: فإن مما يميز دعوة الكتاب والسنة علىٰ فهم الرعيل الأول، هو وضاءة طريقتها، وصفاء عقيدتها، ووضوح منارة دعوتها، كما جاء في حديث

أبي الدرداء ﷺ قال: «خرج رسول الله ﷺ علينا، فقال: **وايم الله، لأتركنكم علىٰ مثل البيضاء، ليلها كنهارها سواء**، فقال أبو الدرداء: صدق الله ورسوله، فقد تركنا علىٰ مثل البيضاء»[(١)].

وعن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد تركتكم علىٰ بيضاء نقية، ليلها كنهارها، لا يزيغ بعدي عنها إلَّا هالك**»[(٢)].

ولقد كان لهذه الوصايا النبوية وغيرها من الوصايا السُّنية بالنسبة للصحابة الحصن الحصين من شرور البدع والضلالات، وهذا ما جعل عصرهم يتسم بقلة الفتن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصحابة ﷺ كانوا أقل فتنًا من سائر مَن بعدهم، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كَثُر التفرق والخلاف...»[(٣)].

وأما بعد ذهاب هذه القرون المفضلة، فقد بزغت ضواري الفتنة، وظهرت النِّحل، والمقالات الضَّالة ممن استحوذ عليها الشقاء، فانصرفت عن الرشد، واستولىٰ عليها البغي، فحال بينها وبين الإنابة مثل: الخوارج، والمرجئة، والقدرية، والجهمية، والروافض ...

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٦)، وصححه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (رقم٤٧).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٧)، وصححه الشيخ الألباني في «ظلال الجنة في تخريج السنة» (رقم٤٨).

(٣) «منهاج السنة» (٦/ ٢٣١).

ومما هو معلوم أن الله تعالىٰ قد تكفل بحفظ دينه وبقائه إلىٰ أن يرث الأرض ومن عليها، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

وقد بيَّن رسول الله ﷺ وسائل حفظ الدين، وذلك في حديث المغيرة بن شعبة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، حتىٰ يأتي أمر الله وهم ظاهرون**»(١).

وأيضًا أخبر النبي ﷺ بأنه بعد كل فترة يقيض الله لهذه الأمة من يجدِّد لها دينها، فجاء عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالىٰ يبعث لهذه الأمة علىٰ رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها**»(٢).

والحمد لله فقد صدق الله ورسوله، وحفظ الدين بعلماء هداة مجددين، ذبوا عن الإسلام، وناضلوا عن ذماره، كما تشهد بذلك آثار علومهم الماتعة من تقييد المصنفات والكتب في بيان العقائد الصحيحة، ورسم طريقة السلف الواجب سلوكها، وبيان حال المخالفين، وكشف أسرارهم، وهتك أستارهم، ومن تلك الآثار السلفية:

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٦٨٨١)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٩٢١).
وفي الباب قد وردت أحاديث كثيرة عن الصحابة.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (رقم٤٢٩١)، والبيهقي في «السنن والآثار» (ص٥٢)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم٥٩٩).

«أصول السنة» للإمام المبجل أحمد بن حنبل، و«الإبانة الكبرىٰ والصغرىٰ» للإمام ابن بطة العكبري، و«الشريعة» للإمام الآجري، و«السنة» لحرب الكرماني، و«الرد علىٰ الجهمية» لعثمان بن سعيد الدارمي، و«التوحيد» للإمام ابن خزيمة، و«الإيمان» للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، و«السنة» للإمام ابن أبي عاصم، و«شرح السنة» للإمام البربهاري، وغير ذلك من المصنفات الجليلة المفيدة، التي تهدف للدفاع عن حمىٰ الإسلام النقي من دسائس الدخلاء، والملوثين لصفائه، ومن تشغيب المندسين بين صفوفه ممن دأبهم بث المكائد والمصايد، وإثارة نقع الفتنة، ودس الشُّبه والسموم.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وكلما أظهر الشيطان بدعة من هذه البدع وغيرها، أقام الله لها من حزبه وجنده من يردها ويحذر المسلمين منها، نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأهل الإسلام، وجعله ميراثًا يعرف به حزب رسول الله ﷺ وولي سننه من حزب البدعة وناصرها»[1].

وحزب البدعة وأتباع الغي إنما يرتبط ظهور أمراضهم القاتلة بأسباب تتهيأ لهم، التي منها:

١- حلول القوارع بالدول، وهبوب مضلات الفتن القاتمة علىٰ الأمة:

باضطراب الزمان ترتفع الأنـ ذال فيه حتىٰ يعم البلاء
وكذا الماء راكد فإذا حرك ثارت من قعره الأقذاء

(١) «حاشية ابن القيم علىٰ سنن أبي داود» (١٢/ ٤٥٦).

٢- قلة العلم بالسنة، وفشو الجهل.

قال العلامة الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن أصل حدوث الفرق، إنما هو الجهل بمواقع السنة، وهو الذي نبه عليه الحديث: (**اتخذ الناس رؤساء جهالًا**)»[١].

وإن مما يتفطر له قلب كل ناصح غيور علىٰ منهج الكتاب والسنة اليوم، ما يراه من حال نكوص شباب كانوا علىٰ السنة، فتلوثت أفكارهم، وتغيرت أحوالهم، فتورطوا في مهاوي الهلكة، إما بالثورة علىٰ علماء السنة بالقدح والبهتان، وإما بوضع تأصيلات تميع ثوابت المنهج السلفي، وكشأن أهل الأهواء، فإن الجميع يتفق علىٰ معاداة دعاة السنة السلفيين، والسعي بالأذىٰ، والمحاربة لهم، والحط عليهم.

وهذا النكوص مرده إلىٰ أسباب كثيرة متعددة[٢]**، فمنها:**

١- النهم بشهوات الغي، والتعرض للشبه الخطافة؛ فيتشربها مثل السفنجة فلا ينضح إلا بها[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا يوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم»[٤].

---

(١) «الاعتصام» (٣/ ٢٤٢)، والحديث أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم١٠٠)، ومسلم في «صحيحه» (رقم٢٦٧٣).

(٢) وهناك أسباب أخرىٰ، سيأتي بسط الكلام عنها في الكتاب.

(٣) ينظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٤٣).

(٤) «الإيمان» (٢/ ٣٦٧).

٢-الاغترار بزخرفة الأقاويل المغطاة بلحاء الشريعة.

قال مقاتل بن حيان البلخي -رحمه الله تعالىٰ-: «أهل الأهواء آفة أمة محمد ﷺ إنهم يذكرون النبي ﷺ وأهل بيته فيتصيدون بهذا الذكر الحسن الجهال من الناس، فيقذفون بهم في المهالك، فما أشبههم بمن يسقي الصبر باسم العسل، ومن يسقي السم القاتل باسم الترياق، فأبصرهم، فإنك إن لم تكن أصبحت في بحر الماء، فقد أصبحت في بحر الأهواء الذي هو أعمق غورًا، وأشد اضطرابًا، وأكثر صواعق، وأبعد مذهبًا من البحر وما فيه، فتلك مطيتك التي تقطع بها سفر الضلال: اتباع السنة، فإنهم هم السيارة الذين إلىٰ الله يعمدون»[1].

وهذا الاغترار إنما يقع فيه من كان ضعيف العلم، أو الصبر، أو ناقص العقل، أو قليل الديانة، أو الرزانة، أو البصيرة، أو من عدم مباشرة القلب لحقيقة العلم النافع، القائم علىٰ القرآن والسنة وفهم معانيها، والتقيد بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث...[2]، وهذا هو العلم المزكي للقلوب والأرواح، والهادي لطريق الخير، والمحذر من طريق الشر، المثمر لسعادة الدارين.

٣- عدم الوعي بخطط ومؤامرات الأعداء، وحيل ومكائد المندسين.

---

(١) «الاعتصام» (١/ ١٤٢)، و«تاريخ دمشق» (٦٠/ ١٠٨).

(٢) ينظر: «فضل علم السلف علىٰ الخلف» (ص٦).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «الخبير بالشر وأسبابه، إذا كان حسن القصد، عنده من الاحتراز عنه، ومنع أهله، والجهاد لهم، ما ليس عند غيره»[(١)].

وهذا ما عليه حال سادات الصحابة ﷺ من التحلي بالاحتراز واليقظة.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فإنهم كانوا أبر الناس قلوبًا، وأعلم الخلق بطرق الشر ووجوه الخداع، وأتقىٰ لله من أن يرتكبوا منها شيئًا أو يدخلوه في الدين كما قال عمر بن الخطاب ﷺ: لست بخب ولا يخدعني الخب.

وكان حذيفة أعلم الناس بالشر والفتن، وكان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكان هو يسأله عن الشر[(٢)]، والقلب السليم ليس هو الجاهل بالشر الذي لا يعرفه، بل الذي يعرفه ولا يريده بل يريد الخير والبر...»[(٣)].

٤- التعلق بالأشخاص الأحياء؛ فإن فتن الشيطان هؤلاء الأحياء بالشُّبه، ومال بهم عن الصراط المستقيم، فما يكون من الغمر الجاهل إلا الانجراف معهم في متاهات الضلالة، والتتابع لهم في الخطل من نصرة باطلهم بقوة، لاعتقاده بأن الحق وقف مؤبد عليهم، فيصبح حال هذا السادر في غيه كما

---

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥/ ٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٣٦٠٦)، ومسلم في «صحيحه» (رقم١٨٤٧).

(٣) «إعلام الموقعين» (٥/ ١٨٩-١٩٠)، وينظر منه كذلك: (٦/ ١١٣-١١٤)، فإنه مهم.

قال الشاعر:

وهل أنا إلا من غَزية إن غوت غويتُ وإن ترشد غَزيةُ أرشدِ

وإن مما يترتب علىٰ هذا النكوب والتردي في الغي هو معارضة الإخلاص لله تعالىٰ في الأوبة إلىٰ الحق، والتجرد للدليل، وسلوك منهج الاتباع، وخلق الشجاعة والصدق.

عن المقداد بن الأسود ﷺ قال: «لا أقول في رجل خيرًا ولا شرًّا، حتىٰ أنظر ما يختم له -يعني: بعد شيء سمعته من النبيﷺ- قيل: وما سمعت؟ قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: **لقلب ابن آدم أشد انقلابًا من القدر إذا اجتمعت غليانًا**»[(١)].

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: «من كان منكم مستنًّا فليستن بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد، كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسكوا بهديهم؛ فإنهم كانوا علىٰ الهدىٰ المستقيم»[(٢)].

ومن جميل الحكم قول القائل: «أحب الحق وأحب فلانًا ما اجتمعا، فإذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٣٩/ ٢٣٨)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٧٧١).

(٢) أورده البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٨٤)، وابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ١٥٩)، وبنحوه أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧).

افترقا كان الحق أحب إلي من فلان».

قال العلامة حمود التويجري -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن العلماء لا تعظم أقدارهم ويعتد بأقوالهم بمجرد التفخيم لهم والتنويه بذكرهم، وإنما يعتبرون باتباع الحق واجتناب الباطل، فمن قال منهم بما يوافق الكتاب والسنة فقوله مقبول، ولو كان خامل الذكر عند الناس، ومن قال بما يخالف الكتاب والسنة فقوله مردود، ولو كان مشهورًا عند الناس»[١].

٥- عدم التمييز بين العالم الراسخ في العلم، وبين أشباه العلماء؛ مرسىٰ دعائم الفتن العمياء، عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن نبي الله ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل علىٰ راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل علىٰ رجل عالم...**»[٢].

والشاهد من هذا الحديث الجليل هو تسمية النبي ﷺ الرجل الثاني بالعالم، والأول بالراهب؛ أي: هو ليس بعالم، وهذا الراهب إنما دل عليه الجهال من الناس، لاعتقادهم بأنه من العلماء.

---

(١) «فصل الخطاب في الرد علىٰ أبي تراب» (ص٢٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٣٢٨٣)، ومسلم في «صحيحه» (رقم٢٧٦٦) واللفظ له.

يقول العلامة الفقيه ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «فلابد من معرفة من هم العلماء حقًّا، هم الربانيون الذين يربون الناس علىٰ شريعة ربهم حتىٰ يتميز هؤلاء الربانيون عمن تشبه بهم وليس منهم، يتشبه بهم في المظهر والمنظر والمقال والفعال لكنه ليس منهم في النصيحة للخلق وإرادة الحق، فخيار ما عنده أن يلبس الحق بالباطل، ويصوغه بعبارات مزخرفة يحسبه الظمآن ماء حتىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا، بل هو البدع والضلالات الذي يظنه بعض الناس هو العلم والفقه وأن ما سواه لا يتفوه به إلا زنديق أو مجنون»[1].

وعلىٰ هذا الأساس كله؛ فقد كان لزامًا بيان التباين بين منهج السلف الذي عليه علماؤنا المعاصرون البررة، وبين منهج الخلف الذي عليه الحدادية والمميعة؛ بتوضيح صفاتهم، وشرح معالم طريقتهم البدعية، لما لهم من الخطر الجسيم، والفساد العظيم، علىٰ كل صاحب سنة متشبث بهدي الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح -رضوان الله عليهم-، ولذلك كان هذا الكتاب الموسوم بـ: «**البراهين المرصعة في كشف حال الحدادية والمميعة**» هو تحقيق لهذا المطلب الجليل.

وقد قسمت مباحثه إلىٰ مدخل ومقصدين وخاتمة، وهي علىٰ النحو الآتي:

* **المدخل**: أهمية معرفة صفات المخالفين لدعوة أهل السنة.

---

(١) «الأصول الستة ومعه شرح كشف الشبهات» (ص١٦٧-١٦٨).

* **المقصد الأول:** الحدادية، ويشتمل علىٰ المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف بالحداد، والحدادية، وأصولهم الفاسدة.

المطلب الثاني: برنامج الحدادية، وما تهدف إليه.

المطلب الثالث: صفات الحدادية.

* **المقصد الثاني:** المميعة، ويشتمل علىٰ المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف بمصطلح التمييع.

المطلب الثاني: منهج المميعة.

المطلب الثالث: صفات المميعة.

* **الخاتمة:** وصايا مهمة.

فأرجو الله تعالىٰ الإخلاص في العمل، وأن يوفقنا إلىٰ العلم النافع، والهدىٰ الكامل، وأن ينفع بهذا الكتاب أهل السنة السلفيين، ويثبتنا علىٰ الإسلام والسنة، ويجنبنا طرائق المنحرفين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل
أهمية معرفة صفات المخالفين لدعوة أهل السنة

إن فائدة الوقوف علىٰ أوصاف الزائغين مما يعين في الكشف عن رزاياهم، وأغوار شرورهم، وبيان سوء طريقتهم، وهذا علىٰ نسق ما ساقه العلامة الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله تعالىٰ- في تحذيره من أهل الضلال المنحرفين.

حيث قال: «...أنا أذكر طرفًا من أسمائهم، وشيئًا من صفاتهم؛ لأن لهم كتبًا قد انتشرت، ومقالات قد ظهرت، لا يعرفها الغر من الناس، ولا النشء من الأحداث، تخفىٰ معانيها علىٰ أكثر من يقرؤها، فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والإطناب في الصلاة علىٰ النبي ﷺ، ثم أتبع ذلك بدقيق كفره وخفي اختراعه وشره، فيظن الحدث الذي لا علم له، والأعجمي والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء، ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان ومن بارز الله ووالىٰ الشيطان»[1].

---

(١) «الإبانة الصغرىٰ» (ص٣٢٦).

ولذلك كانت معرفة أوصاف المخالفين للمحجة الناصعة، تُعَدُّ من مسالك العلوم النافعة التي تعود علىٰ العبد بالفوائد الجليلة.

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «العلم النافع، هو العلم المرشد إلىٰ الخير، فكل علم يكون فيه رشد، وهداية لطريق الخير، وتحذير عن طريق الشر، أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوىٰ ذلك، فإما أن يكون ضارًّا، أو ليس فيه فائدة، لقوله: ﴿أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦].

وعليه، فقد جاء لهذا الأصل النافع أدلة كثيرة تدل عليه، فمن ذلك ما يلي:

١- **فمن القرآن الكريم:** قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:٨-١٠].

قال العلامة السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «فمن لطف الله بالمؤمنين، أن جَلَّىٰ أحوالهم ووصفهم بأوصاف يتميزون بها، لئلا يغتر بهم المؤمنون، ولينقمعوا أيضًا عن كثير من فجورهم»[1].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٢).

ب- ومن السنة النبوية: عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: **نعم.**

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: **نعم، وفيه دخن.**

قلت: وما دخنه؟

قال: **قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر.**

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: **نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها، قذفوه فيها.**

قلت: يا رسول الله، صفهم لنا؟

فقال: **هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.**

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: **تلزم جماعة المسلمين وإمامهم.**

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: **فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتىٰ يدركك الموت وأنت علىٰ ذلك»**[١].

ومن فوائد ما يحصله الشخص من معرفة صفات المخالفين، أمور كثيرة، فمن ذلك:

١- الاقتداء بهدي السلف الصالح مع النبيﷺ في تطبيقهم لهذا الأصل العظيم، كما مر معنا في قول الصحابي الجليل حذيفة ﷺ قال: «كان الناس يسألون رسول اللهﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»، وذلك أن حال النبيﷺ وحال أصحابه محك الأحوال وميزانها[٢].

قال العلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالىٰ-: «فعلىٰ من نصح نفسه، وأراد نجاتها أن يعتصم بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يتمسك بما كان عليه أصحاب رسول اللهﷺ؛ لأنهم القدوة، وبهم الأسوة، وما من خير إلا وقد سبقونا إليه» [٣].

٢- لزوم الحذر من الوقوع في مصيدة المبتدعة الضلال، وهذا يدعو إلىٰ تحقيق مجانبة أهل الأهواء وبغضهم، وتحذير الناس منهم.

قال سفيان بن عيينة -رحمه الله تعالىٰ-: «ليس العالم الذي يعرف الخير

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) «مدارج السالكين» (٢ / ١٣٥) بتصرف.

(٣) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٢ / ٣٤٧).

والشر، إنما العالم الذي يعرف الخير فيتبعه، ويعرف الشر فيجتنبه»[١].

وقد أحسن الشاعر في قوله:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الخير يقع فيه

ويقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذه حال المؤمن، يكون فطنًا حاذقًا، أعرف الناس بالشر وأبعدهم منه، فإذا تكلم في الشر وأسبابه ظننته من شر الناس، فإذا خالطته وعرفت طويته رأيته من خير الناس»[٢].

٣- أن الدراية بمسالك الشر وسبل الأعداء، ذلك مما يحبه الله ﷻ، بدليل قول الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «أن الله سبحانه يحب أن تعرف سبيل أعدائه؛ لتتجنب وتبغض، كما يجب أن تعرف سبيل أوليائه؛ لتحب وتسلك»[٣].

٤ - تكسب العبد قوة في التمسك بالحق والثبات عليه، والصدع به، ونفرةً من الباطل، وبُغضًا لأهله.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وكل من كان بالباطل أعلم؛ كان للحق أشد تعظيمًا وبقدره أعرف إذا هدي إليه»[٤].

---

(١) «حلية الأولياء» (٧/ ٢٧٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٨٩).

(٣) «الفوائد» (ص١٦١).

(٤) «الفتاوىٰ» (٥/ ١١٨).

ويقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل وطرقه فأبغضها لله، وحذرها وحذَّر منها، ودفعها عن نفسه، ولم يدعها تخدش وجه إيمانه، ولا تورثه شبهة ولا شكًّا، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له، وكراهة لها ونفرة عنها، أفضل ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه، فإنه كلما مرت بقلبه وتصورت له ازداد محبة للحق ومعرفة بقدره وسرورًا به، فيقوىٰ إيمانه بها»[1].

وهذه الفائدة تثمر لنا فائدة أخرىٰ وهي أن ما يحصل اليوم من تغليظ في الرد من أئمة السنة حماة الدين علىٰ أهل البدع من الحركيين الزائغين، وغيرهم من المنحرفين، وامتعاض كل مخالف من مثل ذلك؛ فالحقيقة أنه ما امتعض له إلا الشيطان وحزبه، وإلا فإن في الشدة في الردود علىٰ المخالفين عند تحقيق المصلحة تعد عند أهل العلم الراسخين من محامد المناقب، وأجلها، وذلك لثلاثة أشياء، وهي:

١- مضرة البدعة في الدين، وأنها كالسُّم الزُّعاف، وهي أعظم من الكبائر.

٢- أن البدع تجر إلىٰ الردة، والإلحاد، كما وجد في كثير من أهل البدع.

٣- من سنن سلفنا الصالحين -رضوان الله عليهم-[2].

٤- معافاة العبد من الوقوع في بُنيات الطريق، وهذا يستوجب كثرة حمد الله

---

(١) «الفوائد» (ص١٦٠).

(٢) سيأتي بيان أكثر في المطلب الثاني عن المميعة.

تعالىٰ، وشكره [١]، علىٰ هذه النعمة العظيمة.

قال أبو العالية -رحمه الله تعالىٰ-: «قرأت المحكم بعد وفاة نبيكم بعشر سنين، فقد أنعم الله علي بنعمتين لا أدري أيتهما أفضل: أن هداني للإسلام، أم لم يجعلني حروريًّا» [٢].

ويقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «والنعمة نعمتان: نعمة مطلقة، ونعمة مقيدة، فالنعمة المطلقة هي المتصلة بسعادة الأبد وهي الإسلام والسنة، وهي التي أمرنا الله ﷻ أن نسأله في صلواتنا أن يهدينا صراط أهلها ومن خصهم بها، وجعلهم أهل الرفيق الأعلىٰ، حيث يقول تعالىٰ: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء:٦٥]. فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلقة، وأصحابها أيضًا هم المعنيون بقول الله تعالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة:٣]. فأضاف الدين إليهم إذ هم المختصون بهذا الدين القيم دون سائر الأمم» [٣].

---

(١) أي: بالقلب واللسان والعمل بالجوارح.

وانظر: جزء من الكلام علىٰ حديث شداد بن أوس: «إذا كنز الناس الذهب والفضة». من «مجموع رسائل ابن رجب» (١ / ٣٤٩-٣٥٠-٣٥١).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٧ / ١١٣).

(٣) «اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية» (ص٢).

المقصد الأول

الحدادية

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف بالحداد، والحدادية، وأصولهم الفاسدة.

المطلب الثاني: برنامج الحدادية وما تهدف إليه.

المطلب الثالث: صفات الحدادية.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المطلب الأول:
تعريف بالحداد، والحدادية، وأصولهم الفاسدة

اعلم -وفقني الله وإياك- أن من عادة الفرق البدعية القديمة والمعاصرة؛ أنها تنسب إما إلىٰ المؤسس تارة، أو المقالة تارة، أو الفعل، وهذا بخلاف دعوة أهل السنة، فهي نسبة تقع علىٰ خير القرون الثلاثة المفضلة ممن هم أعلم بني آدم علومًا ومعارف[1].

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «أنهم لا ينتسبون إلىٰ مقالة معينة، ولا إلىٰ شخص معين غير الرسول، فليس لهم لقب يعرفون به ولا نسبة ينتسبون إليها، إذا انتسب سواهم إلىٰ المقالات المحدثة وأربابها، كما قال بعض أئمة أهل السنة، وقد سئل عنها، فقال: السنة ما لا اسم له سوىٰ السنة، وأهل البدع ينتسبون إلىٰ المقالة تارة؛ كالقدرية، والمرجئة، وإلىٰ القائل تارة؛ كالهاشمية والنجارية، والضراوية، وإلىٰ الفعل تارة؛ كالخوارج، والروافض، وأهل السنة بريئون من هذه النسب كلها، وإنما نسبتهم إلىٰ الحديث والسنة»[2].

---

(١) «الفتاوىٰ» (٩/ ٤٥).

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» (ص ٦٠٣).

والحدادية هي نسبة إلىٰ المؤسس: محمود الحداد المصري، المولود سنة ١٣٧٤هـ، درس في كلية الزراعة، انتقل إلىٰ مدينة الرياض، وعمل كمحاسب في جامعة الإمام محمد بن سعود، ثم تحول إلىٰ المدينة النبوية، وعمل علىٰ إخراج بعض الكتب مع دَسِّ سمومه في طياتها[١]، مع قصد إثارة الفتنة، مما أدىٰ إلىٰ إخراجه من المملكة العربية السعودية[٢].

وقد قامت دعوة محمود الحداد البدعية علىٰ أربعة أركان:

١- الحرب علىٰ علماء المنهج السلفيِّ المعاصرين، كمثل: العلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمهما الله تعالىٰ-، والعداوة والبغضاء لهم بدون استثناء أحد، والحط علىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيِّم، وابن أبي العز، وكتابه «شرح الطَّحاوية».

٢- الغلو في التَّبديع، وأنَّ من لم يبدع من يبدعه فهو مبتدع، كالحافظ ابن حجر العسقلاني، والعلامة النووي، ثم عمل بعد ذلك إلىٰ دعوة الناس إلىٰ تبديعهم علانية، وامتحانهم علىٰ ذلك، ومن عارض وخالف فيعتبره مبتدعًا خارجًا عن طريق السلف الصالح.

٣- تحريم الترحُّم علىٰ أهل البدع، أو مَن وقع في بدعة، وغض علماء المنهج السلفي الطرف عن تبديعه.

---

(١) مثل جمعه لعقيدة أبي حاتم وأبي زرعة الرازيين.

(٢) «النقولات السلفية في الرد علىٰ الطائفة الحدادية» (ص١٥ الحاشية) بتصرف.

٤- هجر المبتدع لا علىٰ طريقة السَّلف[١].

وقد تصدىٰ العلماء له فكشفوا حاله، وأبانوا عن ضلاله، ومن كلام أئمة الهدىٰ في التحذير منه، ما يلي:

١- **قال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، في جوابه للسائل، وذلك بعد أن عرض عليه بعض ضلالات الحداد:** «...هنا يظهر لكم أهمية التمسك بمنهج السلف، هذا الرجل الآن طلق هذا، وتمسك بفهمه للكتاب والسنة، فَضَلَّ ضلالًا بعيدًا، وأمثاله كثر في كل عصر؛ في كل مكان»[٢].

٢- **قال العلامة محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ:** «محمود الحداد كما قيل كان من جماعة التكفير[٣]، ثم استطاع أن يصل إلىٰ هذا البلد ليرفع راية التوحيد وراية السنة ويحارب الإسلام من الداخل متسترًا بهذه الراية المزعومة، أو كان جاهلًا فأراد أن يبين موقف مرتكب الكبيرة الفاسق الملي فلم يستطع لجهله بيان ذلك الاستدلال، فهو لا يخرج من أحد الأمرين، إما كما قيل: كان من جماعة التكفير، وتعمد هذا العمل ليحارب العقيدة والسنة من الداخل بعد أن رفع راية السنة وراية العقيدة، هذا احتمال، وهذا احتمال قوي كما بلغتنا أخبار من الثقات إنه كان من جماعة التكفير.

---

(١) انظر: «إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل» (٦١-٦٢) بتصرف.

(٢) «سلسلة الهدىٰ والنور»، الشريط رقم (٧٨٢).

(٣) وبنحوه ذكر الشيخ ربيع بن هادي المدخلي أنه من التكفيريين.
انظر: «إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل» (ص٦٥-٦٦).

والاحتمال الثاني: أنه ليس من جماعة التكفير، ولكنه جاهل دخل فيما لا يقدر أن يكتب فيه، فتورط في عقيدة المعتزلة من حيث لا يشعر يا هذا أو ذاك، لا يخرج من هذين الاحتمالين، وعلىٰ كل الذي يستغرب أن يجد مثل هذا أتباعًا؛ أتباعًا يصفقون له، بل يصفونه بأنه إمام بعد أن طعن وسخر من الإمام ابن تيمية...»[1].

٣- **قال العلامة حماد الأنصاري -رحمه الله تعالىٰ-**: «إن الحداد-يعني به: محمودًا-جاء إلي بمخطوطات من أجل المبادلة وكتب عشرة أسماء لمخطوطات موجودة عندي وحققت له رغبته.

قال الأخ عبد الأول بن حماد الأنصاري: وهذا الأمر قد حصل قبل أن يتبين حال الحداد للوالد، ثم سمعت الوالد يقول: بعد زمن نقل إلي أن الحداد يقول إن كتب المبتدعة يجب إحراقها، ومنها كتاب «الفتح» للحافظ ابن حجر، و«شرح مسلم» للنووي، ثم قال الوالد: وهذا الحداد قد سيطر علىٰ بعض طلبة العلم، ولا أدري كيف سيطر عليهم ، أهو ساحر أمَّاذا؟ ثم قال الوالد : لقد غزينا في عقر دارنا.

قلت: وكان الوالد -رحمه الله تعالىٰ- يحذر طلبة العلم من الحداد، ويقول: إن الشباب يضيع بعضهم بسبب الركض خلف كل من هب ودب»[2].

---

(١) من شريط بعنوان: «القول المستجاد في كشف مجازفات الحداد».

(٢) «المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري -رحمه الله تعالىٰ-» (٢/ ٦٣٢).

وقال -رحمه الله تعالىٰ-: «لو كان لي سلطان علىٰ الذي يقول بعدم القراءة في فتح الباري وشرح النووي علىٰ صحيح مسلم؛ لأخذته وسجنته حتىٰ يتوب، وهذا القول لا يقوله إلا سفيه، -يعني: عدم قراءة الفتح وشرح مسلم-» (١).

٤- **قال العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-**: «الحدادية جماعة غلوا في الحداد ورفعوه، وهو رجل جاهل متخبط ظالم» (٢).

وبهذا البيان من زوامل الإسلام، والأئمة الأعلام، لحال هذا الرجل المنحرف، فإن أوار فتنته في أيامهم قد خمدت، فلا تسمع له ركزًا.

وهكذا هي العادة فيما يئول إليه صاحب كل ضلالة وباطل، فما ينال إلا المذلة، والحقارة، والخسران، واضمحلال أمره، وثل عرشه، لأجل أن له نصيبًا من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «الذين قالوا عن الرسول

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٨٢-٥٨٤).

(٢) «المجموع» (١٤/ ٥٤٩).

وشريط: «ضوابط التبديع» لمجموعة من العلماء: الشيخ الألباني، الشيخ العثيمين، الشيخ محمد أمان الجامي -رحمهم الله تعالىٰ-، والشيخ صالح السحيمي، الشيخ ربيع ابن هادي المدخلي، الشيخ علي بن ناصر الفقيهي -حفظهم الله تعالىٰ-، وشريط: «القول المراد في أخطاء الحداد» للشيخ الفاضل محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-، ألقيت بمدينة الدمام يوم الجمعة ليلة السبت (١٧ / ربيع الأول / ١٤١٤هـ).

إنه أبتر، وقصدوا أنه يموت فينقطع ذكره، عوقبوا بانبتارهم، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، فلا يوجد من شنأ الرسول إلا بتره الله حتىٰ أهل البدع المخالفون لسنته، قيل لأبي بكر بن عياش: إن بالمسجد قومًا يجلسون للناس ويتكلمون بالبدعة، فقال: من جلس للناس جلس الناس إليه، لكن أهل السنة يبقون ويبقىٰ ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم»[(١)].

وممن نال حظه من المهانة والحقارة: عبد الله بن سلمة، أبو عبد الرحمن البصري الأفطس.

قال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-: «كان يستخف بالأئمة، قال: يكذب سفيان، وتكلم في غندر، وقال عن القطان: ذاك الأحول، وكذا سنة الله في كل من ازدرىٰ بالعلماء بقي حقيرًا»[(٢)].

ولقد أعاد تجديد فكر مدرسة الحداد الضال أقوام تشربوا ما عنده من انحراف، وطوروا ما عنده من ضلال وإسراف، ومن هؤلاء: عبد اللطيف باشميل، وفالح الحربي، وفوزي البحريني، وعماد الدين فراج، وعبد الله صوان الغامدي، وعبد الحميد الجهني، والقائمة تطول، وكل حين تشهد الساحة بروز ضائع مخذول، وقد أحسن من قال:

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١٣ / ١٧٢-١٧٣).

(٢) «تاريخ الإسلام» (٤ / ١١٣٩).

أعمىٰ يقود بصيرًا لا أبا لكم قد ضَلَّ من كانت العميان تهديه

وكان أول أمرهم أن تستروا كيدًا ومكرًا بدعوىٰ السنة والسلفية، من باب: تمسكن حتىٰ تتمكن، ولما تهيأ للحدادية الجديدة الأمر واستقام، **عملوا علىٰ استثارة منهج الحداد، وإضرام نيران فتنته**، لكن بزيادة أصول علىٰ الحدادية القديمة.

وملخص ما تقوم عليه أصولهم البدعية ما يلي:

١- التقية الشديدة التي تفوق تقية الرافضة؛ فالحدادية الأولىٰ كانوا ظاهرين واضحين في كلامهم ومواقفهم، بخلاف الحدادية الجديدة؛ فإنها تستخدم هذا الأصل الرافضي.

٢- السرية، والعمل في الظلام، ومن هنا يحاربون أهل السنة والحق تحت أسماء مجهولة.

٣- الكذب والخيانات، وتحريف النصوص عن مواضعها، وتنزيلها في غير منازلها.

٤- تضليل من يقول: إن الخلاف بين أهل السنة وبين مرجئة الفقهاء لفظيٌّ، وهذا يقتضي تضليل من قال به من السلف، وتضليل شيخ الإسلام ابن تيمية، وأئمة الدعوة السلفية في نجد، والأدهىٰ من ذلك أنهم يلصقون ذلك كذبًا منهم بمن لا يقوله، ثم يبدعونه، ويشهرون به بناء علىٰ كذبهم وبهتانهم.

٥- التعلق بالألفاظ المتشابهة، ومنها التعلق بلفظ (جنس) الذي يحتمل

عدة معانٍ، وزعموا كذبًا علىٰ السلف بأنهم جعلوا جنس العمل ركنًا في تعريف الإيمان [١].

٦- رميهم بالبدعة لمن يقول: بأن الإيمان أصل، والعمل فرع، مخالفين النصوص القرآنية والنبوية، ومخالفين لأقوال أئمة كبار من أهل السنة، وقولهم هذا يقتضي حتمًا تبديع هؤلاء الأئمة المستمدة أقوالهم من الكتاب والسنة.

٧- ردهم عنادًا ومكابرة للحق الثابت بالكتاب والسنة، ولما قرره أئمة السنة والإسلام لمسألة: سماحة الإسلام ومراعاته للمصالح والمفاسد في الدِّين كله أصوله وفروعه[٢].

٨- لم يكتفوا بتعريف أهل السنة للإيمان بأنه: قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فزادوا عليه: وينقص حتىٰ لا يبقىٰ منه شيء! وجعلوا هذا جزءًا أو شرطًا في تعريف الإيمان، من لم يقله فهو مرجئ، وهذا إمعان منهم في الفجور وحرب أهل السنة[٣].

لكن تسترهم بستار السلفية، ودسائسهم الماكرة، لم تدم معهم طويلًا، فمن سنن الله تعالىٰ ودينه أنه ما تستر أحد بالسنة، وغرر الناس به حتىٰ التفوا

---

(١) انظر: مقال الشيخ ربيع المدخلي: «كلمة حق حول جنس العمل».

(٢) انظر: «سماحة الشريعة الإسلامية وحب الله تعالىٰ أن تؤتىٰ رخصه وحث رسول الله ﷺ علىٰ ذلك»، و«بيان سماحة الإسلام وما فيه من الرحمة»، كلاهما للشيخ ربيع -حفظه الله تعالىٰ-.

(٣) «الحلقة الأولىٰ من كشف أكاذيب وتحريفات وخيانات فوزي البحريني؛ الموصوف زورًا بـ: الأثري». نقد للمسمىٰ بـ: (فوزي الأثري البحريني) (ص٤-٦) بتصرف.

حوله وارتبطوا به، وأصبحوا يعولون عليه ويقبَلون كل ما يصدر عنه إلا فضحه الله ﷻ، وهتك ستره، وكشف للخاصة والعامة ما كان يخفي وما كان يكن من: الغش والتلبيس والمكر والمخادعة؛ يهيئ الله رجالًا فضلاء فطناء حكماء أقوياء جهابذة ذوي علم وكياسة وفقه في الدين، يكشف الله بهم ستر ذلكم اللعاب الملبس الغشاش» [١].

ومن هؤلاء الرجال الفضلاء، والفطناء العلماء : الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-، فقد قيضه الله تعالىٰ لهذه الفرقة الحدادية، وغيرها من فرق الضلال، فكشف ما عندهم من ضلال، وفنَّد ترهاتهم المبنية علىٰ الكذب والمحال[٢]، وقد خلص هذا العالم البصير علىٰ ضوء الحجج والبراهين بأن هؤلاء الأشكال: «يعتبرون اليوم من شرار أهل الأهواء، وأشدهم كذبًا وفجورًا وطعنًا في علماء السنة » [٣].

فهذا الضرب من أهل الأهواء ينطبق عليهم ما ساقه العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- عند شرحه لوصية علي ﷺ لكميل بن زياد: «أتباع كل ناعق

---

(١) «الحلقة الأولىٰ من كشف أكاذيب وتحريفات وخيانات فوزي البحريني؛ الموصوف زورًا بـ: الأثري». نقد للمسمىٰ بـ: (فوزي الأثري البحريني) (ص٤-٦) بتصرف.

(٢) ومن كتبه في الرد عليهم: «إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل»، و«المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح»، و«الحلقة الأولىٰ من كشف أكاذيب وتحريفات وخيانات فوزي البحريني؛ الموصوف زورًا بـ: الأثري» نقد للمسمىٰ بـ: (فوزي الأثري البحريني)، وأتبعها بحلقة ثانية.

(٣) «طعن الحداد في علماء السنة» (ص٢٣).

يميلون مع كل ريح»[١]، حيث قال: «وهؤلاء من أضر الخلق علىٰ الأديان، فإنهم الأكثرون عددًا، الأقلون عند الله قدرًا، وهم حطب كل فتنة توقد، ويشب ضرامها، فإنها يهتز لها أولو الدين، ويتولاها الهمج الرعاع»[٢].

(١) أخرجه أبو نعيم (١/ ٧٩-٨٠)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (رقم ١٧٧).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤١٣).

وقال في (١/ ٤١٣): «الهمج من الناس: حمقاؤهم وجهلتهم، وأصله من الهمج جمع همجة، وهو ذباب صغير كالبعوض يسقط علىٰ وجوه الغنم والدواب وأعينها، فشبه همج الناس به».

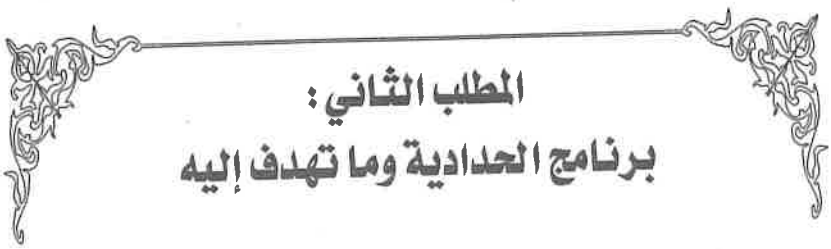

المطلب الثاني:
برنامج الحدادية وما تهدف إليه

إن المنهج الحدادي قد جمع في برنامجه المسموم بين أمرين:

الأول: **أنه أداة هدَّامة لمنهج السلف الصالح**؛ من حيث إنهم سلطوا فهومهم الفاسدة علىٰ الكتاب والسنة، **وطلقوا فهم السلف الهداة المرضيين.**

قال العلامة ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله تعالىٰ-: «**سوء الفهم عن الله ورسوله** أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان»[1].

وفئة الحدادية بسوء فهمهم للنصوص الشرعية وتطبيقاتها، تجتمع مع طوائف أهل الضلال، وعلىٰ رأسهم الخوارج.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وكانت البدع الأولىٰ مثل: بدعة الخوارج، إنما هي من سوء فهمهم للقرآن، لم يقصدوا معارضته،

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٣٩٦)، وأصل العبارة هي من كلام ابن القيم رحمه الله ينظر: «الروح» (ص٦٣).

لكن فهموا منه ما لم يدل عليه، فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب، إذ كان المؤمن هو البر التقي، قالوا : فمن لم يكن برًّا تقيًّا فهو كافر، وهو مخلد في النار، ثم قالوا : وعثمان وعلي ومن والاهما ليسوا بمؤمنين؛ لأنهم حكموا بغير ما أنزل الله» [١].

وهذا ما ينطبق علىٰ زعيم الحدادية: محمود الحداد، ذي المسلك القميء، والفهم الرديء، ويتجلىٰ ذلك بما استحدثه من تأصيلات فاسدة بدعية مخالفة لأصول السلف، وطريقتهم الواجب اتباعها.

قال الحسن البصري -رحمه الله تعالىٰ-: «إنه من أَحبَّ قومًا اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتىٰ تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتهم، وتصبح وتمسي وأنت عَلَىٰ منهاجهم، حريصًا أن تكون منهم، وتسلك سبيلهم، وتأخذ طريقهم، وإن كنت مقصرًا في العمل؛ فإن مِلاكَ الأمرِ أن تكون علىٰ استقامة، أما رأيت اليهود والنصارىٰ وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم ليسوا معهم؛ لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلكوا غير طريقتهم فصار مأواهم النار؟ نعوذ بالله من النار» [٢].

ومن هنا يظهر للقارئ ضرورة التقيد باتباع السلف الصالح -رضوان الله عليهم أجمعين- في فهم نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة،

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٣/ ٣٠-٣١).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (١ / ٢٥٣).

ذلك لأن أهل القرون الثلاثة المفضلة لهم من المزايا، مما لم يكن لغيرهم، وهذه المزايا تتمثل في النقاط الآتية:

١- ما خصهم الله به من العلم والفهم والفضل والفقه عن الله ورسوله.

٢- شاهدوا الوحي والتلقي عن الرسول بلا واسطة.

٣- نزول الوحي بلغتهم وهي غضة محضة لم تشب.

٤- مراجعتهم رسول الله ﷺ، فيما أشكل عليهم من القرآن والسنة حتىٰ يجليه لهم [١].

٥- علمهم بمفهوم الخطاب اللغوي وبأسباب الحكم الشرعي، وبدلالات حال النبي ﷺ [٢].

٦- كانوا أعرف الناس بالحق، وأدلته، وبطلان ما يعارضه [٣].

٧- كانوا أعظم عقولًا، وأكثر فهومًا، وأحد أذهانًا، وألطف إدراكًا [٤].

٨- علمهم بما يحبه الله ويرضاه، وأسبق إلىٰ طاعته ورضاه [٥].

٩- أن كل خير فيه المسلمون إلىٰ يوم القيامة من الإيمان والإسلام،

---

(١) «إعلام الموقعين» (٤/ ٥) بتصرف.

(٢) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٢٣٩).

(٣) «درء تعارض العقل والنقل» (٧/ ١٧٦).

(٤) «درء التعارض بين العقل والنقل» (٧/ ٢٨٧).

(٥) «الفتاوىٰ» (٢٧/ ١٣٢).

والقرآن، والعلم والمعارف، والعبادات، ودخول الجنة، والنجاة من النار، وانتصارهم علىٰ الكفار، وعلو كلمة الله، فإنما هو ببركة ما فعله الصحابة الذين بلَّغوا الدين وجاهدوا في سبيل الله، وكل مؤمن آمن بالله؛ فللصحابة ﷺ عليه فضل إلىٰ يوم القيامة [١].

ولذلك عد أعلام السنة من الأئمة الأجلة أن ملازمة اتباع السلف الصالح-رضوان الله تعالىٰ- عليهم في الفهم يعد من ركائز المعتقد، فمن أقوالهم المتضافرة في ذلك ما يلي:

١- **قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالىٰ-**: «أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول ﷺ، والاقتداء بهم»[٢].

٢- **قال الإمام البربهاري** رحمه الله: «والأساس الذي تبني عليه الجماعة، وهم أصحاب محمد -صلىٰ الله عليه وسلم، ورحمهم أجمعين- وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع ، وكل بدعة ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار» [٣].

٣- **قال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني-رحمه الله تعالىٰ-**: «ويقتدون بالنبي ﷺ وبأصحابه الذين هم كالنجوم بأيهم اقتدوا اهتدوا، كما

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦/ ٣٧٦).

(٢) «أصول السنة» للإمام أحمد (٢٥-٢٦).

(٣)«شرح السنة» (ص٣٥-٣٦).

كان رسول الله ﷺ يقوله فيهم[١]، ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به متمسكين من الدين المتين والحق المبين»[٢].

٤- **قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-**: «وأما أهل الحديث والسنة والجماعة فقد اختصوا باتباعهم الكتاب والسنة الثابتة عن نبيهم ﷺ، في الأصول والفروع وما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، بخلاف الخوارج والمعتزلة والروافض ومن وافقهم...»[٣].

٥- **قال الإمام أبو المظفر السمعاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وشعار أهل السنة اتباعهم لمنهج السلف وتركهم كل ما هو مبتدع»[٤].

الثاني: العمل علىٰ الطعن في حماة الدين أهل السنة السلفيين، بالسب والشتم والتشنيع، والبهت والزور الفظيع، وترويج الأراجيف عنهم، وإثارة الفتن بين أهل السنة وضرب بعضهم ببعض.

يقول العلامة عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ-: «الحدادية: وهي فرقة اندست بين السلفيين تتظاهر بالسلفية، وسلت حربتها علىٰ أهل السنة»[٥].

---

(١) حديث موضوع، ينظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (ص٥٥-٥٦) للشيخ العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص٢٩٨).

(٣) «منهاج السنة» (٣/ ٤٦٣).

(٤) «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص٣١).

(٥) «رد العلامة عبيد الجابري علىٰ قواعد علي الحلبي الجديدة» (ص٥٧).

وبزعمهم يظنون أنه من مسالك العلماء ممن هم عن دين الله وسنة رسول الله ﷺ يذبون لكن «في الحقيقة: ما ثلموا إلا دينهم، ولا سعوا إلا في هلاك أنفسهم»[(١)].

وهكذا حال كل مبطل في نصرة طريقته الباطلة، قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذه العقول الصغار إذا صادفها الباطل جالت فيه وصالت، ونطقت وقالت، كما أن الخفاش إذا صادفه ظلام الليل طار وسار:

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ولازمها قطع من الليل مظلم»[(٢)]

وإن صنيع فئة الحدادية خفافيش البصائر، وضعفاء العقول في نسبتهم للعلماء السلفيين كل قول قبيح، حالهم في ذلك كحال الرافضة الأنجاس، من الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- عنهم: «ولكن الرافضة من المطففين يرىٰ أحدهم القذاة في عيون أهل السنة ولا يرىٰ الجذع المعترض في عينه»[(٣)].

وهذه المواقف المشينة المخزية ضد علماء السنة المعاصرين كذلك تتشابه بمواقف أهل البدع والأهواء من الخوارج والمعتزلة، تجاه الصحابة والتابعين.

---

(١) فصول من كتاب «الانتصار لأصحاب الحديث» (ص٣٩-٤٠).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (٢١ / ١٧٩).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٤ / ١٦١). وأصل قوله: «**يرىٰ أحدهم...**» مأخوذ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسىٰ الجَذْعَ أو الجِذْلَ في عينه معترضًا**». ينظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٣٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ومما يتعلق بهذا الباب: أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلىٰ يوم القيامة أهل البيت وغيرهم قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقرونًا بالظن ونوع من الهوىٰ الخفي، فيحصل بسبب ذلك ما لا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين.

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين:

طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه، وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحًا في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة؛ بل في إيمانه حتىٰ تخرجه عن الإيمان، وكلا هذين الطرفين فاسد.

والخوارج والروافض وغيرهم من ذوي الأهواء دخل عليهم الداخل من هذا، ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطىٰ الحق حقه فيعظم الحق، ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافًا للخوارج والمعتزلة»[1].

إذا اتضح ما قدمنا، فإليك أخي القارئ صفات الحدادية:

---

(١) «منهاج السنة» (٤/ ٥٤٣-٥٤٩).

المطلب الثالث
صفات الحدادية

وهي سبع صفات:

الصفة الأولى: المكر والكيد لأهل الدعوة السلفية.

الصفة الثانية: فقد الدعوة للتوحيد ومحاربة أهل الباطل.

الصفة الثالثة: سوء الأخلاق.

الصفة الرابعة: حب الرئاسة والتصدر.

الصفة الخامسة: الظلم والجهل.

الصفة السادسة: الانصراف عما ينفع.

الصفة السابعة: التشبث بالضلال.

الصفة الأولى:
المكر والكيد لأهل الدعوة السلفية

استعمالهم لأسلوب المكر والكيد، ولهم في ذلك مسلكان خبيثان:

١- تسترهم بالعلماء السلفيين، كما هو صنيع الماكر محمود الحداد الخارجي، المتدثر بالسلفية، فهو كما قيل في المثل: «تحت جلد الضأن قلب الأذؤب»، وقد تقدم كلام أهل العلم فيه الكاشف لحاله.

ومقصد الحدادية بهذا المسلك الساقط ذلك؛ حتىٰ يتمكنوا من إسقاط من يحاربونهم من أهل السنة، وتشويههم وتشويه أصولهم، وليحققوا أهدافهم في تشتيت أهل المنهج السلفي وضرب بعضهم ببعض، كما يفعل الروافض في تسترهم بأهل البيت مع مخالفتهم لهم في منهجهم وأصولهم وبغضهم لأكثرهم[1].

---

(١) «المجموع الواضح في رد أصول فالح» (٤٨٢-٤٨٣)، وانظر: «الحلقة الأولىٰ من كشف أكاذيب وتحريفات وخيانات فوزي البحريني؛ الموصوف زورًا بـ: الأثري، نقدًا للمسمىٰ بـ: (فوزي الأثري البحريني)» (ص٤٦).

وكذلك من فئة المندسين المميعة، وهم الذين يُوالون أهل البدع، ويُحاربون أهل السنة، =

ويعتبر أسلوب الاندساس، وتستر الراعي بلباس الداعي، بين دعوة أهل السنة السلفيين، ليس بأسلوب نفاق معاصر، بل ذلك عادة تلازم أهل الأهواء في سائر الأعصار.

فهذا الإمام السجزي -رحمه الله تعالىٰ- يقول بعد إيراده لتاريخ بدع المتكلمين: «وكلهم أئمة ضلالة يدعون الناس إلىٰ مخالفة السنة وترك الحديث، وإذا خاطبهم من له هيبة وحشمة من أهل الاتباع قالوا: الاعتقاد ما تقولونه وإنما نتعلم الكلام لمناظرة الخصوم، والذي يقولونه كذب، وإنما يستترون بهذا لئلا يشنع عليهم أصحاب الحديث...

ثم قد دخل في مذاهبهم خلق كثير ممن يتظاهر بالفقه والحديث، فمنهم من أظهر ذلك وعرف به، ومنهم المنكر أنه منهم في الظاهر، وهو يعضدهم في الباطن، ويثني عليهم في الباطن، يرضىٰ لنفسه بالكذب والنفاق»[(١)].

ويقول الإمام البربهاري -رحمه الله تعالىٰ-: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رءوسهم وأبدانهم في التراب ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكَّنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فإذا تمكَّنوا بلغوا ما يريدون»[(٢)].

=

ويسمونهم بـ: الغلاة، فهؤلاء من أخطر الناس علىٰ السلفية والسلفيين. انظر: «قرَّة العينين بتوضيح معاني عقيدة الرَّازيين» (ص٢٢٣) وسيأتي بيان أمرهم.

(١) «رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت» (ص٢٢٤).

(٢) «طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤).

وقال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «وإنما شأنهم إذا وجدوا عالمًا أو لقوه أن يصانعوه، وإذا وجدوا جاهلًا عاميًّا ألقوا عليه في الشريعة الظاهرة إشكالات، حتىٰ يزلزلوهم ويخلطوا عليهم ويلبسوا دينهم، فإذا عرفوا منهم الحيرة والالتباس؛ ألقوا إليه من بدعهم علىٰ التدرج شيئًا فشيئًا، وذموا لهم أهل العلم بأنهم أهل الدنيا المكبون عليها، وإن هذا الطائفة هم أهل الله وخاصته، وربما أوردوا عليهم من كلام غلاة الصوفية شواهد علىٰ ما يلقون إليهم حتىٰ يهووا بهم في نار جهنم، وأما أن يأتوا الأمر من بابه ويناظروا عليه العلماء الراسخين فلا.

وتأمل ما نقله الغزالىٰ في استدراج الباطنية غيرهم إلىٰ مذهبهم: تجدهم لا يعتمدون إلا علىٰ خديعة الناس من غير تقرير علم، والتحيل عليهم بأنواع الحيل حتىٰ يخرجوهم من السنة، أو عن الدين جملة» [1].

وقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذا شأن الحزبيين أنهم يكونون متسترين لا يظهرون ما عندهم، فإذا اشتدت عضلاتهم، وعرفوا أن الكلام غير مؤثر فيهم أظهروا بعض ما عندهم علىٰ التدريج» [2].

ومن هذا يتبين لكل ذي لب بأن طوائف البدع أهل روغان، ونفاق.

---

(١) «الاعتصام» (٣/ ٩٢-٩٣).

(٢) «نصائح وفضائح» (ص٦٩).

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان كثير من أهل البدع منافقين حقيقة، يجادلون الناس بالقرآن ويفسدونه بالتأويلات التي ابتدعوها، ويؤيدون مقاييسهم الفاسدة بشواهد ذلك من غريب اللغة ونادرها»[(١)].

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-، وذلك في سؤال عن معنىٰ كلام البربهاري: «أهل البدع كالعقارب... **فقال:** ...إن أهل البدع فيهم نفاق، أهل البدع يبتلون بالنفاق، وهو أنهم يظهرون الخير ويبطنون الشر، يظهرون الخير للناس خديعة: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٩]، ويبطنون الشر، ومتىٰ ما تمكنوا من نشر الشر نشروه مثل العقرب»[(٢)].

والمسلم العاقل البصير المريد لنفسه السلامة هو الذي تجده يسترشد ويلتصق بغرز علماء السنة الجهابذة النقاد في الكشف عن مثل هذا الشكل المندس.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود، يروج علىٰ أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد، ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم...»[(٣)].

وقال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-: «فخل عنك العناء، وأعطِ القوس

---

(١) «جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية» (ص ٣٠).

(٢) مفرغ من أحد دروسه كما في الشبكة العنكبوتية.

(٣) «طريق الهجرتين و باب السعادتين» (٨٨٩- ٨٩٠، ط الفوائد).

باريها، فو الله لولا الحفاظ الأكابر، لخطبت الزنادقة علىٰ المنابر»[١].

وقال الشيخ العلامة عمر بن محمد بن سليم -رحمه الله تعالىٰ-: «فإذا لم يؤخذ العلم عن العلماء النقاد، الذين مَنَّ الله عليهم بفهم الكتاب والسنة، ومعرفة ما عليه السلف الصالح والأئمة، وقع في الجهل والضلال، وفي الصحيح عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بموت العلماء، حتىٰ إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[٢].

ومما يبين مدىٰ قوة ارتباط السلف بالعلماء، ورجوعهم إليهم للكشف عن المتسترين، ما جاء عن عقبة قال: «كنت عند أرطاة بن المنذر، فقال بعض أهل المجلس: ما تقولون في الرجل يجالس أهل السنة ويخالطهم، فإذا ذكر أهل البدع، قال: دعونا من ذكرهم لا تذكروهم، قال: يقول أرطاة: هو منهم، لا يلبس عليكم أمره، قال: فأنكرت ذلك من قول أرطاة، قال: فقدمت علىٰ الأوزاعي، وكان كشافًا لهذه الأشياء إذا بلغته، فقال: صدق أرطاة والقول ما قال، هذا ينهىٰ عن ذكرهم، ومتىٰ يحذروا إذا لم يشاد بذكرهم» [٣].

وورد كذلك عن المزني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «دار بيني وبين رجل مناظرة فسألني عن كلام كاد أن يشككني في ديني؛ فجئت إلىٰ الشافعي، فقلت له: كان من

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٨٢).

(٢) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٩ / ١٦٩)، والحديث تقدم تخريجه (ص٧).

(٣) «تاريخ دمشق» لابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ (٨ / ١٥).

الأمر كَيت وكَيت، قال: فقال لي: أين أنت؟ فقلت: أنا في المسجد، فقال لي: أنت في مثل تاران، تلطمك أمواجه، هذه مسألة الملحدين والجواب فيها كيت وكيت، ولأن يُبتلىٰ العبد بكل ما خلق الله من مضاره خير له من أن يبتلىٰ بالكلام.

قلت [البيهقي]: تاران: في بحر القلزم، يقال: فيها غرق فرعون وقومه، فشبه الشافعي المزني فيما أورد عليه بعض أهل الإلحاد ولم يكن عنده جواب، بمن ركب البحر في الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه وأشرف علىٰ الهلاك، ثم علمه جواب ما أورد عليه حتىٰ زالت عنه تلك الشبهة، وفي ذلك دلالة علىٰ حسن معرفته بذلك، وأنه يجب الكشف عن تمويهات أهل الإلحاد عند الحاجة إليه، وأراد بالكلام: ما وقع فيه أهل الإلحاد من الإلحاد، وأهل البدع من البدع، والله أعلم»[1].

٢- تظاهرهم بالتتلمذ، والمصاحبة للعالم المعروف بمنهجه السلفي، وهذه المصاحبة لا تنفعهم في كل الأحوال.

يقول الإمام السجزي -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما أئمة الضلالة فالمشركون، والمدعون الربوبية، والمنافقون ثم كل من أحدث في الإسلام حدثًا، وأسس بخلاف الحديث طريقًا، ورد أمر المعتقدات إلىٰ العقليات، ولم يعرف شيوخه باتباع الآثار، ولم يأخذ السنة عن أهلها أو أخذ عنهم ثم خالفهم»[2].

---

(١) «مناقب الشافعي» للبيهقي (١/ ٤٥٨).

(٢) «رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت» (ص٢١٦).

ويقول الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ- عن الخوارج المارقة: «مع كونهم من أكثر الناس عبادة وتهليلًا وتسبيحًا، حتىٰ إن الصحابة يحقرون صلاتهم عندهم، وهم تعلموا العلم من الصحابة، فلم تنفعهم: لا إله إلا الله، ولا كثرة العبادة، ولا ادعاء الإسلام لما ظهر منهم مخالفة الشريعة»[(١)].

وهذا كحال أحد رءوس الخوارج وهو نافع بن الأزرق الحروري، الذي إليه تنسب طائفة الأزارقة، ... وقد خرج في أواخر دولة يزيد بن معاوية... وكان يطلب العلم وله أسئلة عن ابن عباس مجموعة في جزء من روايته عن نافع المذكور، وأخرج الطبراني بعضها في «مسند ابن عباس من المعجم الكبير»[(٢)].

فهذه هي حقيقة الحدادية، القائمة علىٰ أساليب الكيد، والخداع، والحيل الفاجرة، وعلىٰ إسقاط أقوال العلماء، وسبهم والطعن فيهم، والنيل منهم.

يقول العلامة الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «إن الحداديين قادهم رجل صاحب هوىٰ، صاحب حسد وبغض واحتقار للعلماء، حياته - وهو في مصر قبل أن يأتي إلىٰ هذه البلاد- معروف بالطعن في العلماء، والإساءة إليهم»[(٣)].

---

(١) «كشف الشبهات» (ص٢٥).

(٢) «ميزان الاعتدال» (٤ / ٢٤١)، و «لسان الميزان» (٦ / ١٤٤).

(٣) من موقع الشيخ ربيع المدخلي بعنوان: «ما الفرق بين الحدادية والسلفية؟ وكيف نفرق بينهما؟».

وأما أهل الإسلام الحقيقي من أصحاب المنهج السلفي، فإن من ملامح طريقتهم: الوضوح، وعدم الاستتار، وتوافق ظاهرهم مع باطنهم، فلا مراوغة لديهم، ولا نفاق، ولا تعمية ولا غمز ولا تستر، كما عند الحدادية وأمثالهم من أهل الأهواء.

ومما يشهد لمعنى الوضوح والظهور: قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

وعن المغيرة بن شعبة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»**(١).

قال العلامة أحمد بن يحيى النجمي -رحمه الله تعالى-: «إن أهل البدع يتسترون ببدعهم ويتخفون بها، بخلاف أهل السنة؛ فأهل السنة يتحاشون التسرر في أمور الدين، ويرون أن ذلك إنما هو من طريقة أهل البدع، وقد قال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيت قومًا يتناجون في أمر دينهم دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»، ولذلك فإن أهل السنة يتحاشون التخفي في أمور الدين ويبتعدون عنه، ويعتبرونه من علامات أهل البدع»(٢).

ولذلك اتسمت مواقفهم تجاه علماء السنة بمعرفة فضلهم، والتأدب

---

(١) سبق تخريجه (ص٩).

(٢) «إرشاد الساري في شرح السنة للبربهاري» (٢٣٩).

معهم، والثناء عليهم، وإجلالهم.

قال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن -رحمه الله تعالىٰ-: «وأهل السنة والحديث في كل مكان وزمان، هم محنة أهل الأرض، يمتاز أهل السنة والجماعة بمحبتهم، والثناء عليهم، ويعرف أهل البدع والاختلاف بعيبهم وشنايتهم، وما أحسن ما قيل في إمام السنة، شعرًا:

أضحىٰ ابن حنبل محنة مأمومة وبحب أحمد يعرف المتنسك

وإذا رأيت لأحمد متنقصًا فاعلم بأن ستوره ستهتكُ»[1]

وكل هذا منهم إنما هو بدافع الاقتداء بأخلاق السلف الصالح-رضوان الله عليهم-، وآدابهم العالية مع النبي ﷺ، كما تدل عليه مواقفهم مع النبي ﷺ، من خلال الآتي:

١- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ أتي بجمار نخلة، فقال النبي ﷺ: «**إن من الشجر شجرة مثلها مثل الرجل المسلم، لا يسقط ورقها أخبروني ما هي؟** فوقع الناس في شجر البوادي، فوقع في نفسي أنها النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة ثم نظرت فإذا أنا أصغر القوم سنًّا، فسكت، فقال رسول الله ﷺ: **هي النخلة**، فذكرت ذلك لعمر فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا»[2].

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤ / ١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (برقم ٦١)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٨١١).

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وفيه ما كان عليه الصحابة من الحياء من أكابرهم وإجلالهم وإمساكهم عن الكلام بين أيديهم»[١].

٢- **عن سمرة بن جندب** ﷺ **قال**: «لقد كنت علىٰ عهد رسول الله ﷺ غلامًا، فكنت أحفظ عنه، فما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالًا هم أسن منيِّ»[٢].

قال القاضي عياض -رحمه الله تعالىٰ-: «وقول سمرة: ما يمنعني من القول إلا أن هاهنا رجالًا هم أسن مني. من حسن الأدب، وترك التقديم بين يدي الأسن والأعلم، وهذا مثل قول ابن عيينة، وقد قال له سفيان الثوري: لِمَ لا تحدث؟ فقال: أما ما أنت حي فلا»[٣].

٣- قصة عبد الله بن مسعود ﷺ مع أهل الحلق، ومحل الشاهد منها هو في قول أبي موسىٰ الأشعري ﷺ لعبد الله بن مسعود ﷺ: «ما قلت لهم شيئًا انتظار رأيك».

فهذا الموقف من أبي موسىٰ الأشعريّ ﷺ يرشدنا إلىٰ شيئين:

الأول: معرفة أبي موسىٰ الأشعري ﷺ بما تحلىٰ به عبد الله بن مسعود ﷺ من جلالة القدر والهيبة والوقار، وأنه من العلماء الأكابر الأعلام، وأن الرجوع

---

(١) «زاد المعاد» (٤ / ٣٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٣٢٥)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٩٦٤).

(٣) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» (٣ / ٢٣١).

إلىٰ الأكابر الأخيار مقترن بالخير، والبركة والصلاح والأمان، ويشهد لهذا ما ورد عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البركة مع أكابركم**»[(١)].

وقال الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم؛ هلكوا»[(٢)].

وقال الإمام الشعبي -رحمه الله تعالىٰ-: «شرار كل ذي دين علماؤهم غير المسلمين»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «...وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون وإنما يضلهم علماؤهم؛ فعلماؤهم شرارهم والمسلمون علىٰ هدىٰ، وإنما يتبين الهدىٰ بعلمائهم فعلماؤهم خيارهم[(٤)].

الثاني: بيان تواضع أبي موسىٰ الأشعري ﷺ، وأدبه الجم، هذا مع رفعة مكانته في العلم والفضل.

قال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ- في ترجمته: «...معدود فيمن

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (رقم١٩١٢)، وصححه العلامة الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٧٧٨).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم٨١٥)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (رقم١٠١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (رقم١٠٥٧-١٠٥٨).

(٣) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (٢/ ٥٢).

(٤) «الفتاوىٰ» (٧/ ٢٨٤).

قرأ علىٰ النبي ﷺ، أقرأ أهل البصرة، وأفقههم في الدين»[١].

وهذا الأدب والاحترام من أبي موسىٰ نحو عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، إنما هو من منطلق المعرفة بالحق الواجب مع العلماء، كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**»[٢].

قال العلامة ابن حزم رحمه الله: «اتفقوا علىٰ توقير أهل القرآن، والإسلام، والنبي ﷺ، وكذلك الخليفة، والفاضل، والعالم»[٣].

فظهر بأن موقف الصحابي الجليل أبي الأشعري رضي الله عنه إنما هو نابع من لب الدين.

قال طاووس -رحمه الله تعالىٰ-: «إن من السنة أن توقر العالم»[٤].

ويقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «...العلم ميراث الأنبياء، والعلماء ورثتهم، فمحبة العلم وأهله محبة لميراث الأنبياء وورثتهم،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٣٨١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٧ / ٤١٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٢)، وحسنه الإمام الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٣١٩).

(٣) نقله عنه ابن مفلح في «الآداب الشرعية والمنح المرعية» (١/ ٤٠٨).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» (١ / ٢٢٢)، وانظر: «مصنف عبد الرزاق» (رقم ٢٠١٣٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦ / ١٩٨).

وبغض العلم وأهله بغض لميراث الأنبياء وورثتهم»[(١)].

وهذه جملة من الأحاديث النبوية والآثار السلفية، تؤكد لزوم الأدب والاحترام مع العلماء الأكابر، وهي كالآتي:

١- عن أبي مسعود ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يمسح مناكبنا في الصلاة، ويقول: **استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليلني منكم أولو الأحلام والنُّهىٰ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(٢)].

وبوب عليه العلامة النووي -رحمه الله تعالىٰ- بـ: «باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل، وتقديمهم علىٰ غيرهم، ورفع مجالسهم، وإظهار مرتبتهم».

يقول العلامة ابن عثيمين -رحمة الله عليه- في شرحه لهذه الترجمة:

«...المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ يريد بالعلماء: علماء الشريعة الذين هم ورثة النبي ﷺ، فإن العلماء ورثة الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، فإن النبي ﷺ توفي عن بنته فاطمة وعمه العباس ولم يرثوا شيئًا؛ لأن الأنبياء لا يورثون إنما ورثوا العلم، فالعلم شريعة الله فمن أخذ العلم أخذ بحظ وافر من ميراث العلماء، وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمن ورثهم نصيب من ذلك أن يبجل ويعظم ويكرم، فلهذا عقد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٣٦).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٤٣٢).

لهذه المسألة العظيمة بابًا؛ لأنها مسألة عظيمة ومهمة، وبتوقير العلماء توقر الشريعة لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذلوا وسقطوا أمام أعين الناس ذلت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيع الشريعة»(١).

٢- عن عبد الله بن عكيم قال: «كان عمر ﵁ يقول: ألا إن أصدق القيل قيل الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، ألا إن الناس لم يزالوا بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم»(٢).

وجاء عنه أيضًا أنه قال: «قد علمت متىٰ صلاح الناس ومتىٰ فسادهم، إذا جاء الفقه من قِبل الصغير استعصىٰ عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من قِبل الكبير تابعه الصغير فاهتديا»(٣).

٣- وقال الإمام عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، لما سئل بحضور سفيان بن عيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مسألة: «إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا»(٤).

٤- عن الحسن بن علي الخلال: «كنا عند معتمر بن سليمان يحدثنا إذ أقبل ابن المبارك، فقطع معتمر حديثه، فقيل له: حدثنا، فقال: إنا لا نتكلم عند كبرائنا»(٥).

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٤٠٦).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع العلم وفضله» (رقم ١٠٥٤).

(٣) نفس المصدر (رقم١٠٥٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢٠).

(٥) «الجامع» (١/ ٣٢١).

٥- **عن أبي بكر محمد بن سليمان قال:** «سمعت أبا عاصم يقول: سمعت سفيان الثوري وقد حضر مجلسه شاب من أهل العلم وهو يترأس ويتكلم ويتكبر بالعلم علىٰ من هو أكبر منه، قال: فغضب سفيان، وقال: لم يكن السلف هكذا كان أحدهم لا يدعي الإمامة، ولا يجلس في الصدر حتىٰ يطلب هذا العلم ثلاثين سنة، وأنت تتكبر علىٰ من هو أسن منك، قم عني، ولا أراك تدنو من مجلسي.

قال: وسمعت سفيان الثوري يقول: إذا رأيت الشاب يتكلم عند المشايخ، وإن كان قد بلغ من العلم مبلغًا فآيس من خيره، فإنه قليل الحياء»[(١)].

٦- **عن عقبة بن علقمة قال:** «سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: كنا إذا رأينا الحدَث يتكلم مع الكبار أيسنا من خلافه، ومن كل خير عنده»[(٢)].

٧- **قال الإمام مالك -رحمه الله تعالىٰ-:** «سمعت ربيعة بن أبي عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم»[(٣)].

٨- **قال أبو الحسن المدائني:** «خطب زياد ذات يوم علىٰ منبر الكوفة، فقال: أيها الناس، إني بت ليلتي هذه مهتمًّا بخلال ثلاث رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة: رأيت إعظام ذوي الشرف، وإجلال ذوي العلم، وتوقير ذوي الأسنان، والله لا أوتىٰ برجل رد علىٰ ذي علم ليضع بذلك منه إلا عاقبته،

---

(١) «المدخل إلىٰ السنن الكبرىٰ» (برقم٦٧٩) للبيهقي.

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩).

(٣) «الإبانة الكبرىٰ» (رقم٤١)، و«الحلية» (٣/ ٢٥٩).

ولا أوتىٰ برجل رد علىٰ ذي شرف ليضع بذلك منه شرفه إلا عاقبته، ولا أوتىٰ برجل رد علىٰ ذي شيبة ليضعه بذلك إلا عاقبته، إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم» [(١)].

فاتضح بهذا منزلة هذا الأدب الرفيع المتمثل في توقير العلماء واحترامهم، ونشر فضائلهم، وحفظ مقامهم، وصيانتهم من كل كلام قبيح، وليس معنىٰ هذا إثبات العصمة لهم، كما يشغب به أهل الإفك علىٰ علماء السنة السلفيين.

يقول الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب علىٰ المجتمع أن يعطي العلماء قدرهم، وأن يعمل بتوجيههم ونصيحتهم، وأن يحرص علىٰ الذب عنهم، وعلىٰ عدم غيبتهم، وعلىٰ سلامة أعراضهم، فليس هناك واحد منهم معصومًا، وقد يقع الخطأ والزلل، فإذا وقع الخطأ أو الزلل وجب علىٰ العلماء أن ينبه بعضهم بعضًا بالأسلوب الحسن وبالعبارة الطيبة، حتىٰ يزول الخطأ ويظهر الله الحق» [(٢)].

وبالجملة: فإن هذا المسطور عن الواجب تجاه العلماء، إنما هو من منطلق الديانة كما تقدم البرهان عليه، ولهذا كان من عقيدة أهل السنة والأثر، أنهم يدينون الله باحترام العلماء الهداة [(٣)]، ويعدون ذلك سمة بارزة، وعلامة فارقة بينهم وبين المخالفين.

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٣).

(٢) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (٧/ ١٢٣-١٢٤).

(٣) ينظر: «القول السديد في مقاصد التوحيد» للعلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ (ص ١٣).

يقول الإمام أبو عثمان الصابوني -رحمه الله تعالىٰ-: «وإحدىٰ علامات أهل السنة، حبهم لأئمة السنة وعلمائها وأنصارها وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلىٰ النار، ويدلون أصحابهم علىٰ دار البوار، وقد زين الله سبحانه قلوب أهل السنة، ونوَّرها بحب علماء السنة فضلًا منه ﷻ»[1].

❀❀❀

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص١١٢).

الصفة الثانية
فقد الدعوة للتوحيد ومحاربة أهل الباطل

أن أهل الأهواء من الحدادية في تحمسهم بالطعن في أعلام السنة، تجدهم في المقابل لا غيرة لهم علىٰ محارم الله التي تنتهك، وعلىٰ رأس ذلك الدعوة إلىٰ تجريد التوحيد، ومحاربة الشرك والتنديد، وهذا هو حال أسلافهم من الخوارج، وغيرهم من الفرق الضالة المنحرفة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- حاكيًا عن المتصوفة: «ولهذا نجد أمثال هؤلاء من أقل الناس غيرة إذا انتهكت محارم الله، ويكون المؤمنون منهم في تعب، والمشركون منهم في راحة، ضد ما نعت الله به المؤمنين حيث قال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]. فشأنهم من جنس الخوارج الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان**»[1].

وزعيم الحدادية الضال محمود الحداد، هو من هذا الشكل الغريب من

---

(١) «الاستقامة» (ص٣٤٧).

بني آدم، أي: الخوارج [١]، فلم يعلم عنه حماس ونشاط في الدعوة إلىٰ التوحيد لأهل بلده طنطا -مصر- المشهورة بوجود قبر السيد أحمد البدوي[٢]، أحد معاقل نجاسة الشرك بالله تعالىٰ.

وأيضًا لم يعرف بمكافحة دعاة الشرك والباطل، وبعكس ذلك، فقد عرف بالهمة العجيبة العالية في ثلب العلماء وتنقصهم!!.

ومن ذلك قوله في هيئة كبار العلماء وفتواهم: «أما علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون، بل في زماننا منهم الكثير ممن لا يقول الحق ولا يفعله!، فهؤلاء ليسوا بحكام إلا علىٰ شرار الجهال من العوام، وهم عبيد السلاطين اليوم، يحرمون الحلال بأمرهم، وغدًا يحللون الحرام بأمرهم، وهكذا ففتاويهم حاضرة حضور الدينار والدرهم والجاه والمنصب، هان العلم عليهم فقبلوا المال عنه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فقد كان ما قال رسول الله ﷺ: **إن الله ينتزع العلم بانتزاع العلماء، حتىٰ إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالًا...**» [٣].

وقوله في العلامة محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالىٰ-: «المحاضر

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٠ / ٥٨٠).

(٢) انظر: «كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس علىٰ قلب داود بن جرجيس» (ص٢٦٥-٢٦٦).

(٣) «الجامع في الحث علىٰ حفظ العلم» (ص١٩)، وقد ضمنه أجزاء من رسائل ابن الجوزي، وأبي هلال العسكري، وابن عساكر، وجزء من كتاب «الجامع» للخطيب البغدادي.

إخواني متعمق في كتب ابن قطب حتىٰ تجد ألفاظها في كلامه، بل قد وصل باعترافه إلىٰ باب البيعة لأمير الإخوان وهو في السعودية! فماذا تقول في هذا؟!».

وأيضًا قوله في الإمامين محمد أمان الجامي ومحمد ناصر الدين الألباني -رحمهما الله تعالىٰ-: «المحاضر في كتيبه «تاريخ العقيدة» وفيه طوام يقول في المنزلة بين المنزلتين: (مؤمن أو كافر ولا وسط بينهما).وهذا بعينه كلام المرجئة كما سترىٰ!، وهو بعينه كلام الألباني في شريطه البدعة والمبتدعة!، تشابهت قلوبهم»[1].

ومحمود الحداد بتنقصه لمشايخ السنة، وهداة الأمة، وتطاوله عليهم، إنما هذا نابع -بزعمه- من غيرته الشديدة علىٰ عقائد المسلمين حتىٰ لا يدخلها شائبة!

سبحان الله! لم يسلم منه أهل السنة أهل التوحيد الخُلص، وسلم منه أهل البدع والشرك والخرافات، فهل هذه هي الغيرة علىٰ عقائد المسلمين لا يلوثها الأئمة الأعلام؟!!

---

(١) «القول السامي في الرد علىٰ الجامي».

ومن كتب هذا المخذول الذي يعد من أكبر كتابته عن الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كتابه المسمىٰ بـ: «الخميس»، وأيضًا له: «النونية»، و«النصيحة الصغرىٰ»، و«المستخرج» وغيرها، مما يبرهن لك خبث منهج الحداد، وأنه منجم للباطل، ومُتناوٍ في الضعة والخساسة -عامله الله بما يستحق-.

سلم منه الإخوان المسلمون الذين جابوا البلاد المصرية عرضًا وطولًا، وعاثوا في الأرض فسادًا، فلم نر ولم نسمع أنه تكلم فيهم، ولا أخرج كتابًا عنهم، ولا شارك بمقال في مجلة، ولا في صحيفة، ولم ينكر عليهم طوال إقامته في مصر، أو حتىٰ لما كان بعيدًا عنهم -في بلاد الحرمين-، وآمنًا من شرهم علىٰ نفسه، سلم منه القبوريون، فالأضرحة منتشرة في بلاده، والطواف والتمسح بالقبور أمامه علىٰ مرأىٰ منه ومسمع، والاستغاثة بالأولياء -زعموا- لا ينكرها أحد، سلِمَ منه الصوفية، وأصحاب الموالد!!، سلِم منه حزب التكفير والخوارج!، سلِم منه حزب التبليغ!!، سلم منه ...، وسلم ...، وسكت عن الجميع.

ألا يسعه السكوت وإمساك لسانه عن أهل السنَّة، الداعين إليها، الذابين عنها المحذرين من الشرك، والبدع، والمعاصي، المنفِّرين من أهل البدع والأهواء؟!!»[1].

فهذا الذي عليه حال شيخ الحدادية الضال محمود الحداد الذي بلغ من الفساد والخسة والدناءة غايته.

يقول العلامة الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «إنَّ هذا الحداد مجهول في العلم، لا يُعرف بعلم أو فضل، ولا يُعرف بالدعوة إلىٰ الله-جل وعلا-

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص ١٠٩)، الحاشية للأخ الشيخ جمال فريحان - حفظه الله- بتصرف.

ينطوي علىٰ خبث ومكر، لم يُعرف عنه الطَّلب علىٰ أحد من العلماء»[١].

ويرحم الله تعالىٰ العلامة ابن القيم، فمن درر كلماته في مثل حال هذا الضرب قوله: «ومن له خبرة بما بعث الله به رسولهﷺ، وبما كان عليه هو وأصحابه رأىٰ أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينًا، والله المستعان، وأي دين، وأي خير فيمن يرىٰ محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول اللهﷺ يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق.

وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورئاساتهم فلا مبالاة بما جرىٰ علىٰ الدين، وخيارهم المتحزن المتلمظ ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم، قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون وهو موت القلوب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوىٰ وانتصاره للدين أكمل»[٢].

وهذا الاتجاه المردي الذي تسير عليه الحدادية المنحرفة من الطعن في العلماء، والغض من الدعوة إلىٰ التوحيد والسنة، يتوافق تمام الموافقة مع

---

(١) «إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل» (ص٦٠).

(٢) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢ / ١٩٨).

خطة مبدأ الإصلاح عند من مالت بهم الأهواء، وتنوعت مشاربهم الكدرة؛ من الأحزاب، والجماعات الإسلامية، فإن مسالكهم في الانطلاق مبنية علىٰ مسلكين فاسدين، وهما:

١- من سلكت طريق الخداع والمكر، والتمييع العقدي، وغض الطرف عن زيغ المذاهب المنحرفة، أخذًا بمبدأ القاعدة الميكيافلية التي تقول: «الغاية تبرر الوسيلة»، وتماشيًا مع قاعدتهم الحركية البدعية، وهي: «يعذر بعضنا بعضًا»، وينتظم هذا المسلك المعوج في جماعة الإخوان المسلمين وما تفرع عنها من قطبية، وسرورية، وجماعة الهجرة والتكفير، وتنظيم القاعدة خوارج العصر، ومن خصائص مسالكهم الدعوية القبيحة: استثارة الناس، وتهييجهم علىٰ حكامهم، بالدعوة إلىٰ المظاهرات، والاعتصامات، أو برفع السلاح، وما يلحقه من تفجير، وتدمير، والمطلب هو رفع الظلم، ونيل الحرية، أو ما شابه، والجميع في مشيهم علىٰ هذه المسالك قد تغافلوا -بسبب اتباعهم لسبل الشيطان- عن الظلم الحقيقي اللازم مكافحته، والأول محاربته، ألا وهو الشرك بالله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ومما ينبغي أن يعلم أن كثيرًا من الناس لا يعلمون كون الشرك من الظلم، وأنه لا ظلم إلا ظلم الحكام أو ظلم العبد نفسه»[(١)].

(١) «جامع المسائل» لابن تيمية (٦ / ٢٣٤).

٢- من سلكت مسلك الاهتمام ببعض الأعمال من الإسلام تحت عباءة الطرق الصوفية، ويتمثل هذا المسلك الوضيع في جماعة الدعوة والتبليغ، ودلائل مخازي هذه الجماعة كثيرة [١]، ولكن أشير إلىٰ أمرين مهمين:

أ- أن في دعوىٰ قصور مهمة الدعوة والتبليغ علىٰ نفسها، هذا من دلائل استغواء الشيطان عليهم بخدعه، وهذا الزعم الواهي يشبه قول المنافقين ودعواهم حينما حصروا وظيفة الإصلاح في جانبهم، وأن المؤمنين ليسوا من أهل الإصلاح، فقال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١١-١٢].

وأين جهود التبليغ من جهود علماء الدعوة السلفية، ودعوتهم القويمة القائمة علىٰ البينة والحجة واليقين، والموافقة لدعوة النبي ﷺ، وما كان عليه سلف هداة الأمة.

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بما فيه ينضح

ب- جماعة التبليغ أنىٰ لها النهوض بوظيفة الدعوة؟!، ومما هو أشهر من ضوء النهار عند المبصر أن هذه الجماعة تعتبر من أشد الناس منافرة لطلب العلم الشرعي، ومن حملته.

---

(١) ينظر: «جماعة التبليغ، عقائدها، وأفكارها، ومشايخها» للشيخ محمد أسلم الباكستاني و«السراج المنير في تنبيه جماعة التبليغ علىٰ أخطائهم» للعلامة محمد تقي الدين الهلالي المغربي، و«التحذير البليغ من جماعة الدعوة والتبليغ» للعلامة حمود التويجري رحمهم الله جميعًا.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وإذا كانت الدعوة إلىٰ الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلىٰ حد يصل إليه السعي»[1].

فحقيق إذن أن تتلوث جماعة التبليغ بالضلالات الكثيرة، التي علىٰ رأسها سلوكهم مسلك المتصوفة الضلال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعية، حتىٰ يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتىٰ الكتاب فلا يحبون كتابًا ولا من معه كتاب ولو كان مصحفًا أو حديثًا.

كما حكىٰ النصر أباذي أنهم كانوا يقولون: يدع علم الخرق ويأخذ علم الورق، قال: وكنت أستر ألواحي منهم، فلما كبرت احتاجوا إلىٰ علمي.

وكذلك حكىٰ السري السقطي: أن واحدًا منهم دخل عليه فلما رأىٰ عنده محبرة وقلمًا، خرج ولم يقعد عنده.

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري: يا معشر الصوفية، لا تفارقوا السواد

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٧٦).

علىٰ البياض، فما فارق أحد السواد علىٰ البياض إلا تزندق.

وقال الجنيد: علمنا هذا مبني علىٰ الكتاب والسنة فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدىٰ به في هذا الشأن.

وكثير من هؤلاء ينفر ممن يذكر الشرع أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب؛ وذلك لأنهم استشعروا أن هذا الجنس فيه ما يخالف طريقهم؛ فصارت شياطينهم تهربهم من هذا كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين؛ حتىٰ لا يتغير اعتقاده في دينه، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه، وقال الله تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ﴾ [فصلت:٢٦].

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمۡ حُمُرٞ مُّسۡتَنفِرَةٞ ﴿٥٠﴾ فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةِۭ﴾ [المدثر:٤٩-٥١]»[1].

وأما مبدأ الإصلاح عند علماء الدعوة السلفية فهو يتميز بالدعوة إلىٰ التوحيد والسنة، ومحاربة الشرك والبدعة، لأجل أن الدعوة إلىٰ التوحيد تعد المنطلق الأساس في بداية دعوة الرسل لأممهم.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلىٰ الله تعالىٰ، قال تعالىٰ:

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٠/ ٤١١-٤١٢).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال هود لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾.

وقال صالح لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وقال شعيب لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فالتوحيد: مفتاح دعوة الرسل، ولهذا قال النبيﷺ لرسوله معاذ بن جبل ﷺ، وقد بعثه إلىٰ اليمن: **إنك تأتي قومًا أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله وحده، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة**، وذكر الحديث.

وقالﷺ: **أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله...**

فالتوحيد: أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبيﷺ: **من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة.**

فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره»[1].

---

(١) «مدارج السالكين» (٣ / ٤١١-٤١٢).

والبعد عن هذا الأصل الجليل من الدعوة إلىٰ التوحيد والسنة، هو الذي خلف هذا الواقع الأليم الذي يعيشه العالم الإسلامي اليوم من الذل والمهانة وتسلط الأعداء من اليهود والنصارىٰ والروافض الأرجاس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته، وطاعة رسوله ﷺ، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة الرسول ﷺ، والدعوة إلىٰ غير الله»[(١)].

وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «فكل خير عاجل وآجل؛ فإنه من ثمرات التوحيد، وكل شر عاجل وآجل؛ فإنه من ثمرات الشرك»[(٢)].

ومما يضاد إصلاح الأرض: إفسادها بالشرك بالله تعالىٰ، كما بين ذلك ربنا الله تعالىٰ قائلًا في كتابه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «قال أكثر المفسرين: لا تفسدوا فيها بالمعاصي، والداعي إلىٰ غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلىٰ طاعة الله مفسد؛ فإن عبادة غير الله،

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٥/ ٢٥).

(٢) «القواعد الحسان في تفسير القرآن» (ص١٣).

والدعوة إلىٰ غيره والشرك به هو أعظم الفساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو الشرك بالله، ومخالفة أمره، قال الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [العنكبوت:٤١]، قال عطية في الآية: ولا تعصوا في الأرض فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم. وقال غير واحد من السلف: إذا قحط المطر فالدواب تلعن عصاة بنىٰ آدم، فتقول: اللهم العنهم، فبسببهم أجدبت الأرض، وقحط المطر.

وبالجملة: فالشرك والدعوة إلىٰ غير الله وإقامة معبود غيره، أو مطاع متبع غير الرسول ﷺ، هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره، والطاعة والاتباع لرسول الله ﷺ وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ، فإن بمعصيته فلا سمع ولا طاعة، فإن الله أصلح الأرض برسوله ﷺ ودينه، وبالأمر بالتوحيد، ونهىٰ عن فسادها بالشرك به، ومخالفة رسوله ﷺ»[1].

فمن هذا كله نصل إلىٰ أمرين مهمين:

الأول: أن من أعظم أسباب انحطاط الأمم، وذلة الشعوب، وانتشار الفوضىٰ، والاضطربات، إنما هو نتيجة عن رذيلة الشرك بالله تعالىٰ، وشيوع البدع والضلالات.

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٥/ ٢٤).

الثاني: أهمية البدء بالدعوة إلىٰ التوحيد، وأنه يعد من منطلقات الأنبياء في دعوة أممهم، إذن فـ: «لا يجوز شرعًا ولا عقلًا العدول عن منهج الأنبياء المتمثل في الدعوة إلىٰ التوحيد ومحاربة خطر الشرك، واختيار سواه، وذلك لأمرين:

أولًا: أن هذا هو الطريق الأقوم الذي رسمه الله لجميع الأنبياء من أولهم إلىٰ آخرهم.

والله واضع هذا المنهج هو خالق الإنسان، والعالم بطبائع البشر وما يصلح أرواحهم وقلوبهم: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، وهو الحكيم العليم في خلقه وشرعه وقد شرع لأفضل خلقه هذا المنهج.

ثانيًا: أن الأنبياء قد التزموه وطبقوه، مما يدل دلالة واضحة أنه ليس من ميادين الاجتهاد، فلم نجد:

١- نبيًّا افتتح دعوته بالتصوف.

٢- وآخر بالفلسفة والكلام.

٣- وآخرين بالسياسة.

بل وجدناهم يسلكون منهجًا واحدًا واهتمامهم واحد بتوحيد الله أولًا في الدرجة الأولىٰ»[1].

---

(١) «منهج الأنبياء في الدعوة إلىٰ الله فيه الحكمة والعقل» (ص١٠٧) للعلامة ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-، وينظر ما بعده فإنه مهم.

وعلىٰ طريق الأنبياء والرسل-عليهم الصلاة والسلام- في دعوة أقوامهم للتوحيد ومحاربتهم لخطر الشرك، سار المجددون من علماء السنة علىٰ هذا الصراط المستقيم الثابت علىٰ تطاول القرون، وإن تجددت الوقائع وتغيرت الأحوال، واختلفت الأقطار كلها، كلهم أول ما يبدءون برفع راية التوحيد، وتحقيق كلمة الإخلاص، والنذارة عن الشرك، وطرح مظاهره، والتطهير من خفاياه، وهذا بعكس واقع كثير من الدعاة اليوم، يرون أمام أعينهم مظاهر الشرك فلا تحرك فيهم ساكنًا، ولا يحسبون لهذا الواقع المر حسابًا، بل الأدهىٰ والأَمَرُّ أنهم يتذمرون ممن ينكر ويتألم لهذا الواقع الجاهلي السيئ[١].

بينما إمام الدعاة وسيد الموحدين وخاتم الأنبياء والمرسلين نبينا ورسولنا محمدﷺ كان مما يقض مضجعه ولا يريح قلبه -عليه أزكىٰ الصلاة وأتم التسليم- هو: وجود الأوثان قرينة الأصنام في إضلال كثير من الناس، كما يدل عليه حديث جرير ﷺ قال: «كان بيت في الجاهلية يقال له: ذو الخلصة [٢]، والكعبة اليمانية، والكعبة الشامية، فقال لي النبي ﷺ: **ألا تريحني من ذي الخلصة**، فنفرت في مائة وخمسين راكبًا فكسرناه، وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فدعا لنا ولأحمس» [٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه (ص٨٥).

(٢) وذو الخلصة: اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وقيل: اسم البيت: الخلصة، واسم الصنم: ذو الخلصة، وحكىٰ المبرد: أن موضع ذي الخلصة صار مسجدًا جامعًا لبلدة يقال لها: العبلات من أرض خثعم. «فتح الباري» (٨ / ٧١).

(٣) أخرجه البخاري في«صحيحه» (رقم٤٣٥٥)، ومسلم في «صحيحه» (رقم٢٤٧٥).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-، عن لفظ النبي ﷺ: «ألا تريحني من ذي الخلصة»: «طلب يتضمن الأمر، وخص جريرًا بذلك؛ لأنها كانت في بلاد قومه وكان هو من أشرافهم، والمراد بالراحة: راحة القلب، وما كان شيء أتعب لقلب النبي ﷺ من بقاء ما يشرك به من دون الله تعالىٰ»[1].

ويقول العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن المعلوم أن هذه العوامل قام بها نبينا محمد ﷺ في مكة أولًا، ثم في المدينة ، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي صلح به أولها، كما قال أهل العلم والإيمان، ومن جملتهم الإمام المشهور مالك بن أنس، إمام أهل الهجرة في زمانه، والفقيه المعروف أحد الأئمة الأربعة، قال هذه المقالة وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده، ووافقوا عليها جميعًا: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.

والمعنىٰ: أن الذي صلح به أولها وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ هو الذي يصلح به آخرها إلىٰ يوم القيامة.

ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي، أو صلاح المجتمعات الأخرىٰ في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح بها الأولون فقد غلط، وقال غير الحق، فليس إلىٰ غير هذا من سبيل، إنما السبيل إلىٰ إصلاح الناس وإقامتهم علىٰ الطريق السوي، هو السبيل الذي درج عليه نبينا -عليه الصلاة

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٧٢).

والسلام-، ودرج عليه صحابته الكرام، ثم أتباعهم بإحسان إلىٰ يومنا هذا، وهو العناية بالقرآن العظيم، والعناية بسنة رسول الله ﷺ، ودعوة الناس إليهما والتفقه فيهما، ونشرهما بين الناس عن علم وبصيرة، وإيضاح ما دل عليه هذان الأصلان من الأحكام في العقيدة الأساسية الصحيحة»[(١)].

وقد كان من ثمار ما تحقق لأهل الدعوة السلفية المبنية علىٰ التوحيد، وأنوار السنة المحمدية، جملة طيبة من الخصال الحميدة، وهي:

١- أنهم في منأىً عن البدع والأهواء المضلة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ، كان أعظم توحيدًا لله وإخلاصًا له في الدين، وإذا بعد عن متابعته نقص من دينه بحسب ذلك، فإذا كثر بعده عنه ظهر فيه من الشرك والبدع ما لا يظهر فيمن هو أقرب منه إلىٰ اتباع الرسول»[(٢)].

٢- درئهم للشبهات والشهوات.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدرقوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور قوة وضعفًا، لا يحصيه إلا الله تعالىٰ.

فمن الناس من نور هذه الكلمة في قلبه كالشمس.

---

(١) «فتاوىٰ ابن باز» (١ / ٢٤٤).

(٢) «الفتاوىٰ» (١٧/ ٤٩٨).

ومنهم من نورها في قلبه كالكوكب الدري.

ومنهم من نورها في قلبه كالمشعل العظيم.

وآخر كالسراج المضيء.

وآخر كالسراج الضعيف.

ولهذا تظهر الأنوار يوم القيامة بأيمانهم، وبين أيديهم، علىٰ هذا المقدار، بحسب ما في قلوبهم من نور هذه الكلمة، علمًا وعملًا، ومعرفة وحالًا.

وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتىٰ إنه ربما وصل إلىٰ حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة، ولا ذنبًا، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئًا، فأي ذنب أو شهوة أو شبهة دنت من هذا النور أحرقها، فسماء إيمانه قد حرست بالنجوم من كل سارق لحسناته، فلا ينال منها السارق إلا علىٰ غرة وغفلة لابد منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سرق منه استنقذه من سارقه، أو حصل أضعافه بكسبه، فهو هكذا أبدًا مع لصوص الجن والإنس، ليس كمن فتح لهم خزانته، ووليٰ الباب ظهره »[1].

وأيضًا من الخلال التي اتصف بها أهل دعوة التوحيد والسنة الآتي:

٣ - كمال عقولهم، ورزانتها.

---

(١) «مدارج السالكين» (١ / ٣٣٨-٣٣٩).

٤- سداد كلامهم.

٥- الفرقان بين الصادق والمبطل.

٦- حسن الفهم.

٧- سلامة القصد.

٨- الثبات والاستقرار.

٩- عمق فهومهم للنصوص.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ- في وصفه لأهل السنة والحديث:

«فهم أكمل الناس عقلًا وأعدلهم قياسًا وأصوبهم رأيًا وأسدهم كلامًا وأصحهم نظرًا وأهداهم استدلالًا، وأقومهم جدلًا، وأتمهم فراسة، وأصدقهم إلهامًا، وأحدهم بصرًا ومكاشفة، وأصوبهم سمعًا ومخاطبة، وأعظمهم وأحسنهم وجدًا وذوقًا، وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلىٰ سائر الأمم، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلىٰ سائر الملل.

فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحدَّ وأسدَّ عقلًا، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين؛ وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٦-٦٨]»[(١)].

وأما أصحاب الدعوات المعاصرة قاطبة، فإن أهلها قد اتصفوا بسخافة العقل، وسفاهته، وطيشه، وخفته، فتولد عن ذلك: التناقض، والاضطراب، والتقلب، والتلون في الدين، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: «فمن سلك سبيل أهل السنة استقام قوله، وكان من أهل الحق والاستقامة والاعتدال، وإلا حصل[(٢)] جهل وكذب وتناقض»[(٣)].

وهذا الوصف المذكور فيهم يعد من القواعد المطردة لكل من أقصىٰ المنهج الأسمىٰ المتمثل بالبداية بالتوحيد، ونشر السنة، ومكافحة الشرك والبدع.

يقول العلامة المحقق ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وكلما كان الرجل عن الرسول أبعد كان عقله أقل وأفسد، فأكمل الناس عقولًا أتباع الرسل، وأفسدهم عقولًا المعرض عنهم وعما جاءوا به، ولهذا كان أهل السنة والحديث أعقل الأمة، وهم في الطوائف كالصحابة في الناس»[(٤)].

---

(١) «الفتاوىٰ» (٤/ ٩-١٠).

(٢) في المطبوع زيادة: (في)، ولعل الصواب هو حذفها ليستقيم الكلام.

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٤ / ٣١٣)، وسيأتي في مبحث التمييع بيان أكثر.

(٤) «الصواعق المرسلة» (٣ / ٨٦٤).

الصفة الثالثة
سوء الأخلاق

اتصافهم بدناءة الأخلاق، وهذا الوصف يطرد في كل من انحرف وعاد يتناوله لقب أهل الأهواء، ومما يدل علىٰ الترابط بين سوء الخلق واتباع الهوىٰ، حديث زياد ابن علاقة عن عمه[١] ﷺ قال: «كان النبي ﷺ يقول: **اللهم إني أعوذ بك من منكرات الأخلاق، والأعمال، والأهواء**»[٢].

يقول العلامة الخضر حسين -رحمه الله تعالىٰ-: «زيغ العقيدة مصدر الأخلاق المرذولة في كل حين، والانحراف الناشئ عن زيغ العقيدة أصعب علاجًا من الانحراف الناشئ عن طغيان الشهوة، فإن زائغ العقيدة يستهين ببعض محاسن الآداب، بزعم أنها ليست من الحسن في شيء، ويخرج عن حدود المكارم بدعوىٰ أن هذه الحدود رسمت علىٰ غير حكمة»[٣].

---

(١) وعم زياد بن علاقة هو قطبة بن مالك صاحب النبي ﷺ، «سنن الترمذي» (٥ / ٥٧٥).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (رقم٣٥٩١)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» (١٢٩٨).

(٣) «رسائل الإصلاح» (ص٢٢).

ومثال ما يوضح أن صاحب الهوىٰ يقارنه سوء الخُلق، ما ورد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ، وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: **ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل..**» [١].

ومواقف سوء أدب الخوارج مع الصحابة رضي الله عنهم بالخروج عليهم بالطعن فيهم، وتكفيرهم، ثم بالسيف، معلومة مشهورة، وصدق الإمام أحمد بن حنبل فقد قال عنهم: «الخوارج قوم سوء لا أعلم في الأرض قومًا شرًّا منهم» [٢].

ومثال آخر: وهو ما ذكر في ترجمة أبي بكر البنديجي الحنفش[٣] الفقيه، قال أحمد بن صالح عنه: «كان يتهاون بالشرائع، ويعطل، ويستخف بالحديث وأهله ويلعنهم» [٤]، وقال السمعاني: «كان شيخًا عسرًا، سيئ الخلق والمعتقد» [٥].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٤١٤)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٠٦٤).

(٢) «السنة» للخلال (١ / ١٤٥).

(٣) لقب بذلك لأنه: تحنبل ثم تحنف ثم تشفع. «ميزان الاعتدال» (٣ / ٥٢٨)، والمستفاد من «ذيل تاريخ بغداد» (١ / ١١).

(٤) «ميزان الاعتدال» (٣ / ٥٢٨).

(٥) «الأنساب» (١ / ٤٠٣).

وهكذا هو حال الحدادية في عصرنا، فهي جامعة بين آفتين وهما: فساد الطريقة مع سوء الخلق.

يقول العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «فللحداد حزب لئيم، قام علىٰ الفجور والكذب، وعلىٰ أردأ الأخلاق، التي تفوق في الشراسة والخِسَّة شراسة الوحوش وخستها، عرفهم بذلك القاصي والداني في مختلف مناطق المملكة...» (١).

وقال أيضًا: «وهذه الأخلاق الرديئة يتحلىٰ بها خصوم أهل السنة اليوم، ولكل قوم وارث، ولا سيما الذين يلبسون لباس السلفية...» (٢).

وسوء أخلاقهم السافلة إنما نشأت عندهم من جهتين:

الأولىٰ: تخلخل توحيدهم، وزيغ منهجهم-كما تقدم الكلام عنهم-، ومما يترتب علىٰ هذا الوصف هو فقدانهم للتربية الصحيحة الصالحة، ولا شك أن «العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزتهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم، وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أممهم، والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية، وأن الجمع بين التربية والتعليم

---

(١) «إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل» (ص١١).

(٢) «بيان ما في نصيحة إبراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال» (ص٢٠).

هو وظيفة النبوة التي بينها الوحي في آية: ﴿وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]»[١].

ويقول العلامة محمد صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «...العلم بدون تربية يكون ضرره أكثر من نفعه، لكن مع التربية يكون العلم مؤديًا لنتيجته المقصودة، ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:١٧٩]. هذه فائدة العلم أن يكون الإنسان ربانيًّا بمعنىٰ: مربيًا لعباد الله علىٰ شريعة الله»[٢].

ويجلي لك أخي القارئ وجه علاقة العلم بالتربية الصالحة بما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- بقوله: «...ولا بد من ذلك أن يكون زكيًّا صافيًّا سليمًا حتىٰ يزكو فيه العلم ويثمر ثمرًا طيبًا، وإلا فلو قبل العلم وكان فيه كدر وخبث أفسد ذلك العلم، وكان كالدغل في المزدرع إن لم يمنع الحب من أن ينبت منعه من أن يزكو ويطيب وهذا بين لأولي الأبصار»[٣].

وعلىٰ ضوء ما تقدم نخلص إلىٰ شيئين مهمين، وهما:

أ- أن من فقد التربية الصالحة، فلابد أن يتصف بضدها وهي الأخلاق

---

(١) قاله العلامة السلفي الإمام محمد البشير الإبراهيمي كما في «الآثار» (٤ / ١٧٣).

(٢) «كتاب العلم» (ص ١٨٩).

(٣) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥ / ٤٨).

الذميمة، التي من آثارها السيئة علىٰ العبد ما جاء بيانه علىٰ لسان نبينا محمد ﷺ، حيث قال: «**وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**»(١).

وكذلك حديث أبي ثعلبة الخشني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة محاسنكم أخلاقًا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني في الآخرة أسوؤكم أخلاقًا**»(٢).

قال العلامة عبد الرحمن يحيىٰ المعلمي -رحمه الله تعالىٰ-: «النفوس الأرضية تربة من شأنها أن تنبت الأخلاق الذميمة ما لم تسق بماء الإيمان الطاهر، وتشرق عليها شمس العلم الديني الصحيح، وتهب عليها رياح التذكير الحكيم، فأي أرض أمحلت من ذلك الماء، وحجب عنها شعاع تلك الشمس، وسدت عنها طرق تلك الرياح، كان نباتها كما قال الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠]»(٣).

ب- يتقرر أن «الأخلاق الكريمة لا تستقيم إلا علىٰ العقيدة السليمة»(٤)،

---

(١) أخرجه الطبراني في«المعجم الكبير» (١٢ / ٤٥٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١ / ٢٩٢-٢٩٣)، وحسنه الإمام الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٩٠٦) من حديث ابن عمر ﷺ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢٩ / ٢٦٧)، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٦٢).

(٣) «محاضرة في علم الرجال وأهميته» (ص٢١٨) ضمن«مجموع الرسائل الحديثية».

(٤) «رسائل الإصلاح» (ص٢٣) محمد الخضر حسين، ويراجع: «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٩٩-٣٠٠) فهو مهم.

بل«لا شبهة في أن إصلاح العقائد أساس لتهذيب الأخلاق» [١].

يقول العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله تعالىٰ-: «إن العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة، ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك، وألوان البدع والخرافات؛ لتبعث من دان بها إلىٰ العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة ، والآداب السامية، وتجعل منه رجلًا مثاليًّا في الحياة، إن حكم عدل، وإن قال فقوله سديد، وإن عمل كان علىٰ جادة الكتاب والسنة، وإن عاشر الناس، وجدوا منه خير سيرة، فمظهره يشرح للناس الإسلام ويفسره تفسيرًا عمليًّا بقوله وعمله وخلقه، ومن ضعف يقينه أو كانت عقيدته مدخولة قد شابها كثير من البدع والخرافات، أو غلب عليه الغرور والاعتداد برأيه، وإن خالف وحي السماء، أو طغت عليه الشُّبه، واستولت عليه الشكوك والأوهام، ضرب في كل واد، وأخذ في بُنيات الطريق، وضل عن سواء السبيل» [٢].

وقال العلامة ابن عثيمين-رحمه الله تعالىٰ-: «وإذا فسدت الخُلق فسدت العقيدة، وإذا فسدت العقيدة زال تعلق المسلمين بربهم، وحينئذٍ صاروا أضعف الأمم، نسأل الله الحماية والسلامة» [٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) «فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي» (ص ١٦٣).

(٣) «تفسير القرآن الكريم» (ص٣٩) ، ط: الثريا.

فتحقق من هذا عظم شأن أمر التوحيد، وما له من الأثر الكبير علىٰ عبادة الشخص، وكذا تقويم سلوكه وخلقه، وهذه الثمار لن تدرك إلا بالعكوف علىٰ تعلم التوحيد وتحقيق ذلك عملًا، وأين أولئك الحدادية الذين اشتغلوا بالكذب والافتراء والغمز والقيل في العلماء السلفيين، من تحقيق هذا العلم الأعلىٰ علمًا وعملًا؟!

وقد أحسن من قال:

والعلم للرجل اللبيب زيادة ... ونقيصه للأحمق الطياش

مثل النهار يزيد أبصار الورىٰ ... نورًا ويعمي أعين الخفاش

الثانية:

أن منهج الحدادية الفاسد أداة هدامة لمنهج السلف الصالح[1]، وغير خافٍ علىٰ القارئ ما اتصف به أهل الرعيل الأول من الخلال الشريفة والآداب المنيفة، فقد كانوا بحق هم محل القدوة والتأسي في الفضائل والمكرمات العليا، وهذه الأخلاق الطيبة التي عرف بها جيل السلف إنما استمدوها ونالوها بفضيلة الصحبة لصاحب الخلق العظيم نبينا محمد ﷺ كما مدحه بذلك ربه ﷻ القائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

وهذه الآية الكريمة تعد كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله: «من أعظم آيات نبوته ورسالته لمن منحه الله فهمها، ولقد سئلت أم المؤمنين عن خلقه ﷺ،

(١) كما تقدم بيانه.

فأجابت بما شفىٰ وكفىٰ، فقالت: «كان خلقه القرآن»[١]، فهم سائلها أن يقوم ولا يسألها شيئًا بعد ذلك.

وقال ابن عباس وغيره: أي: علىٰ دين عظيم[٢]، وسمىٰ الدين خلقًا؛ لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة، وإرادات زاكية، وأعمال-ظاهرة وباطنة-موافقة للعدل والحكمة والمصلحة وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقًا هي أزكىٰ الأخلاق وأشرفها وأفضلها.

فهذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ المقتبسة من مشكاة القرآن؛ تفصيلًا له وتبيينًا، وعلومه علوم القرآن، وإراداته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره، وتبليغه، والجهاد في إقامته.

فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن، وبالرسول ﷺ وحسن تعبيرها، عن هذا كله بقولها: «كان خلقه القرآن»، وفهم السائل عنها هذا المعنىٰ، فاكتفىٰ به واشتفىٰ»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (برقم ٧٤٦).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٧٩).

(٣) «التبيان في أيمان القرآن» (ص٣١٧-٣١٨).

وقد جاء الحض علىٰ التمسك بأخلاق السلف الصالح، والتأسي بهم، كما في قول الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ: «...وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم؛ فإنهم كانوا علىٰ الهدي المستقيم»[(١)].

وكذلك الحال فيمن بعدهم من طلابهم، فقد عُرفوا أيضًا بالحرص علىٰ تعلم الهدي والسمت، والتحلي بالشمائل والخلال الكريمة، من أهل الطراز الأول؛ فكانوا كما وصفهم التابعي الجليل محمد بن سيرين-رحمه الله تعالىٰ-: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»[(٢)].

وفي تسلسل هذه الآداب المنيفة، وحرص الخلف علىٰ التشبه بالسلف في السمت والهدي، والأخلاق الشريفة.

يقول الحافظ أبي عبد الله الذهبي -رحمه الله تعالىٰ- ناقلًا عن بعض الأئمة قوله: «وبلغنا أن أبا داود كان من العلماء العاملين حتىٰ إن بعض الأئمة قال: كان أبو داود يشبه بأحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته، وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع، وكان وكيع يشبه في ذلك سفيان، وسفيان بمنصور، ومنصور بإبراهيم، وإبراهيم بعلقمة، وعلقمة بعبد الله بن مسعود،

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (رقم١٨١٠)، والهروي في «ذم الكلام» (رقم٧٤٦)، وهذا إسناده منقطع إلا أن له شاهدًا حسنًا من قول ابن عمر ﷺ عند أبي نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٠٥).

(٢) «الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع» (١/ ٧٩).

وقال علقمة : كان ابن مسعود يشبه بالنبيﷺ في هديه ودله»[١].

وعلىٰ سير أعلام النبلاء في الآداب العالية، والأخلاق الفاضلة، سار علماء العصر من أهل الدعوة السلفية، من أمثال : سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز، والعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، والعلامة الفقيه محمد صالح بن عثيمين، والعلامة محمد أمان الجامي، والعلامة حماد الأنصاري، والعلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي، والعلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي-رحمهم الله جميعًا وأسكنهم فسيح الجنات- ومن الأحياء كذلك -حفظهم الله تعالىٰ-.

وكل هؤلاء الأعلام يعدون مدرسة في فضائل الأخلاق، وصالح الأعمال، وهذا إنما أتاهم من تحقيق الخشية الكاملة لله-تبارك وتعالىٰ-، التي ثمرتها الإيمان الصادق، والإخلاص، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة:٧-٨]. فاقتضت الآيتان أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالىٰ، وأن الذين يخشون الله تعالىٰ هم خير البرية فينتج أن العلماء هم خير البرية[٢].

قال الإمام الجهبذ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «رأس العلم

---

(١) «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٥٩٢).

(٢) «تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم» لابن جماعة الكناني (ص٥).

خشية الله ﷻ، فإن من خشية الله أن يؤدي العالم ما يجب عليه، وكلما كانت خشيته لله أكمل صار إخلاصه أعظم، وصار أداؤه للأمانة أكمل، يقول ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]؛ أي: العلماء بالله، العارفين به، المعظمين لحرماته، البصيرين بكتابه وسنة نبيه-عليه الصلاة والسلام-، فهم أفضل الناس خشية، وأكثرهم تعظيمًا لله، وأقومهم بحقه بعد الرسل والأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

فالحصر هنا للكمال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] أي: الخشية الكاملة، وإلا فمعلوم أن كل مؤمن وكل مسلم يخشىٰ الله، وإن تفاوتت المراتب؛ لكن كل مسلم يخشىٰ الله، ولهذا أسلم لله، وقام بما قام به من حق الله.

وكلما كان المؤمن أخشىٰ لله وأعظم خوفًا منه؛ صار قيامه بالواجب أكثر؛ ولكن العلماء بالله، المتبصرون في دينه، الفقهاء في شريعته، هم أفضل وأعظم الناس خشية، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ أي: إنما يخشاه خشية كاملة العلماء به ﷻ، القائمون بحقه، الفقهاء في دينه، المتبصرون في شرعه.

وعلىٰ حسب خشية العالم لله، وعلىٰ حسب بصيرته، وعلىٰ حسب استحضاره ما يجب عليه من أداء الأمانة؛ يكون توجهه للعلم وطلبه وازدياده من العلم، وعمله بالعلم في نفسه وفي غيره...وكلما عظم الإخلاص

والخشية لله ﷻ؛ انتشر العلم والعمل، وازداد الصبر والثبات، وعظم الأثر في الناس»[١].

ولهذا كان هؤلاء الأعلام في الذود عن السنة أسودها، وفي الرد علىٰ المبتدعين فرسانها، فرفع الله تعالىٰ منزلتهم، وأعلىٰ مقدارهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «والذين رفع الله قدرهم في الأمة هو بما أحيوه من سنته ونصرته»[٢].

وهذا واحد من هؤلاء العلماء الأفذاذ، وهو الإمام الرباني سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز-رحمه الله تعالىٰ-، فإن كل من صحبه أو طالع ما كتب حوله، يقطع بيقين أنه من حجج الله علىٰ أهل زمانه؛ لما حباه الله تعالىٰ من الأخلاق العليا، ونصرة للسنة وأهلها، وقمع للمبتدعين، ينطبق عليه بحق ما قاله شعيب بن حرب في سفيان الثوري-رحمهما الله تعالىٰ-: «إني لأحسب أنه يجاء غدًا بسفيان حجة من الله علىٰ خلقه، يقول لهم: لم تدركوا نبيكم، قد رأيتم سفيان»[٣].

ولقد أجاد من قال:

آثاره تنبيك عن أخباره ... حتىٰ كأنك بالعيان تراه

---

(١) من درس «أخلاق العلماء وأثرها في الأمة».

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ١٨٢).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧ / ٢٣٩).

تـــالله لا يأتـــي الـــزمان بمـــثله أبـــدًا ولا يحمـــي الـــثغور ســـواه

وأذكر بهذه المناسبة وذلك في سنة ١٤٢٣ هـ بالمسجد النبوي، أن بعض الأغرار من الشباب ممن تربىٰ تربية حركية، قال لي علىٰ سبيل الذم في العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ-: أن الشيخ أعمىٰ، وقبله أعمىٰ[1]، وقد جاء بعده أعمىٰ؛ يعني به الشيخ العلامة عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-؛ ومراده أنهم لا يدرون ما يدور حولهم، فكيف يفقهون واقعهم؟!

فلم يدرِ هذا الغر المتمضخ بلوثة الجهل أن العمىٰ مما يبتلي به الله ﷻ أولياءه الصالحين.

---

(١) أي: سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله تعالىٰ-، وكذلك مثله في الطعن تلك الحملة الشعواء من تلاميذ يحيىٰ الحجوري المنحرف علىٰ الشيخ عبيد الجابري ووصفه: «بأعمىٰ البصر والبصيرة»، هكذا الأوغاد الأسافل يصفونه!!، ومثل هذا الصنف المتمرد علىٰ العلماء، يقال لهم: «ولكن العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلًا، والجاهل لا يعرف العالم لأنه ما كان عالمًا»، «الفقيه والمتفقه» (١ / ٤٢٤)، وذكره شيخ الإسلام في«جواب الاعتراضات المصرية» (ص ١٧٢).

وهذه الأشكال بأفكارها الغريبة، وتصرفاتها الخرقاء المريبة هم والمنهج الحدادي علىٰ خط سواء، فقد غرهم الشيطان، ووطأ لهم الضلال، بتوجيه السهام الخاسئة من أنواع الثلب، والافتراء علىٰ علماء السنة المبجلين؛ وإن المكان اللائق بمثل هؤلاء السفهاء، كما قال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ- عن أقوام ضلال: «فوالله لأن يعيش المسلم جاهلًا خلف البقر لا يعرف من العلم شيئًا سوىٰ سور من القرآن يصلي بها الصلوات، ويؤمن بالله وباليوم الآخر خير له بكثير من هذا العرفان وهذه الحقائق، ولو قرأ مائة كتاب أو عمل مائة خلوة». «ميزان الاعتدال» (٣ / ٦٦٠).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا لم يكن في الصحابة أطرش، وكان فيهم جماعة أضراء، وقل أن يبتلي الله أولياءه بالطرش، ويبتلي كثيرًا منهم بالعمىٰ»[(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كمال لطفه أن عكس نور بصره إلىٰ بصيرته فهو أقوىٰ الناس بصيرة وحدسًا»[(٢)].

ولله در القائل:

ما عماء العيون مثل عمىٰ القلب ... فهذا هو العمىٰ والبلاء

فعماء العيون تغميض عين ... وعماء القلوب ذاك الشقاء[(٣)]

وما اتصف به أتباع الحداد من مساوئ الأخلاق، إنما هو شيء ورثوه من رئيس طريقتهم محمود الحداد، الذي عرف بمجانبته لدروس أهل العلم السلفيين، وقنوعه بالطعن والثلب فيهم، وهذا من خذلان الله تعالىٰ له، ولأتباعه السفلة الرعاع[(٤)].

قال العلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالىٰ-: «فالعجب كل العجب ممن يصغي ويأخذ بأقوال أناس ليسوا بعلماء ولا قرءوا علىٰ أحد من المشايخ، فيحسنون الظن بهم فيما يقولونه وينقلونه، ويسيئون الظن

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٢٠٨).

(٢) المصدر نفسه (٢/ ٢٠٦).

(٣) «عجائب الآثار» عبد الرحمن الجبرتي رَحِمَهُ اللَّهُ (٣ / ٢٣٣).

(٤) سيأتي شرحه قريبًا.

بمشايخ أهل الإسلام وعلمائهم الذين هم أعلم منهم بكلام أهل العلم، وليس لهم غرض في الناس إلا هدايتهم وإرشادهم إلىٰ الحق الذي كان عليه ﷺ وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها.

وأما هؤلاء المتعالمون الجهال فكثير منهم-خصوصًا من لم يتخرج علىٰ العلماء منهم- وإن دعوا الناس إلىٰ الحق فإنما يدعون إلىٰ أنفسهم ليصرفوا وجوه الناس إليهم؛ طلبًا للجاه والشرف والترؤس علىٰ الناس؛ فإذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا »[1].

قال عمرو بن قيس الملائي -رحمه الله تعالىٰ-: «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل البدع فايئس منه، فإن الشاب علىٰ أول نشوئه».

وقال أيضًا: «إن الشاب لينشأ، فإن آثر أن يجالس أهل العلم كاد أن يسلم، وإن مال إلىٰ غيرهم كاد أن يعطب».

قال الإمام الحافظ ابن بطة العكبري -رحمه الله تعالىٰ- معلقًا: «فانظروا- رحمكم الله- من تصحبون وإلىٰ من تجلسون، واعرفوا كل إنسان بخدنه، وكل أحد بصاحبه، أعاذنا الله وإياكم من صحبة المفتونين، ولا جعلنا وإياكم من إخوان العابثين، ولا من أقران الشياطين، وأستوهب الله لي ولكم عصمة

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص ٢٤- ٢٥).

من الضلال، وعافية من قبيح الفعال»[١].

وقال العلامة عبد العزيز بن محمد القيرواني -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن رأيتموه يجانب العلماء فجانبوه؛ فإنه لا يجانبهم إلا ضال مبتدع غير مقتدٍ بالشرع ولا متبع، فإن الشرائع لا تؤخذ إلا عن العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، كيف وقد جعل الله شهادته وشهادة ملائكته كشهادة أولي العلم، قال الله تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨]»[٢].

(١) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة -رحمه الله تعالىٰ- (١ / ٢٠٥-٢٠٦).

(٢) «المعيار المعرب» (١١/ ٣١).

الصفة الرابعة
حب الرئاسة والتصدر

وقوعهم بما جاء في السنة تسميته بـ: الشهوة الخفية، فقد جاء عن عبد الله بن زيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يا نعايا العرب! يا نعايا العرب! -ثلاثًا- إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية**»[(١)].

قال أبو بكر بن أبي داود: سمعت أبي يقول: «الشهوة الخفية: حب الرياسة»[(٢)].

ومرض حب الرئاسة والتصدر المتأصل في الحدادية يفسره حملتهم الشرسة بالقدح في أئمة السنة السلفيين، ونشرهم للفوضىٰ وتحريك الفتنة والشقاق بين شباب الأمة وعلمائها.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧ / ١٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (رقم٦٨٢٤)، و«الزهد الكبير» (رقم٣١٦)، وحسَّن إسناده الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (رقم٥٠٨).

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٥٨)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٠٠).

وبما أن من عادة النفس كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالىٰ-: «مشحونة بحبّ العلو والرياسة بحسب إمكانها، فتجد أحدهم يوالي من يوافقه علىٰ هواه، ويعادي من يخالفه في هواه، وإنما معبوده: ما يهواه ويريده، قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]»[(١)].

ولذلك تعلقت محبة العلو والرئاسة والشهرة بالبغي، والظلم، والعدوان.

قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣]، قال سعيد بن جبير: العلو: البغي[(٢)].

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلم من هذا الحصر في الآية الكريمة: أن الذين يريدون العلو في الأرض أو الفساد، ليس لهم في الدار الآخرة نصيب، ولا لهم منها نصيب»[(٣)].

ومن عبارات العلماء التي ترشد إلىٰ بيان شدة خطورة الاتصاف بالنفسية الفرعونية[(٤)] الآتي:

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٤/ ٣٢٤).

(٢) «ذم البغي» لأبي بكر بن أبي الدنيا (رقم٤٠)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (٦ / ٢٥٨).

(٣) «تفسير السعدي» (ص٦٢٤).

(٤) **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض العارفين: ما من نفس إلا وفيها ما في نفس فرعون، غير أن فرعون قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمر». «الفتاوىٰ» (١٤/ ٣٢٤).

أ- **قال الإمام المبجل أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالىٰ-**: «قال سفيان: حب الرياسة أعجب إلىٰ الرجل من الذهب والفضة، ومن أحب الرياسة طلب عيوب الناس أو عاب الناس» (١).

ب - **قال الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما من أحد أحب الرئاسة إلا حسد وبغىٰ، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير» (٢).

ج- **قال يوسف بن أسباط** رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت سفيان يقول: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرئاسة، ترىٰ الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامىٰ عليها وعادىٰ» (٣).

د- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-**: «حب الرياسة هو أصل البغي والظلم» (٤).

وكيف إذا انضم مع حب الرئاسة: اتباع الأهوية الفاسدة، فلا ريب أن المبتلىٰ بهذا الداء درجة خطورته أعظم وأشد.

يقول العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «لذلك يعسر خروج حب الرئاسة من القلب إذا انفرد، حتىٰ قال الصوفية: حب الرئاسة آخر ما يخرج

---

(١) «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٤)، و«الآداب الشرعية» (٢/ ٢٣٠).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (١ / ٥٧١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٢)، و«الحلية» لأبي نعيم (٧ / ٣٩).

(٤) «الفتاوىٰ» (١٨/ ١٦٢).

من قلوب الصديقين! فكيف إذا انضاف إليه الهوىٰ من أصل، وانضاف إلىٰ هذين الأمرين دليل في ظنه شرعي علىٰ صحة ما ذهب إليه؟! فيتمكن الهوىٰ من قلبه تمكنًا لا يمكن في العادة الانفكاك عنه، وجرىٰ منه مجرىٰ الكَلَبِ من صاحبه »[١].

ولما كانت الحدادية من أخص صفاتها حب الرئاسة واتباع الهوىٰ كما هو معلوم عنهم، فإن أصحاب هذا التيار قد لازمهم جملة كثيرة من الأمراض المزمنة الفتاكة ، والتي منها ما يلي:

١- المكابرة والعناد والإصرار علىٰ الباطل والتمادي فيه، والجرأة العجيبة علىٰ تقليب الأمور بجعل الحق باطلًا، والباطل حقًّا، والصدق كذبًا، والكذب صدقًا، وجعل الأقزام جبالًا، والجبال أقزامًا، وتعظيم ما حقر الله، وتحقير ما عظم الله ورمي خصومهم الأبرياء بآفاتهم وأمراضهم المهلكة[٢].

ومما نجم عن داء العناد والمكابرة ما سلكته الحدادية، مع العلماء من المسالك المستهجنة، والسلوكيات السافلة، التي من أبشعها في السوء والخبث الآتي:

٢- المخاصمة والجدال بغير علم ولا هدىٰ ولا كتاب منير، وهذا الخلق المشين يعتبر من أقوىٰ أسلحة الشياطين في محاربتهم لأهل الحق،

---

(١) «الاعتصام» (١ / ٢٥٢- ٢٥٣).

(٢) «المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح» (ص٤٨٧).

ولذلك خَصَّه ﷻ بالذكر دون غيره، قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١] ، فأرشدت هذه الآية الكريمة بأن ما يوجد عند أهل البدع والضلال من شبهات ما هي إلا من وحي أوليائهم الشياطين ليجادلوا بها حجج أهل الحق ودعوتهم النيرة.

ولذلك كانت المجادلة بالباطل من أحد أسباب ترك سبيل الهدىٰ وركب سنن الضلالة [(١)]، كما جاء عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ضل قوم بعد هدىٰ كانوا عليه إلا أوتوا الجدل**، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]».

ومن هذا حكم أئمة السلف بأن أهل الأهواء والبدع أهل خصومة وجدال، فمما ورد عنهم في ذلك ما يلي:

١- **قال عمرو بن قيس:** «قلت للحكم: ما اضطر الناس إلىٰ الأهواء؟ قال: الخصومات» [(٢)].

٢- **قال عطاء بن أبي رباح في قوله تعالىٰ:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾ [الأنعام:١٥٩] «هم أصحاب الخصومات والمراء في دين الله» [(٣)].

٣- **قال أبو قلابة -رحمه الله تعالىٰ- وكان أدرك غير واحد من أصحاب**

---

(١) «فيض القدير» (٥ / ٤٥٣).

(٢) «الشريعة» للآجري (١ / ٤٤٣).

(٣) «ذم الكلام وأهله» (٤ / ٣١٢).

رسول الله ﷺ: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء -أو قال: أصحاب الخصومات- فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون»[١].

٤- **قال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله تعالىٰ-**: «ولا تجالس أصحاب الخصومات؛ فإنهم يخوضون في آيات الله، وإياك والمراء والجدال في الدين؛ فإن ذلك يحدث الغل ويخرج صاحبه وإن كان سنيًّا إلىٰ البدعة؛ لأن أول ما يدخل علىٰ السني من النقص في دينه إذا خاصم المبتدع مجالسته للمبتدع ومناظرته إياه، ثم لا يأمن أن يدخل عليه من دقيق الكلام وخبيث القول ما يفتنه أو لا يفتنه، فيحتاج أن يتكلف له من رأيه مما يرد عليه قوله مما ليس له أصل في التأويل، ولا بيان في التنزيل، ولا أثر من أخبار الرسول ﷺ»[٢].

فحري إذن أن كان من أهل المخاصمة والجدال أن يحرم من البركة في العلم، كما هو شأن أهل البدع.

قال حسان بن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا أراد الله بقوم شرًّا ألقىٰ بينهم الجدل، وخزن العلم»[٣].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي -رحمه الله تعالىٰ-: «ومما أنكره أئمة

---

(١) «السنة» لعبد الله بن أحمد (١ / ١٣٧).

(٢) «الشرح والإبانة علىٰ أصول السنة والديانة» (ص ٢٥٧-٢٥٨).

(٣) «الفقيه والمتفقه» (١ / ٣٢٧).

السلف، الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام أيضًا، ولم يكن ذلك طريقة أئمة الإسلام، وإنما أحدث ذلك بعدهم كما أحدثه فقهاء العراقين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم، حتىٰ شغلهم عن العلم النافع.

وقد أنكر ذلك السلف، وورد الحديث المرفوع في السنن: «**ما ضل قوم بعد هدىٰ، إلا أوتوا الجدل**، ثم قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]».

وقال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًّا أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل»[1].

وقال أيضًا -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلىٰ أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر، وعمر، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت كيف كانوا؟ كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه.

وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم،

---

(١) «فضل علم السلف علىٰ الخلف، من مجموع رسائل ابن رجب» (٣/ ١٩).

وكذلك تابعو التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين، والتابعون أعلم منهم، فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

وقد كان النبي ﷺ أوتي جوامع الكلم[١]، واختصر له الكلام اختصارًا»[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما من إنسان في الغالب أعطي الجدل إلا حرم بركة العلم؛ لأن غالب من أوتي الجدل يريد بذلك نصرة قوله فقط؛ وبذلك يحرم بركة العلم؛ أما من أراد الحق فإن الحق سهل قريب لا يحتاج إلىٰ مجادلات كبيرة؛ لأنه واضح؛ ولذلك تجد أهل البدع الذين يخاصمون في بدعهم علومهم ناقصة البركة لا خير فيها؛ وتجد أنهم يخاصمون، ويجادلون، وينتهون إلىٰ لا شيء؛ لا ينتهون إلىٰ الحق؛ لأنهم لم يقصدوا إلا أن ينصروا ما هم عليه.

فكل إنسان جادل من أجل أن ينتصر قوله فإن الغالب أنه لا يوفق، ولا يجد بركة العلم؛ وأما من جادل ليصل إلىٰ العلم، ولإثبات الحق، وإبطال الباطل؛ فإن هذا مأمور به؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٦٩٩٨)، ومسلم في« صحيحه» (رقم٥٢٣).

(٢) «فضل علم السلف علىٰ الخلف، من مجموع رسائل ابن رجب» (٣ / ٢١) وينظر ما بعده فمهم.

﴿ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]»[١].

ومن كان بهذا النعت من المخاصمة والجدال بالباطل، مع عدم البركة من العلم النافع، فذلك يقوده إلىٰ الفجور في الخصومة، لأجل ما يتصف به المخاصم من الميل عن الحق، وقول الباطل، والكذب[٢]، التي كلها من طلائع النفاق، وخبائث الأخلاق، كما جاء في حديث عبد الله بن عمرو: أن النبي ﷺ قال: «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتىٰ يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**»[٣].

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «ويعني بالفجور: أن يخرج عن الحق عمدًا حتىٰ يصير الحق باطلًا، والباطل حقًّا، وهذا مما يدعو إليه الكذب، كما قال ﷺ: «**إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار**».

وفي«الصحيحين» عن النبي ﷺ: «**إن أبغض الرجال إلىٰ الله الألد الخصم**».

وقد قال ﷺ: «**إنكم لتختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن**

---

(١) «تفسير القرآن» للعثيمين (٤ / ٣٥٦).

(٢) «شرح النووي علىٰ مسلم» (٢ / ٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٤)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٥٨).

بحجته من بعض، وإنما أقضي علىٰ نحو مما أسمع، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار».

وقال ﷺ: **«إن من البيان لسحرًا»**.

فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة -سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا- علىٰ أن ينتصر للباطل، ويخيل للسامع أنه حق، ويوهن الحق، ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات، ومن أخبث خصال النفاق، وفي « سنن أبي داود » [١] عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: **«من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتىٰ ينزع»**، وفي رواية له أيضًا[٢]: **«ومن أعان علىٰ خصومة بظلم، فقد باء بغضب من الله»**[٣].

وهذا ما عليه الحداد، والحدادية، من الفجور في الخصومة، واستعمال الكذب الفاضح علىٰ علماء الدعوة السلفية، كما هي عادة كل مبتدع ضال.

يقول الإمام الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا يبغض علماء أهل الحديث ويتكلم فيهم إلا من هو من أهل البدع

---

(١) (رقم ٣٥٩٩).

وصححه العلامة الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في «السلسلة الصحيحة» (رقم٤٣٧).

(٢) (برقم ٣٦٠٠).

وهو صحيح لغيره، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢ / ٢٧٠).

(٣) «جامع العلوم والحكم» (٢ / ٤٨٦- ٤٨٧).

والكذب والفجور»[١].

٣- التعصب الشنيع، والتعاون بينهم علىٰ الإثم والعدوان والبغي، والتناصر علىٰ الكذب والفجور، والتأصيلات الباطلة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «لا نعلم طائفة أعظم تعصبًا في الباطل من الرافضة حتَّىٰ إنهم دون سائر الطوائف عرف منهم شهادة الزور لموافقهم علىٰ مخالفهم؛ وليس في التعصب أعظم من الكذب»[٢].

٤- تصديرهم للسفهاء الجهال والرؤساء الضلال؛ وهي فتنة الناس علىٰ قديم الأيام وغابر الأزمان، وكيف بعصرنا هذا وقد وصلنا إلىٰ كدر الكدر!، قال بعض الأندلسيين، وقد أحسن:

أعـــوذ بـــالله مـــن أنـــاس تـــشيخوا قـــبل أن يـــشيخوا
احدودبـــوا وانحـــنوا ريـــاء فاحـــذرهم إنهـــم فخـــوخُ

ثم إن الجهال لا يكتفون بهذا التصدير لهم، بل يعملون علىٰ الرفع بهم في مصاف العلماء، وعقد الولاء والبراء عليهم، مع غلو مقيت فيهم، وهذا من جنس دين الرافضة الأنجاس الأرجاس.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وكثير من الناس فيهم من الغلو في شيوخهم من جنس ما في الشيعة من الغلو في الأئمة»[٣].

---

(١) «جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية» (ص٣١).
(٢) «منهاج السنة النبوية» (٤ / ١٣٧-١٣٨).
(٣) «منهاج السنة النبوية» (٦ / ٤٣٠).

وقد جاء التحذير النبوي ممن كان علىٰ هذا الشكل من رؤساء البدع، وذلك في حديث أبي أمية الجمحي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»[(١)].

وقال ابن مسعود ﷺ: «لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم من أكابرهم، فإذا أخذوه عن أصاغرهم وشرارهم هلكوا»[(٢)].

وقد اختلف العلماء في تفسير الأصاغر، فقال عبد الله بن المبارك: الأصاغر: أهل البدع.

يقول العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «وهو موافق لأن أهل البدع أصاغر في العلم، ولأجل ذلك صاروا أهل البدع»[(٣)].

وقيل: هم صغار السن.

وسئل عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري رَحِمَهُ اللَّهُ **عن معنىٰ أثر ابن مسعود المتقدم، فأجاب**: «يريد: لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأن الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب وحدَّته وعجلته

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص٢١-٢٨١)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (رقم١٠٢)، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسة الصحيحة» (برقم٦٩٥).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم٨١٥)، واللالكائي في «شرح اعتقاد أهل السنة» (رقم١٠١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (رقم١٠٥٧-١٠٥٨).

(٣) «الاعتصام» (٣/ ١٣٠-١٣١).

وسفهه واستصحب التجربة والخبرة، فلا يدخل عليه في علمه الشبهة ولا يغلب عليه الهوىٰ ولا يميل به الطمع ولا يستزله الشيطان استزلال الحدث، ومع السن الوقار والجلالة والهيبة، والحدث قد تدخل عليه هذا الأمور التي أمنت علىٰ الشيخ، فإذا دخلت عليه وأفتىٰ هلك وأهلك»[١].

وقيل: الذي يستفتىٰ ولا علم عنده، وأن الكبير هو العالم في أي سن كان.

وقيل: من لا قدر له ولا حال[٢].

وكل هذه الأقوال في معنىٰ الأصاغر تجتمع في كبير رأس الحدادية، قاطع الطريق، والصاد عن العلم والعلماء.

قال العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «... لكن هؤلاء يُوالون ويُعادون علىٰ أشخاصٍ من أجهل الناس وأكذبهم وأفجرهم وأشدهم عداوة للمنهج السلفي وعلمائه، وتقديس هؤلاء الجهال المغرقين في الجهل والمعدودين في الأصاغر بكل المقاييس دينًا وسنًّا ومنهجًا وعقيدة ممن لا يعرفون بعلم ولا خلق إسلامي ولا أدب إسلامي ولا إنساني»[٣].

---

(١) «نصيحة أهل الحديث» (٢٩-٣٠) للخطيب البغدادي.

(٢) انظر: «الحوادث والبدع» (٧٠-٧٢)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٦١٧)، و«الاعتصام» (٣/ ١٣٠-١٣١).

(٣) «المجموع الواضح» (ص٤٨٨).

ومن البراهين الدالة على غُلواء الحدادية الشنيع في الحداد ما سبق من كلام الشيخ العلامة محمد أمان الجامي -رحمه الله تعالى-، حيث قال فيهم: «وعلى كلٍّ؛ الذي يستغرب أن يجد مثل هذا أتباعًا ؛ أتباعًا يصفقون له، بل يصفونه بأنه إمام» (١).

وقال العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-: «غلوهم في الحداد وادعاء تفوقه في العلم؛ ليتوصلوا بذلك إلى إسقاط كبار أهل العلم، والمنهج السلفي، وإيصال شيخهم إلى مرتبة الإمامة بغير منازع، كما يفعل أمثالهم من أتباع من أصيبوا بجنون العظمة، وقالوا على فلان وفلان ممن حاز مرتبة عالية في العلم: عليهم أن يجثوا على ركبهم بين يدي أبي عبد الله الحداد وأم عبد الله» (٢).

ومع هذا الغلو الفاحش من الحدادية في شيخهم، فإن العبد يعجب عندما يعلم أن شيخهم اللابس لباس التمشيخ، لم يعرف عنه قط بمجالسة أحد من العلماء، ولا يخال أن هذا المنفوخ الذي عمل بالتحقيق المزعوم للكتب، والأجزاء الحديثية، لم تمر على ناظريه كلمات للسلف الكثيرة؛ فيها الحث على تعلم العلم على أيدي الشيوخ، وكذا الحرص على ملاقاتهم، مثلما جاء على سبيل المثال من قول مكحول -رحمه الله تعالى-: «من فقه الرجل

(١) شريط: «القول المستجاد».

(٢) «منهج الحدادية، ضمن المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح» (٤٦٨-٤٦٩).

ممشاه ومدخله مع أهل العلم»[١].

يقول المنحرف المراوغ محمود الحداد: «وهو أني طلبت العلم من الكتب، وهذه حقيقة، ولم أطلبه علىٰ شيخ؛ لأننا كنا ونحن صغار نطلب العلم لا أكاد نجد شيخًا صالحًا، وإنما حولنا مشايخ القبورية والصوفية، فعصمني الله ﷻ بفضله ورحمته، ونسأله -جلَّ وعلا- أن يُتِمَّ ذلك حتىٰ نموت، عصمني من أن أدرس علىٰ هؤلاء الناس فأتلوث كما تلوث غيري ولا أن أخالط الإخوان وغيرهم كما خالطهم غيري فتلوث».

ويقال لهذا اللكع[٢] **المخادع:** أوَلم يتهيأ لك الجو بعد أن سافرت إلىٰ السعودية وسكنت بالرياض، ثم بعدها المدينة النبوية؟!، أم كانت نظرتك الزائغة لمشايخ السنة من العلماء الأكابر تعتبرهم ليسوا من الصالحين، وإنما هم من المتلوثين؟!

يقول العلامة الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «ولما جاء إلىٰ الرياض وأقام هناك سبع سنوات لم يقابل ابن باز، ولا الفوزان ولا التويجري ولا أحدًا من علماء السنة أبدًا، ولم يأخذ منهم شيئًا لشدَّة حقده وكِبره واستعلائه...»[٣].

---

(١) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (ص ٣٨٠)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٠ / ٢٢٥).

(٢) كصرد: اللئيم.

(٣) مُنَزل من موقع الشيخ -حفظه الله تعالىٰ-، بعنوان: «ما الفرق بين الحدادية والسلفية؟ وكيف نفرق بينهما؟».

وقال عبد الله بن محمد الأحمري: «و بهذا نعلم أن كبيرًا لإحدىٰ الطوائف كان مقيمًا بمدينة الرياض -عاصمة المملكة-، وإبان إقامته تلك لم نسمع أنه جالس عالمًا من العلماء الكبار أمثال: شيخ الإسلام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والعلامة الشيخ الفوزان -حفظه الله-، وغيرهما من أئمة السنة، بل لم يتلق العلم علىٰ أحد ألبتة -كسائر المتصدرين اليوم إلا من رحم الله- ومع ذلك نصَّب نفسه عالمًا حتىٰ لقيه السفهاء بإمام أهل السنة!!-فلا حول ولا قوة إلا بالله- فقل لي: أليس هذا مخالفًا لسبيل السلف الصالح؟!

قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥] »[(١)].

فبهذا يتجلىٰ لنا السيرة المُظلِمة للدعي الزائغ محمود الحداد، وفقد صلته بالعلماء، وليقارن هذا بما في سير علمائنا الهداة من حرصهم علىٰ لقاء من هم مصابيح الدجىٰ، ومنارات الهدىٰ، التي يعتبرونها من أروع المفاخر، وأطيب المغانم، وأبهج الأيام في حياتهم.

كما ورد عن عبد العزيز بن أبي حازم قال: « سمعت أبي يقول: العلماء كانوا فيما مضىٰ من الزمان إذا لقي العالم من هو فوقه في العلم كان ذلك يوم غنيمة، وإذا لقي من هو مثله ذاكره، وإذا لقي من هو دونه لم يزه عليه...»[(٢)].

---

(١) «النقولات السلفية في الرد علىٰ الطائفة الحدادية» (ص١٥).

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (٢ / ١٠٩٣).

وقال العلامة ابن القيم بعد أن ساق فائدة عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمهما الله تعالىٰ-: «...ولمثل هذه الفوائد التي لا تكاد توجد في الكتب يحتاج إلىٰ مجالسة الشيوخ والعلماء »[(١)].

وهذه شذرات ذهبية تنبئك عن مدىٰ حرص الأعلام الأفاضل علىٰ ملاقاة العلماء الأكابر، وكذلك عن إبداء التحسر علىٰ التقصير في مجالستهم، وهي كالآتي:

١- عن أبي جعفر المعروف بخياط السنة قال: «قال لي أحمد بن حنبل: جاءني الحميدي فقال لي: يا أبا عبد الله، تجالس الشافعي، فقلت له: وما له لا أجالسه؟ أجالسته؟ فقال: لا، قال: فقلت له: اذهب حتىٰ تجالسه حتىٰ إذا تكلمت تفهم، قال: فعاد إلي بعد مجالسته فقال: يا أبا عبد الله، فرطنا في هذا الرجل»[(٢)].

٢- عن محمد بن مسلم بن وارة قال: «لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل لأسلم عليه، فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ فقلت: لا، فقال لي: فرطت، ما عرفنا العموم من الخصوص، وناسخ حديث رسول الله ﷺ من المنسوخ حتىٰ جالسنا الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، قال ابن وارة: فحملني ذلك أن رجعت إلىٰ مصر وكتبتها»[(٣)].

---

(١) «بدائع الفوائد» (١/ ١٠٧).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي(٢/ ٢٥٥).

(٣) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٥٧).

٣- **عن موسىٰ بن سهل الرملي قال:** «قلت لأحمد بن صالح: جالست أبا عبد الله محمد بن إدريس الشافعي؟ فقال: سبحان الله! مثله كنت أقصر في مجالسته؟!»[١].

٤- **عن جعفر بن محمد الفربري قال:** «خرج رجل من أصحاب عبد الله بن منير رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ بخارىٰ في حاجة له، فلما رجع قال له ابن منير: لقيت أبا عبد الله؟ قال: لا، فطرده، وقال: ما فيك بعد هذا خير، إذ قدمت بخارىٰ ولم تصر إلىٰ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل»[٢].

وليعلم الحصيف العاقل أن في نشوز محمود الحداد، الذي أملىٰ له شيطانه فورطه في الغرور عن مجالسة العلماء، وعدم الحرص علىٰ ملاقتهم، أنه علىٰ محجة الخلف من رؤساء الفرق المنحرفين.

يقول العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «وصار مثل ذلك أصلًا لمن بعدهم؛ فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبي ﷺ حتىٰ فقهوا، ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وحسبك من صحة هذه القاعدة أنك لا تجد عالمًا اشتهر في الناس الأخذ عنه إلا وله قدوة واشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلما وجدت فرقة زائغة، ولا أحد مخالف للسنة إلا وهو مفارق لهذا الوصف»[٣].

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢/ ٢٧٠).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٢ / ٤٢٤).

(٣) «الموافقات» (٢ / ٢٠٦).

وهذه آثار سلفية تبرهن علىٰ أن من سمات الزائغين مفارقتهم لمجالس العلماء؛ وتضايقهم منهم، فمن ذلك ما يلي:

١- عن ابن عباس ﷺ لما ذهب ينصح الخوارج، فقد قالوا له: ما جاء بك؟ قال: «أتيتكم من عند أصحاب رسول الله ﷺ، وليس فيكم منهم أحد، ومن عند ابن عم رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بتأويله»[(١)].

٢- عن يحيىٰ بن شبل قال: «كنت جالسًا مع مقاتل بن سليمان، وعباد بن كثير، إذ جاء شاب، فقال: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨]؟، فقال مقاتل: هذا جهمي، ثم قال: ويحك، إن جهم والله ما حج هذا البيت، ولا جالس العلماء، إنما كان رجل أعطي لسانًا»[(٢)].

٣- عن صالح بن أحمد قال: «سمعت أبي يقول: ما الناس إلا من قال: حدثنا، وأخبرنا، ولقد التفت المعتصم إلىٰ أبي، فقال له: كلم ابن أبي دؤاد، فأعرض عنه أبي بوجهه، قال: كيف أكلم من لم أره علىٰ باب عالم قط»[(٣)].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (رقم١٨٦٧٨)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥٢٢-٥٢٣-٥٢٤)، وصحح إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٦٠)، وشيخ الإسلام في «منهاج السنة» (٨/ ٥٣٥).

(٢) «مسائل الإمام أحمد- رواية أبي داود السجستاني» (ص ٣٦٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ١٦١-١٦٢).

(٣) «الإلماع» (ص ٢٨).

فبعد هذا الشرح عن حال الحداد المصري الزائغ، فيقال لأشياعه الجهلة الحمقىٰ: فهل مثل هذا الرجل يستأهل أخذ العلم عنه ويحرص علىٰ بث ونشر كتبه ومقالاته المؤسسة علىٰ الضلال في الشبكة العنكبوتية [١]؟!

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري: «سمعت مالكًا يقول: لا تحمل العلم عن أهل البدع كلهم، ولا تحمل العلم عمن لم يعرف بالطلب، ومجالسة أهل العلم» [٢].

وقال ابن عون -رحمه الله تعالىٰ-: «لا يؤخذ هذا العلم إلا ممن شهد له بالطلب» [٣].

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال: «لا يؤخذ العلم إلا عمن شُهِدَ له بالطلب» [٤].

وقال أبو مسهر -رحمه الله تعالىٰ-: « إلا جليس العالم، فإن ذلك طلبه» [٥].

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالىٰ-: «أراد أبو مسهر بهذا القول

---

(١) كحال المنحرفين عن وضح المحجة: عماد فراج، وإبراهيم رجاء الشمري!

(٢) «تاريخ دمشق»لابن عساكر (١٣ / ٨٢)، ومن طريقه القضاعي في «التكملة لكتاب الصِّلة» (١/ ٢٠٦).

(٣) «الجرح والتعديل» (٢ / ٢٨).

(٤) نفس المصدر السابق.

(٥) «تاريخ أبي زرعة الدمشقي» (ص ٤١).

أن من عرفت مجالسته للعلماء وأخذه عنهم، أغنىٰ ظهور ذلك من أمره أن يسأل عن حاله، والله أعلم»[١].

فماذا عسىٰ أن يقال بعد هذه الدرر السلفية إلا كما قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «يا لله العجب، لو ادعىٰ رجل معرفة صناعة من صنائع الدنيا - ولم يعرفه الناس بها، ولا شاهدوا عنده آلاتها- لكذبوه في دعواه ولم يأمنوه عَلَىٰ أموالهم، ولم يمكنوه من تلك الصناعة، فكيف بمن يدعي معرفة أمر الرسول ﷺ، وما شُوهد قط يكتب علم الرسول، ولا يجالس أهله ولا بدراسة؟! فللَّه العجب، كيف يقبل أهل العقول دعواه ويحكمونه في أديانهم يفسدها بدعواه الكاذبة»[٢].

والحاصل من جميع هذا أن الحداد المتمشيخ المتعالم، الذي اعتلاه التطاول فكبحه عن التوفيق، قد جمع بين أمرين، وهما:

١- لم يطلب العلم عند العلماء، ولا حرص علىٰ اللقي بهم؛ وبالتالي:

٢- انعدام شهادة أهل العلم له التي تزكي علمه، فيصدق فيه المثل المعروف: أحشفًا وسوء كيلة؟!

ولله در من قال:

أيها المدعي سليمىٰ سفاهًا ... لست منها ولا قلامة ظُفرِ

---

(١) «الكفاية في علم الرواية» (ص٨٨).

(٢) «مجموع رسائل ابن رجب» (١ / ٢٤٨).

إنما أنت من سليمىٰ كواو ألحقت في الهجاء ظلمًا بعمرو

قال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «والعالم إذا لم يشهد له العلماء فهو في الحكم باقٍ علىٰ الأصل من عدم العلم، حتىٰ يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو علىٰ يقين من عدم العلم أو علىٰ شك»[١].

فزال إذن بذلك العَجَب، وبان سبب تطاول وتجاسر الحداد، واستعلاء المنهج الحدادي الرديء علىٰ مشايخ الإسلام، وثلبهم بقبيح الكلام، كما أنه يتضح لكل نبيه الفرق بين العالم السلفي، والدعي الغوي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا تجد أحدًا وقع في بدعة إلا لنقص اتباعه للسنة علمًا وعملًا، وإلا فمن كان بها عالمًا، ولها متبعًا لم يكن عنده داع إلىٰ البدعة، فإن البدعة يقع فيها الجهال بالسنة»[٢].

والبصير المتأمل إلىٰ مصدر كل أدواء الحدادية، يجده أنه صدر من الإعجاب بالرأي، أو ما يسمىٰ بالغرور الفكري.

يقول العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله تعالىٰ-: «الغرور الفكري هو إعجاب الإنسان بعقله، وافتتانه برأيه، وإنزاله فوق منزلته، وإعطاؤه من القداسة ما ليس بأهل له، حتىٰ يدخل فيما لا يعنيه وما ليس في وسعه وحدود طاقته فيعارض العبد به ربه في خلقه وتشريعه فضلًا عن معارضته

---

(١) «الاعتصام» (٣/ ٢٤٢).

(٢) «جامع المسائل» (٥ / ٢٥٠).

لنظرائه ومن هو أوسع منه فكرًا وأكثر تجربة من العلماء.

لقد وجد الشيطان منفذًا لوسوسته في اغترار قوم بعقولهم وعلومهم فاستهواهم وزين لهم أن يخوضوا فيما ليس من شأنهم، وأن يهجموا علىٰ بحث ما ليس في وسعهم بحثه»[١].

وقد كان هذا الداء الوبيل سببَ هلاك من قاوم رسل الله تعالىٰ، يقول الله تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر:٨٢-٨٥].

وهل كان ضلال الخوارج وهلاكهم إلا من مرض الإعجاب برأيهم الفاسد، وفهمهم الكاسد؟!

كما يشهد لذلك ما جاء عن أنس ﷺ قال: ذُكِرَ لنا أن رسول الله ﷺ قال: **«إن فيكم قومًا يتعبدون حتىٰ يعجبوا الناس، ويعجبهم أنفسهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**[٢].

---

(١) «فتاوىٰ ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي» (ص١٦٩).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٧ / ١١٦)، وصححه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (رقم١٨٩٥).

والعجب بالرأي لا يقتصر علىٰ الخوارج وحدهم، بل ذلك يعم أهل الفرق، وأصحاب النحل الباطلة.

قال العلامة ابن الوزير -رحمه الله تعالىٰ-: «بل الغالب علىٰ أهل البدع شدة العجب بنفوسهم، والاستحسان لبدعتهم، وربما كان أجر ذلك عقوبة علىٰ ما اختاروه أول مرة من ذلك، كما حكىٰ الله تعالىٰ ذلك في قوله: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٩٣].

وهي من عجائب العقوبات الربانية والمحذرات من المؤاخذات الخفية: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤].

وقد كثرت الآثار في أن إعجاب المرء بنفسه من المهلكات، كما في حديث أبي ثعلبة الخشني عند (د [١]، ت [٢])، وعن ابن عمر مرفوعًا: «**ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىٰ متبع، وإعجاب المرء بنفسه**»[٣]، وعن أنس

---

(١) رمز به إلىٰ أبي داود كما في «سننه» (رقم٤٣٤١).

(٢) رمز به إلىٰ الترمذي كما في «سننه» (٣٠٥٨)، والحديث ضعفه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الضعيفة» (رقم١٠٢٥).

(٣) صححه الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (برقم١٨٠٢).
وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو لم تكونوا تذنبون خشيت عليكم أكثر من ذلك: العجب**»، أخرجه البزار في «المسند» (رقم٦٩٣٦)، والخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (٥٦٨)، وصححه الشيخ العالم الألباني في «الصحيحة» (رقم ٦٥٨).

وابن عباس وابن أبي أوفىٰ كلهم عن النبي -صلىٰ الله عليه وسلم وآله- مثل ذلك، رواها الهيثمي في مجمعه.

ودليل العقوبة في ذلك أنك ترىٰ أهل الضلال أشد عجبًا وتيهًا وتهليكًا للناس واستحقارًا لهم، نسأل الله العفو والمعافاة من ذلك كله»[1].

❀❀❀

(١) «إيثار الحق علىٰ الخلق» (ص ٣٨٥- ٣٨٦).

الصفة الخامسة
الظلم والجهل

إن هجوم الحداد وأتباعه من ذي الأهواء علىٰ علماء الدعوة السلفية الأكابر بألوان من الإقذاع، والكذب، واللجاج، وغير ذلك من الأخلاق الخسيسة، فإن سبب ذلك كله يرجع إلىٰ الغرور بما جمعوه من نتف العلم، حتىٰ توهم هؤلاء الهباء أنهم علىٰ شيء من العلم، ولكن في الحقيقة ليسوا علىٰ شيء.

وهذا من جملة الفتن التي جاء الخبر عنها كما في حديث أبي موسىٰ الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن بين يدي الساعة الهرْج**، قالوا: وما الهرج؟، قال: **القتل**، قالوا: أكثر مما نقتل إنا لنقتل كل عام أكثر من سبعين ألفًا، قال: **إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا**، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذٍ؟ قال: **إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان، ويخلف له هباء من الناس، يحسب أكثرهم أنهم علىٰ شيء، وليسوا علىٰ شيء**»[1].

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤ / ٣٩١)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم١٦٨٢).

وتفسير هذا المرتقىٰ الموهوم من هؤلاء الصنف إنما هو نتيجة حتمية عن سلوك مشين يكمن في عدم معرفة الجاهل رتبة نفسه، وهذا مما أوقعها في مسالك أهل الظلم والجهل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وليحذر العبد مسالك أهل الظلم والجهل، الذين يرون أنهم يسلكون مسالك العلماء، تسمع من أحدهم جعجعة ولا ترىٰ طحنًا، فترىٰ أحدهم أنه في أعلىٰ درجات العلم، وهو إنما يعلم ظاهرًا من الحياة الدنيا، ولم يحم حول العلم الموروث عن سيد ولد آدم ﷺ، وقد تعدىٰ علىٰ الأعراض والأموال بكثرة القيل والقال؛ فأحدهم ظالم جاهل لم يسلك في كلامه مسلك أصاغر العلماء، بل يتكلم بما هو من جنس كلام العامة الضلال، والقصاص والجهال، ليس في كلام أحدهم تصوير للصواب، ولا تحرير للجواب، كأهل العلم أولي الألباب، ولا عنده خوض العلماء أهل الاستدلال والاجتهاد، ولا يحسن التقليد الذي يعرفه متوسطة الفقهاء لعدم معرفته بأقوال الأئمة و مآخذهم ...»[1].

وهذه هي حقيقة مسالك الحدادية الفاسدة التي يسيرون عليها، الجامعة بين الظلم والجهل، اللذين هما منبعان من منابع الفتن، والسموم القاتلة.

يقول العلامة الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «إنما الظلم أن تطعن في إنسان بما ليس فيه ولو كان كافرًا، وهذا الفعل لا يفعله إلا ظالم جهول،

(١) «الرد علىٰ البكري» (١/ ١٧٠-١٧١).

وكم يحصل هذا من أهل الأهواء والبدع، يظلمون أهل السنة فيرمونهم ويطعنون فيهم بما هم منه برآء، وقد فعله الحداد الظلوم الجهول»[١].

وهكذا هو حال أهل الأهواء والبدع، أنهم أهل جهل وظلم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكلام في الناس يجب أن يكون بعلم وعدل، لا بجهل وظلم، كحال أهل البدع»[٢].

ومن آثار مسلك الاتصاف بالظلم والجهل أن أصحاب هذه السبل الغوية تجدهم من أبعد الناس عن العلم النافع الموروث عن الرسول المقيد بالشريعة النبوية، ولا يستغرب أن ينتج لأهله الإفلاس من العدل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «فإنه لا يعلم العدل والظلم إلا بالعلم، فصار الدين كله العلم والعدل، وضد ذلك الظلم والجهل»[٣].

والعلم الصحيح النافع المثمر للعدل إنما هو القائم علىٰ أمرين:

أ- المدارسة والتعلم، المبنية علىٰ الإخلاص لله تعالىٰ، و«الاتباع، والفرار من الهوىٰ والابتداع»[٤].

---

(١) «مجازفات الحداد ومخالفته لمنهج السلف» (ص٢٢).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٣٣٧).

(٣) «الفتاوىٰ» (٢٨ / ١٧٩).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٣ / ٣٢٣).

ودليل هذا حديث معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، وإنما يخشىٰ الله من عباده العلماء**» (١).

ب- أخذه علىٰ أيدي العلماء ورثة الأنبياء، لا علىٰ الجهال الأصاغر من أمثال الحداد وأضرابه من الغواة المنحرفين.

وبرهان ذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «**إذا وسِّد الأمر إلىٰ غير أهله فانتظر الساعة**» (٢).

وإسناد الأمر إلىٰ غير أهله إنما هو بأخذ العلم عن أهل البدع، وذلك عند غلبة الجهل ورفع العلم(٣)، كما تقدم في حديث أبي أمية الجمحي ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر**»(٤).

والسلفي المستنير بنور القرآن والسنة علىٰ فهم السلف تراه في حالك الأمور، واشتداد المحن، لا يكترث لغلبة أهل الباطل وصولتهم كما في أيامنا هذه!، بل يدفع كل ذلك بالاعتصام بالسنة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ رقم٩٢٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٥٩).

(٣) «الفتح» (١/ ١٤٣).

(٤) سبق تخريجه (ص١٠٤).

قال الإمام أبو عثمان الصابوني -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا يغرن إخواني -حفظهم الله- كثرة أهل البدع، ووفور عددهم؛ فإن ذلك من أمارات اقتراب الساعة، إذ الرسول المصطفىٰ ﷺ قال: «**إن من علامات الساعة واقترابها أن يقل العلم ويكثر الجهل**»[(١)]، والعلم هو السنة، والجهل هو البدعة»[(٢)].

وأيضًا مما يدفع به السلفي غائلة الفتن عند غلبة الجهل، هو اللصوق بِمَهيَع علماء الأمة، لأجل أن العالم الإسلامي في كل عصر لابد أن يبقي الله ﷻ فيه علماء أهل دعوة حق، هم الأركان للشريعة، وظيفتهم يبصرون بنور الله أهل العمىٰ، ويهدمون كل بدعة شنيعة.

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «ولكن -ولله الحمد- ما ابتدع أحد بدعة، إلا قيض الله له بمنه وكرمه من يبين هذه البدعة ويدحضها بالحق، وهذا من تمام مدلول قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]. هذا من حفظ الله لهذا الذكر، وهذا أيضًا هو مقتضىٰ حكمة الله ﷻ؛ لأن الله تعالىٰ جعل محمدًا ﷺ خاتم النبيين، والرسالة لابد أن تبقىٰ في الأرض، وإلا لكان للناس حجة علىٰ الله، وإذا كانت الرسالة لابد أن تبقىٰ في الأرض، لزم أن يقيض الله ﷻ بمقتضىٰ حكمته عند كل بدعة من يبينها ويكشف عورها، وهذا هو الحاصل»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٨١)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٦٧١).

(٢) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص ٤١).

(٣) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٣٤).

ومن دلائل تقييض الله تعالىٰ لهذه الأمة علماء أهل دعوة حق، الآتي:

أ- عن المغيرة بن شعبة ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتىٰ يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون**» (١).

وقد علق الإمام محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث، وجعله بابًا، قائلًا عقبه: «هم أهل العلم» (٢). وقال أحمد بن سنان: «هم أهل العلم وأصحاب الآثار» (٣).

ب- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل أمتي مثل المطر لا يدرىٰ أوله خير أم آخره؟**» (٤).

ج- عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين،**

---

(١) سبق تخريجه (ص٥).

(٢) وقد قال في موطن آخر كما في «شرف أصحاب الحديث» (ص٢٧): «يعني: أصحاب الحديث».

قال الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا منافاة بينه وبين ما قبله كما هو ظاهر؛ لأن أهل العلم هم أهل الحديث، وكلما كان المرء أعلم بالحديث كان أعلم في العلم ممن هو دونه في الحديث كما لا يخفىٰ»، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» تحت حديث (رقم٢٧٠).

(٣) «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٧) للخطيب البغدادي.

(٤) أخرجه الترمذي في«سننه»(رقم٢٨٦٩) وغيره، وصححه الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٢٢٨٦)، وقد ورد عن عدة من الصحابة.

وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» [١].

د- عن أبي عنبة الخولاني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته**» [٢].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن هذه الأمة أكمل الأمم، وخير أمة أخرجت للناس، ونبيها خاتم النبيين لا نبي بعده، فجعل الله العلماء فيها كلما هلك عالم خَلَفَه عالم؛ لئلا تطمس معالم الدين وتخفىٰ أعلامه.

وكان بنو إسرائيل كلما هلك فيهم نبي خلفه نبي، فكانت تسوسهم الأنبياء [٣]، والعلماء لهذه الأمة كالأنبياء في بني إسرائيل» [٤].

هـ- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: «حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال، فكان فيما حدثنا، قال: **يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلىٰ بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه**

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٠٩)، وصححه الشيخ الألباني في«مشكاة المصابيح» (رقم ٥١).

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٢٠٩)، وصححه الشيخ الألباني في«مشكاة المصابيح» (رقم ٥١).

(٣) كما جاء في «صحيح البخاري» (رقم ٣٤٥٥)، و «صحيح مسلم» (رقم ١٨٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:«**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي..**».

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٥١).

يومئذٍ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟، فيقولون : لا، قال : فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»[(١)].

وهذا الحديث قد حوىٰ فائدة جليلة مستلة من خطاب الرجل للدجال: «**أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه**»، فإنه يدل علىٰ فضل معرفة السنة والتفقه فيها، وأنها حصن الله الحصين، وهذا كله لا يدرك شأوه إلا بتعلم كتب السنة ودراسة مصنفات الحديث، كما سبقت الإشارة إليه في حديث معاوية رضي الله عنه .

وطريق نيل العلم الصحيح، وشق أنهاره، والغوص في بحاره، لا تحصل إلا علىٰ أيدي أهل الحق من علماء المنهج السلفي، فثبت بذلك نسبة الشرف لهم، وكذا استمرار دعوتهم الصادقة الحقة، والتي تبتدئ بإمامهم وهو النبي محمد ﷺ[(٢)] إلىٰ قيام الساعة كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٦٧١٣)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٩٣٨).

(٢) كما ورد ذلك في تفاسير أحد السلف لقول الله تعالىٰ: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ [الإسراء:٧١].

قال: «هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث؛ لأن إمامهم النبي ﷺ».

«تفسير ابن كثير» (٥ / ٩٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق حتىٰ تقوم الساعة**»[١].

وفي توضيح اختصاص أهل دعوة الحق السلفيين بهذا الشرف الجليل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن المعلوم أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم وهو بذلك أقوم؛ كان أحق بالاختصاص به.

ولا ريب أن أهل الحديث أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول وعلم خاصته، مثل: الخلفاء الراشدين وسائر العشرة ، ومثل: أُبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وعبد الله بن سلام، وسلمان الفارسي، وأبي الدرداء، وعبادة بن الصامت، وأبي ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، ومثل: سعد بن معاذ ، وأسيد ابن حضير، وسعد بن عبادة ، وعباد بن بشر، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، وغير هؤلاء، ممن كان أخص الناس بالرسول وأعلمهم بباطن أموره وأتبعهم لذلك، فعلماء الحديث أعلم الناس بهؤلاء وببواطن أمورهم وأتبعهم لذلك، فيكون عندهم العلم: علم خاصة الرسول وبطانته»[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤ / ٤٤٩)، والطيالسي في «المسند» (رقم ٣٨)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٩٥٦).

(٢) «الفتاوىٰ» (٤/ ٩١).

ومن هذا كله يعلم تميز أهل الدعوة السلفية عن غيرهم بقوة الارتباط بعلمائهم الربانيين، وأنهم وحدهم دون من سواهم المترشحون لأخذ علوم الكتاب والسنة منهم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «وفي تخصيص السؤال بأهل الذكر والعلم نهي عن سؤال المعروف بالجهل وعدم العلم، ونهي له أن يتصدىٰ لذلك» [(١)].

وأما عن آثار ما تحلىٰ به أصحاب العدل والعلم من مشايخ علماء الدعوة السلفية فهو ما ظهر لكل ذي عينين من مؤلفاتهم النافعة ودروسهم الماتعة، التي طبقت مشارق الأرض ومغاربها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «...ولكن الذي يدل علىٰ فضيلة العلماء ما اشتهر من علمهم عند الناس، وما ظهر من آثار كلامهم وكتبهم» [(٢)].

ويقول تلميذه الحاذق العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه مؤلفاتهم وكتبهم في الفنون إذا وازنت بينها وبين مؤلفات مخالفيه ظهر لك التفاوت بينها،

(١) «تفسير السعدي» (ص ٥١٩).

(٢) «منهاج السنة» (٢/ ٦٠٤).

ويكفي في عقولهم أنهم عمروا الدنيا بالعلم والعدل، والقلوب بالإيمان والتقوىٰ...»[١].

وقال الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ- عند قول النبي ﷺ: «وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتىٰ الحيتان في الماء...»[٢]: «...كل من في السموات يستغفر لهذا العالم؛ لما له من النفع الكبير والآثار المباركة علىٰ الأمة، حتىٰ علىٰ الحيوانات، فتدعو له الحيوانات، لما له من الآثار عليها؛ لأن هذا العالم يحرم العبث بالحيوانات، ويحرم قتل الناس، ويحرم الفساد، ويبلغ الناس شريعة الله -تبارك وتعالىٰ- فالناس يستفيدون منه، والحيوانات تستفيد من إرشاداته وتوجيهاته؛ فلذا يستغفر له من في السموات ومن في الأرض»[٣].

ومجمل ما سبق أن العلماء بآثارهم النافعة مثل عطاء النخلة بالتمر، وفي إقبال الناس عليهم والتوجه نحوهم كالنحلة علىٰ الزهر، ويشهد لمنزع هذين التشبيهين؛ **فالأول:** حديث ابن عمر ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مثل المؤمن مثل النخلة، ما أخذت منها من شيء نفعك»** [٤].

---

(١) «التبيان في أيمان القرآن» (ص٣١٣).

(٢) أخرجه أبو داود في «سننه» (رقم٣٦٤٣)، والترمذي في «سننه» (رقم٢٦٨٢)، وحسنه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم٧٠) من حديث أبي الدرداء ﷺ.

(٣) «عوائق في طريق طالب العلم» (ص١١-١٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٤١١)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٢٢٨٥).

والثاني: حديث أبي رزين لقيط بن صبرة العقيلي قال: «قال رسول الله ﷺ: **مثل المؤمن مثل النحلة، لا تأكل إلا طيبًا، ولا تضع إلا طيبًا**»[(١)].

كما لا يفوتني التنبيه علىٰ أمر مهم: وهو أن في انتشار الآثار الطيبة للأعلام الهداة في الأمة، مقابل آثار المخالفين لهم من جميع أهل البدعة قاطبة، إنما هو يعود إلىٰ صواب طريقتهم المرتبطة بالكتاب والسنة، واقتفاء آثار السلف الطيبين، وهذا يتبين بالوقوف علىٰ أمرين:

الأول: أن هذه الفضيلة الحاصلة لأعلام الرباط علىٰ التوحيد والسنة، هم في ذلك كالصحابة -رضوان الله عليهم- من حيث ما تركوا من جميل الآثار الطيبة في الأمة.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-، وهو يعقد مقارنة بين آثار الصحابة الأخيار، وبين الروافض الأشرار في أي آثار الفريقين أحق بسبيل الحق: «ثم إنا رأينا آثار الفريقين تدل علىٰ أهل الحق منهما، فرأينا أصحاب رسول الله ﷺ فتحوا بلاد الكفر، وقلَبوها بلاد إسلام، وفتحوا القلوب بالقرآن والعلم والهدىٰ، فآثارهم تدل علىٰ أنهم هم أهل الصراط المستقيم، ورأينا الرافضة بالعكس في كل زمان ومكان؛ فإنه قط ما قام للمسلمين عدو من غيرهم إلا كانوا أعوانهم علىٰ الإسلام، وكم جروا علىٰ الإسلام وأهله

---

(١) أخرجه الطبراني في«المعجم الأوسط» (٣ / ١١٠)، وابن حبان في«صحيحه» (رقم٢٤٧)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٣٥٥).

من بلية!، وهل عاثت سيوف المشركين عباد الأصنام من عسكر هولاكو وذويه من التتار إلا من تحت رءوسهم؟، وهل عطلت المساجد، وحرقت المصاحف، وقتل سروات المسلمين وعلماؤهم وعبادهم وخليفتهم، إلا بسببهم ومن جرائهم؟، ومظاهرتهم للمشركين والنصارىٰ معلومة عند الخاصة والعامة، وآثارهم في الدين معلومة.

فأي الفريقين أحق بالصراط المستقيم؟، وأيهم أحق بالغضب والضلال إن كنتم تعلمون؟»[١].

الثانية: أن مؤلفاتهم ودروسهم ما قصدوا بها إلا نصح الخلق ورحمتهم، لذلك جادوا بالعلم وبذلوه، وقاموا بواجب الصدع بالحق ونصروه، وأزهقوا الباطل ودمغوه، علىٰ أحسن قيام وأكمله علىٰ التمام.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- في شرح هذا المسلك: «... ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدىٰ والعلم لا يقصدون لهم الشر ابتداء، بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق، ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا»[٢].

وقال تلميذه العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهمهم إقامة دين

---

(١) «مدارج السالكين» (١ / ٩٤).

(٢) «الاستغاثة» (١/ ٣٨٠).

الله وإعلاء كلمته وإعزاز أوليائه، وأن تكون الدعوة له وحده، فيكون هو وحده المعبود لا غيره، ورسوله المطاع لا سواه»[1].

(١) «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣٠٧).

الصفة السادسة
الانصراف عما ينفع

انصرافهم عما ينفعهم من الاشتغال بالعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وتضييعهم الأعمار بمقارفة الموبقات الدالة علىٰ فجور قلوب أصحابها، وعلىٰ رأس هذه الشرور كثرة القيل والقال في العلماء السلفيين.

قال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «كثرة القيل والقال، فإن ذلك من دواعي الكذب، وعدم التثبت، واعتقاد غير الحق، ومن أسباب وقوع الفتن، وتنافر القلوب، ومن الاشتغال بالأمور الضارة عن الأمور النافعة، وقل أن يسلم أحد من شيء من ذلك، إذا كانت رغبته في القيل والقال»[1].

وهذه العواقب السيئة إنما هي ناشئة من مسبتهم لعلماء الأمة، فجعلوا من الأخلاق السافلة أصلًا يحتذون به في طعوناتهم السقيمة، وهذا إنما نتيجة عن تصورهم الأعوج المعاكس للسبيل الأقوم، والطريق الأرشد، فما زادتهم هذه الطرائق المطروقة من الحق إلا بُعدًا، وعن الباطل إلا قربًا.

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار» (ص ٢٩٩).

وهذا مثال ما يجري علىٰ ألسنة بعض الزائغين من أتباع الحداد التافهين[١]، من بذاءة لسان، يستطيل فيها علىٰ أحد علماء السنة المعاصرين، وهو الإمام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالىٰ-.

قال الخسيس الأفاك: «والألباني من ذلك الصنف الذي لم يستفد شيئًا من الأحاديث الكثيرة التي اطلع عليها، والسنة التي ينتسب إليها؛ فلا هو عرف عقيدة أهل السنة كما يجب، ولا عرف منهجهم في التعامل مع أهل الأهواء والبدع؛ بل خبط خبط عشواء؛ فكثرت زلاته، وانحرافاته؛ وشذوذاته».

وقال أيضًا: «فالألباني -علىٰ قانون السلف- مبتدع؛ بل هو رأس في البدعة؛ أما علىٰ قانون الموازنات الذي يزعم المداخلة محاربته؛ فهو محدث كبير، وعالم نحرير؛ أخطأ فكان ماذا، بَيْدَ أن الله تعالىٰ أبىٰ إلا أن يفضحهم، وينطقهم بالحق الذي علموه وكتموه؛ ليحفظوا أنفسهم ورموزهم من النقد أو التبديع».

وقال تائه آخر مخذول[٢]: «فهذه الحلقة الثالثة في بيان تجهمات الألباني،

---

(١) وهو عماد آل فراج.

(٢) وهو إبراهيم رجا الشمري المتسربل بقذارة فكر الحداد والحدادية، وآخر ما وصلت إليه كتابات هذا الحقود الخارجي الأرعن عن الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ بحثه الذي عنونه بـ: «ترفضات الألباني»!!، وهذا الغر المتردي في جهالته فإنه بهذه الطعونات الفاجرة قد فاق بها تشنيعات خوارج زماننا السابق لها خذلان خالقها من أبي محمد المقدسي، وأبي قتادة الفلسطيني، وأبي بصير الطرطوسي، ومحمد سرور زين العابدين في أهل السنة، والكل عليهم من الله ما يستحقون.

وذلك بذكر باقعة أخرىٰ من باقعات هذا الأعجمي، والذي قد حذرنا سلفنا الصالح من أشباهه من الأعاجم الذين يفسدون في الأرض، ويحدثون في دين الله البدع والضلالات... -ثم سرد الأحاديث والآثار مع تعليقات الحداد عليها !!-.

ثم قال: وفي هذا الزمان الألباني في الشام فيما يظهر منهم، والعلم عند الله تعالىٰ...».

وهذا غيض من فيض، قُلٌّ من كُثْر[١]، من عبارات سفهاء الحدادية في علماء الأمة، ومسبة هذا الصنف وغيرهم من أهل الأهواء في العلماء كثيرة جدًّا، وهي من سمات المنحرفين الزائغين في كل عصر ومصر.

قال أبو حاتم -رحمه الله تعالىٰ-: «علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر»[٢].

فلاح للعاقل مدىٰ حقد ووقاحة أخلاق أهل الباطل والجور، وظلمة أفكارهم، وأنهم يستروحون لتأييد باطلهم بالكلمات البذيئة القبيحة، والطرق الملتوية، التي يعدونها أسلحة يفزعون إليها إذا أفلسوا من الحجة والدليل.

يقول الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: «من عادة أهل البدع إذا أفلسوا من الحجة، وضاقت عليهم السبل،

---

(١) أي: قليل من كثير.

(٢) «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ١٧٩).

تروحوا إلىٰ عيب أهل السنة وذمهم، ومدح أنفسهم »[١].

ويشتم أعلام الأئمة ضلة ... ولا سيما إن أولجوه المضايقا

ويسهب في المعنىٰ الوجيز دلالة ... بتكثير ألفاظ تسمىٰ الشقاشقا

كما يتبين أن مثل هذه الطرائق الردية إنما يلجأ إليها مَن نقص علمه، وقل دينه، وجانب المَهيَع الهادي المستقيم، ومن كان نعته هكذا فلابد من سقوطه في البدع والضلالات، والأمور المهلكة وهو لا يشعر، كأعمىٰ خرج في ظلمة الليل يمشي وحده[٢].

وأما مسلك ردود علماء السنة السلفيين، فالأساس المنبني عليه وروحه المنبثق منه فهو: الرشاد، وبيان الحق، والإحسان، والرحمة، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- **بقوله**: «وهكذا الرد علىٰ أهل البدع من الرافضة وغيرهم إن لم يقصد فيه بيان الحق، وهدىٰ الخلق، ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحًا وإذا غلظ في ذم بدعة ومعصية كان قصده بيان ما فيها من الفساد ليحذرها العباد كما في نصوص الوعيد وغيرها»[٣].

وهذا بعكس لسان الحداد وسفهائه الجهال، وغيرهم من أهل البدع، القائم علىٰ الجور، والجهل، والفحش، والفظاظة، والطيش.

---

(١) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٤ / ١٠٢).

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٣٥).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٥ / ٢٣٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الرد بمجرد الشتم والتهويل لا يعجز عنه أحد»[١].

ومن مقالات علماء السنة الأدلاء الهداة في شرح الأسلوب العلمي الرصين ما نص عليه الحافظ العلامة ابن رجب الحنبلي -رحمه الله تعالىٰ- بقوله: «ولهذا تجد كتبهم المصنفة في أنواع العلوم الشرعية من التفسير، وشرح الحديث، والفقه، واختلاف العلماء وغير ذلك ممتلئة من المناظرات، وردوا أقوال من تضعف أقواله من أئمة السلف والخلف، من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ولم ينكر ذلك أحد من أهل العلم، ولا ادعىٰ فيه طعنًا علىٰ من رد عليه قوله، ولا ذمًّا ولا نقصًا، اللهم إلا أن يكون المصنف يفحش في الكلام، ويسيء الأدب في العبارة فينكر عليه فحاشته وإساءته دون أصل رده، ومخالفته إقامة الحجج الشرعية، والأدلة المعتبرة.

وسبب ذلك أن علماء الدين كلهم مجمعون علىٰ قصد إظهار الحق الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمته هي العليا»[٢].

وكذلك العلامة الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ- حيث قال: «ويجب أن يكون الرد علميًّا، يستند علىٰ الكتاب والسنة، وفق فهم السلف

---

(١) «الفتاوىٰ» (٤ / ١٨٦).

(٢) «الفرق بين النصيحة والتعيير» (ص ٨).

الصالح، بعيدًا عن المهاترات والعبارات النابيات، التي تجعل السامعين يتقززون منها وينفرون منها، ويزهدون في الحق الذي عندنا، أو الحق الذي عندكم، لما يسمعونه من عبارات في محلها لا تليق بطلاب العلم.

فإن الرد الذي يستند علىٰ الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح، ويُجَلَّىٰ فيه الحق، ويُفَنَّد فيه الباطل، فإن المنصفين يقبلونه ولا ينازعون فيه، وإن كانوا يحبون ذلك المخالف، وهذا مجرب -بارك الله فيكم- فتفطنوا إليه»[١].

فتبين من كل ما تقدم: شناعة المنهج الحدادي **الرامي إلىٰ إهانة العلماء السلفيين المقتدىٰ بهم في الدين،** ومن كان مساره هكذا مع العلماء الهداة؛ فإنه لا يخرج عن أحد هذه الأوصاف الخطيرة، وهي:

١- إما منافق معلوم النفاق.

٢- وإما فاسق يبغض العلماء؛ لأنهم يمنعونه من الفسق.

٣- وإما حزبي ضال يبغض العلماء؛ لأنهم لا يوافقونه علىٰ حزبيته، وأفكاره المنحرفة[٢].

٤- **والأخير،** أنه عرضة للخطر العظيم، والشر الوبيل، كما يدل عليه حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادىٰ لي وليًّا**

---

(١) «الحد الفاصل بين معاملة أهل السنة وأهل الباطل» (٦-٧).

(٢) يراجع: «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص٤٤) لشيخنا العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-.

فقد آذنته بالحرب ...»[(١)].

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن لم يكن العلماء والفقهاء أولياء الله، فليس لله ولي»[(٢)].

وقال أبو نعيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكيف نستجيز نقيصة أولياء الله تعالىٰ، ومؤذيهم مؤذن بمحاربة الله»[(٣)].

وقال العلامة النبيل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العلم ميراث الأنبياء والعلماء ورثتهم، فمحبة العلم وأهله محبة لميراث الأنبياء وورثتهم، وبغض العلم بغض لميراث الأنبياء وورثتهم، فمحبة العلم من علامات السعادة، وبغض العلم من علامات الشقاوة»[(٤)].

ومن بين الأمور الشنيعة التي تبين مخازي ما يحصده صاحب الوقيعة، والذام لعلماء السنة، وحماة الدين، ممن حافظوا علىٰ الإرث، وطهروه من الدم والفرث، هو الآتي:

أ- يجرهم إلىٰ تعطيل الانتفاع بعلم العلماء الموروث عن رسول الله ﷺ، وهذا مما يحرمهم من العلم النافع.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٥٠٢).

(٢) شرح حديث أبي الدرداء (ص١٣٣) لابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «الحلية» (١/ ٤).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٤٣٥).

قال العلامة الشيخ عمر بن محمد بن سليم -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن كيد الشيطان أيضًا الذي صدهم عن تعلم العلم وطلبه: اتهام علماء المسلمين بالمداهنة، وسوء الظن بهم، وعدم الأخذ عنهم، وهذا سبب لحرمان العلم النافع؛ فإن العلماء هم ورثة الأنبياء، ومن زهد في الأخذ عنهم، فقد زهد في ميراث سيد المرسلين؛ والعلماء هم الأمناء علىٰ دين الله، فواجب علىٰ كل مكلف أخذ الدين عن أهله، فإن الفرض الواجب، واللازم لعوام المسلمين، سؤال العلماء وأتباعهم، قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧].

وقال النبي ﷺ: «**فإنما شفاء العي السؤال**»؛ أي: سؤال العلماء»[(١)].

ويقول العلامة الشيخ محمد صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «والتقليل من شأن العلماء الراسخين في العلم المعروفين بالإيمان والعلم الراسخ جناية ليس علىٰ هؤلاء العلماء بأشخاصهم، بل علىٰ ما يحملونه من شريعة الله.

ومن المعلوم أنه إذا قلت هيبة العلماء، وقلت قيمتهم في المجتمع؛ فسوف يقل بالتبع الأخذ عنهم، وحنيئذٍ تضيع الشريعة التي يحملونها أو بعضها، ويكون في هذا جناية علىٰ الإسلام، وعلىٰ المسلمين أيضًا»[(٢)].

ب- القدح فيهم يفضي إلىٰ الاعتياض عنهم بالرويبضات المنحرفين،

---

(١) «الدرر السنية» (٩/ ١٦٧-١٦٨).

(٢) «كتاب العلم» (٢٢٤- ٢٢٦).

مما يؤدي بالناس إلىٰ الارتماء في أحضانهم؛ بسبب الخلط، وعدم التمييز بين العالم الأمين، والضال عن سواء السبيل، يشهد لهذا ما ورد عن عوف بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة سِنين خدَّاعة، يصدَّق فيها الكاذب، ويكذَّب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**، قيل: وما الرويبضة، قيل: **المرء التافه يتكلم في أمر العامة**»[(١)].

يقول الفضيل بن عياض رحمه الله: «كيف بك إذا بقيت إلىٰ زمان، شاهدت فيه ناسًا لا يفرقون بين الحق والباطل، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين الأمين والخائن، ولا بين الجاهل والعالم، ولا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا»[(٢)].

وقال أبو شامة المقدسي -رحمه الله تعالىٰ-: «وأكثر ما أتي الناس في البدع بهذا السبب، يظن في شخص أنه من أهل العلم والتقوىٰ وليس هو في نفس الأمر كذلك، فيرمقون أقواله وأفعاله، فيتبعونه في ذلك فتفسد أمورهم، ففي الحديث عن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: (**إن مما أتخوف علىٰ أمتي الأئمة المضلين**)»[(٣)].

---

(١) أخرجه البزار في «المسند» (٢٧٤٠)، وصححه الإمام الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم٢٢٥٣).

(٢) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة العكبري رحمه الله (١/ ١٨٨).

(٣) «الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث» (ص٨٥)، والحديث أخرجه أبو داود في «سننه» (رقم٤٢٥٢)، والترمذي في «سننه» (برقم٢٢٢٩)، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٥٨٢).

وقال العلامة الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر، ولأهلها أن ينشطوا» (١).

ج- المساندة والتعاون مع شيعة دعاة الباطل في محاربتهم لأهل دعوة الحق والسنة، وهي من حيل وحبائل الشيطان التي خطط لها وأراد، يقول الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «فبين ﷺ أن للأنبياء عدوًّا من شياطين الإنس والجن يعلم بعضهم بعضًا بالقول المزخرف غرورًا، وأخبر أن الشياطين توحي إلىٰ أوليائها بمجادلة المؤمنين، فالكلام الذي يخالف ما جاءت به الرسل هو من وحي الشياطين وتلاوتهم، فمن أعرض عن كتاب الله واتباعه، فقد نبذ كتاب الله وراء ظهره واتبع ما تتلوه شياطين الإنس والجن» (٢).

د- لهم أسوة برؤساء أهل الأهواء والبدع في كل الأعصار ممن حاربوا أئمة السنة كعمرو بن عبيد وحربه للحسن البصري، والكرابيسي وابن أبي قتيلة

---

(١) «عقيدة التوحيد» (ص ١٢٦).

(٢) «التسعينية» (١/ ١٢١).

وابن أبي دؤاد ضد الإمام أحمد وإخوانه، والأخنائي والسبكي والبكري والأنبجي أعداء شيخ الإسلام ابن تيمية، وخصوم ابن عبد الوهاب كابن فيروز، والحداد، وابن عفالق، ودحلان، والنبهاني، وغيرهم من زمر الأعداء»[١].

هذه جملة طيبة من آثار السلف وأقوال أهل العلم -رحمهم الله-، فيها الزجر لمن أصيب بداء الثلب في العلماء، عسىٰ أن تكون للطاعنين فيها البُرء والشفاء، وهي كالآتي:

١- **قال أيوب بن يزيد القرية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحق الناس بالإجلال ثلاثة: العلماء، والإخوان، والسلطان، فمن استخف بالعلماء أفسد دينه، ومن استخف بالإخوان أفسد مروءته، ومن استخف بالسلطان أفسد دنياه، والعاقل لا يستخف بأحد»[٢].

٢- **قال الإمام أحمد بن حنبل** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لحوم العلماء مسمومة؛ من شمها مرض، ومن أكلها مات»[٣].

٣- **قال سليمان بن سالم**: «قال لي أبو سنان: يا سليمان، إذا كان طالب العلم قبل أن يتعلم مسألة في الدين يتعلم الوقيعة في الناس، متىٰ يفلح؟»[٤].

---

(١) انظر مقال: « أبو الحسن ينافح عن أهل الأهواء»، للشيخ ربيع -حفظه الله-.

(٢) «جامع بيان العلم وفضله» (رقم٩٩٦) لابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» (ص٧١).

(٤) «رياض النفوس» (١/ ٣٨٨).

٤- **قال الإمام أحمد بن الأذرعي:** «الوقيعة في أهل العلم، ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب»[(١)].

٥- **عن جعفر بن سليمان قال:** «سمعت مالك بن دينار يقول: كفىٰ بالمرء شرًّا ألا يكون صالحًا، وهو يقع في الصالحين»[(٢)].

٦- **قال الحافظ ابن عساكر -رحمه الله تعالىٰ-:** «واعلم يا أخي -وفقنا الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حتىٰ تقاته- أن لحوم العلماء -رحمة الله عليهم- مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء، أمره عظيم والتناول لأعراضهم بالزور، والافتراء مرتع وخيم، والاختلاق علىٰ من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم»[(٣)].

٧- وهذه قصة تحتوي علىٰ درس يخص ما يتعرض له المتطاول علىٰ العلماء الأكابر، أهل الدرجة الرفيعة، من عواقب سيئة.

قال الحافظ أبو سعد السمعاني: «سمعت أبا المعمر المبارك بن أحمد: سمعت أبا القاسم يوسف بن علي الزنجاني الفقيه: سمعت الفقيه أبا إسحاق الفيروزآبادي: سمعت القاضي أبا الطيب يقول: كنا في مجلس النظر بجامع المنصور، فجاء شاب خراساني، فسأل عن مسألة المصراة، فطالب بالدليل،

---

(١) «الرد الوافر» (ص١٩٧).

(٢) «شعب الإيمان» (٥/ ٣١٦).

(٣) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٩).

حتىٰ استدل بحديث أبي هريرة الوارد فيها، فقال -وكان حنفيًّا-: أبو هريرة غير مقبول الحديث، فما استتم كلامه حتىٰ سقط عليه حية عظيمة من سقف الجامع، فوثب الناس من أجلها، وهرب الشاب منها، وهي تتبعه، فقيل له: تب، تب، فقال: تبت، فغابت الحية، فلم ير لها أثر»[1].

❊❊❊

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٦١٨-٦١٩)، وذكر هذه القصة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في «الفتاوىٰ» (٤/ ٥٣٨-٥٣٩)، ونص علىٰ أن الحية قتلت الخراساني.

الصفة السابعة
التشبث بالضلال

صعوبة معالجة عقولهم بغية إسعافهم وإنقاذهم من مستنقع الضلال الآسِن، فتجد العالم الناصح والمسعف لهم، **حاله معهم كما قال ابن الوزير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن العلاج لترقيق طبعه الجامد، هو الضرب في الحديد البارد، ولذلك أمر الله بالإعراض عن الجاهلين، ومدح به عباده الصالحين[1]»[2].

وتشبث المبتدع بضلاله وإصراره علىٰ باطله إنما يعود ذلك لأمور:

١- العناد والاستكبار، ومن كان كذلك فإنه لا يوفق للحق، قال الله تعالىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: سأمنع فهم الحجج والأدلة علىٰ عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، ويتكبرون علىٰ الناس بغير حق؛ أي: كما استكبروا بغير حق أذلهم الله بالجهل، كما قال تعالىٰ:

---

(١) قول الله ﷻ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣].

(٢) «العواصم والقواصم» (١/ ٢٢٤).

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥]» [(١)].

وقال الحافظ ابن الجوزي -رحمه الله تعالىٰ-: «والمتكبر يرىٰ نفسه أعلىٰ من الغير فتحصل له هزة وفرح، وركون له إلىٰ ما اعتقده، وذلك نفخ الشيطان كما في حديث ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ: «أنه كان يتعوذ من الشيطان من همزه ونفثه ونفخه. قال: همزه الموتة، ونفثه الشعر، ونفخه الكبرياء»[(٢)].

والمبتدع المعاند والمصر علىٰ الباطل الذي يعتقده يكون عرضة للوعيد، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ أنه قال وهو علىٰ المنبر: «**ارحموا ترحموا، واغفروا يغفر الله لكم، ويل لأقماع القول، ويل للمصرين الذين يصرون علىٰ ما فعلوا وهم يعلمون**»[(٣)].

٢- داء الهوىٰ، وهو أصل الزيغ عن الصراط المستقيم[(٤)]، وما يعرض لصاحب كل ضلالة من اتباع هواه، فذلك العارض ينقسم إلىٰ قسمين:

أ- ما يعرض قبل معرفة الحق فيصده عن النظر، فلا يتبين له الحق، كما

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣ / ٤٧٤-٤٧٥).

(٢) «غذاء الألباب شرح منظومة الآداب» (٢ / ١٧٣).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١١ / ٩٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (رقم ٣٨٠)، وهو في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٤٨٢).

(٤) «الاعتصام» (٣/ ١٣٩).

قيل:حبك الشيء يعمي ويصم، فيبقىٰ في ظلمة الأفكار، وكثيرًا ما يكون ذلك كبرًا يمنعه عن أن يطلب الحق: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل:٢٢].

ب- ما يعرض بعد أن عرف الحق فيجحده، ويعرض عنه، قال الله تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف:١٤٦]»[(١)].

وهذا مما يدل علىٰ ثقل اتباع الحق عند المتبع للهوىٰ، قال عبد الله بن مسعود ﷺ: «الحق ثقيل مريء، والباطل خفيف وبيء»[(٢)]، ويرجع ذلك في أن «النفس إنما تنشط بما يوافق هواها لا بما يخالفه»[(٣)].

قال العلامة الشاطبي: «فإنه قلما تجد صاحب بدعة ارتضاها لنفسه يخرج عنها أو يتوب منها، بل هو يزداد بضلالتها بصيرة.

روي عن الشافعي أنه قال: مثل الذي ينظر في الرأي ثم يتوب منه، مثل المجنون الذي عولج حتىٰ برئ فأعقل ما يكون قد هاج»[(٤)].

---

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٥ / ٤٨) بتصرف.

(٢) أخرجه هناد في «كتاب الزهد» (رقم٤٩٩)، وأبي نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٣٤)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢ / ٩٩).

(٣) انظر: «الاعتصام» (١ / ١٢٥-٢١٦).

(٤) «الاعتصام» (٣ / ٢٧١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «إن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعه الله ولا رسوله قد زين له سوء عمله فرآه حسنًا [(١)]؛ فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنه ترك حسنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرىٰ فعله حسنًا وهو سيئ في نفس الأمر فإنه لا يتوب» [(٢)].

٣- تصدر صدور المجالس.

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره ولو كان معه الحق كان هذا دليلًا علىٰ أنه ليس بعالم» [(٣)].

٤- اعتقاد المنحرف بأنه هو المحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وكذلك دعاوىٰ كثير من أهل الأهواء والضلال أنهم المحقون، أو أنهم أهل الله أو أهل التحقيق أو أولياء الله حتىٰ توقف هذه المعاني عليهم دون غيرهم، ويكونون في الحقيقة إلىٰ أعداء الله أقرب، وإلىٰ الإبطال أقرب منهم إلىٰ التحقيق بكثير، فهؤلاء

---

(١) قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:٨].

(٢) «الفتاوىٰ» (١٠ / ٩).

(٣) «كتاب العلم» (ص ٥٠).

لهم شبه قوي بما ذكره الله عن اليهود والنصارىٰ من قوله: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١١-١١٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران:١٨]»[1].

فمن كل هذا يعلم سبب تمسك الحدادية بضلالهم، التي من أجلها صعب مداواتهم منها، فلهم بذلك حظ من قول الله تعالىٰ:﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد اختلف السلف في تعيين هؤلاء الأخسرين أعمالًا، فقيل: اليهود والنصارىٰ، وقيل: كفار مكة، وقيل: الخوارج، وقيل: الرهبان أصحاب الصوامع، والأَوْلىٰ حمل الآية علىٰ العموم لكل من اتصف بتلك الصفات المذكورة»[2].

---

(١) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦/ ٦٠٩-٦١٠).

(٢) «فتح القدير» (٣/ ٤٥١).

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المقصد الثاني

المميعة

ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف بمصطلح التمييع.

المطلب الثاني: منهج المميعة.

المطلب الثالث: صفات المميعة.

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المطلب الأول
تعريف بمصطلح التمييع

التمييع في اللغة والاصطلاح:

١- التمييع في اللغة:

قال ابن فارس: «موع: الميم والواو والعين، ماع الصفر والفضة في النار يموع ويميع: ذاب»[١].

وقال مرتضى الزبيدي: «ماع الشيء يميع ميعًا: جرى على وجه الأرض جريًا منبسطًا في هينة، كالماء والدم والسراب ونحوه، وهو في السراب مجاز، وأنشد الليث:

كأنــــه ذو لِــــبَدٍ دَلهْمَــــسُ ... بســـاعديه جـــسد مُـــورَّسُ
مـــن الـــدمـــاء مـــائـــع ويُبـــَّسُ

وماع الفرس: جرى، وماع السمن ميعًا: ذاب، ومنه الحديث: «**إن كان مائعًا فأرقه، وإن كان جامسًا فألق ما حوله**»؛ أي: ذائبًا، كانماع، ومنه حديث

(١) «معجم مقاييس اللغة» (٥ / ٢٨٥).

المدينة: «**لا يريدها أحد بكيد إلا انماع ، كما ينماع الملح في الماء**»[١]؛ أي: ذاب وجرىٰ»[٢].

وقال الفيومي: «ماع: ميعًا وموعًا من بابي باع وقال؛ ذاب فهو مائع، وسئل ابن عمر عن الفأرة تقع في السمن فقال: إن كان مائعًا فأرقه، وإن كان جامدًا فألقها وما حولها؛ أي: إن كان ذائبًا وكل ذائب مائع، وماع يميع ميعًا: سال علىٰ وجه الأرض منبسطًا في هينة، ويتعدىٰ بالهمزة فيقال: أمعته، وانماع الشيء علي انفعل؛ أي: سال، ومنه قول سعيد بن المسيب: في جهنم واد يقال له (ويل) لو سيرت فيه جبال الدنيا لأنماعت من شدة حره؛ أي: ذابت وسالت، والميعة: صمغ يسيل من شجر بالروم يطبخ، فما صفا فهو الميعة السائلة، وما بقي ثخينًا فهو الميعة اليابسة»[٣].

وبهذا يتبين أصالة كلمة التمييع، وأنها عربية المنشأ، وهذا بخلاف الدعوىٰ بطروئها في هذه الأعصار.

٢- التمييع في الاصطلاح:

سئل الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله- عن مرام دلالة التمييع: نسمع كثيرًا من فضيلتكم اصطلاح (التمييع) نرجو منكم بيان هذا المصطلح،

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ١٨٧٧)، ومسلم في «صحيحه» (رقم١٣٨٧).

(٢) «تاج العروس من جواهر القاموس» (٢٢ / ٢٢٣)، وانظر: «القاموس المحيط» (ص ٩٨٨).

(٣) «المصباح المنير» (ص ٣٠٣).

وما رأيكم فيمن يُنكر هذا الاصطلاح؟

فقال : هذا ما هو اصطلاح، هذا كلمة عابرة تُقال، لكن يُقصد بها: أن أناسًا يأتون إلىٰ أصول الإسلام يميعونها، ويرققونها ويهونون من شأنها بل يحاربونها[1]...

أو بمعنىٰ آخر هو: إذابة الثوابت السلفية وأصولها الراسخة؛ حماية لأهل البدعة والمذمة المخالفة لطريق الكتاب والسنة.

قد يقال: إن مصطلح التمييع من المصطلحات الحادثة التي لم تعهد في عبارات العلماء المتقدمين، وجواب ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أن المصطلح إذا كان صحيح المعنىٰ، ويقصد به الحق، فحكمه عدم الرد، ولا مشاحة في الاصطلاح، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-.

فقال: «الأقوال نوعان : **أقوال ثابتة عن الأنبياء، فهي معصومة**، يجب أن يكون معناها حقًّا، عرفه من عرفه وجهله من جهله، والبحث في ذلك إنما هو عن معرفة ما أرادته الأنبياء بأقوالهم، ومن طلب تفسير كلامهم وتأويله، ومقصوده معرفة مرادهم من الوجه الذي به يعرف مرادهم فقد سلك طريق الهدىٰ، ومن كان مقصوده أن يجعل ما قالوه تبعًا له؛ فإن وافقه قبله وإلا رده،

(١) من شريط: «هل الجرح و التعديل خاص برواة الحديث؟ وجه - أ».

وتكلف له من التحريف ما يسميه تأويلًا، مع أنه يعلم بالضرورة أن كثيرًا من ذلك أو أكثره لم ترده الأنبياء؛ فهذا محرف للكلم عن مواضعه، لا طالب لمعرفة التأويل الذي يعرفه الراسخون في العلم.

والنوع الثاني: ما ليس منقولًا عن الأنبياء، فقد علم أن من سواهم ليس بمعصوم، وحينئذٍ فلا يقبل كلامه ولا يرد إلا بعد تصور مراده ومعرفة صلاحه من فساده»[1].

وقال أيضًا -رحمه الله تعالىٰ-: «فالسلف والأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعَرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعاني التي يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم في الأدلة والأحكام ما يجب النهي عنه، لاشتمال هذه الألفاظ علىٰ معانٍ مجملة في النفي والإثبات، كما قال الإمام أحمد في وصفه لأهل البدع، فقال: هم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون علىٰ مفارقة الكتاب، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم.

فإذا عرفت المعاني التي يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسنة بحيث يثبت الحق الذي أثبته الكتاب والسنة، وينفىٰ الباطل الذي نفاه الكتاب والسنة، كان ذلك هو الحق، بخلاف ما سلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفيًا وإثباتًا في الوسائل والمسائل من غير بيان التفصيل

---

(١) «جامع المسائل» (٣ / ٢٢١).

والتقسيم الذي هو من الصراط المستقيم، وهذا من مثارات الشبه، فإنه لا يوجد في كلام النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة والتابعين، ولا أحد من الأئمة المتبوعين أنه علق بمسمىٰ لفظ الجوهر والجسم والتحيز والعَرض ونحو ذلك شيئًا من أصول الدين لا الدلائل ولا المسائل»[١].

الوجه الثاني: أن هذا المصطلح قد استخدمه علماء العصر، فمنهم: العلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني[٢]، والعلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين[٣]، والعلامة العلامة محمد أمان الجامي[٤]، والعلامة الشيخ مقبل الوادعي[٥]، والعلامة الشيخ أحمد النجمي[٦] -رحمهم الله تعالىٰ جميعًا-، والعلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي[٧] -حفظه الله تعالىٰ-.

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (١ / ٤٤-٤٥).

(٢) شريط : «التحذير من تقليد الكفار والتشبه بهم».

(٣) «شرح رياض الصالحين» (ص٩٠٩).

(٤) الشريط الأول: «منهج أهل السنة في الدعوة إلىٰ الله».

(٥) «المصارعة» (ص٣٤٧).

(٦) «الرد الشرعي» (ص١٥٩-١٦٠).

(٧) «منهج أهل السنة والجماعة في نقد الرجال والكتب والطوائف» (ص٤٤ الحاشية)، وفي غيره من المراجع.

المطلب الثاني
منهج المميعة

يقوم منهج المميعة علىٰ رؤية مفادها أن التحذير من أهل البدع، والرد عليهم، وكشف حالهم بالحجة والبرهان، المقترن بالحكمة أنه من التشدد والغلو، وبالمقابل تراهم يسلكون مسلك الليونة والسهولة، مع أهل الضلال بالسكوت عنهم، ومداهنتهم، وعدم الرد عليهم، والتقليل من خطرهم وفسادهم، وأما معاملتهم مع دعاة السنة، فإنها تقوم علىٰ شن الحرب عليهم، كالصد، والرد، والتشنيع، وغير ذلك من الطرق الماكرة.

فهذا هو ملخص ما عليه منهج المميعة، ومن هذا أعرج إلىٰ ذكر صفات المميعة، مع نقض باطلهم، وكشف زائف بهرجهم، وهي علىٰ النحو الآتي:

المطلب الثالث
صفات المميعة

وهي:

الصفة الأولى: وضع القواعد، والتأصيلات المنهجية.

الصفة الثانية: مسلك الليونة والسكوت عن أهل الضلال.

الصفة الثالثة: الرمي لأهل المنهج السلفي بالغلو في التجريح.

الصفة الرابعة: الرمي لأهل المنهج السلفي بتمزيق الصف.

الخاتمة: وصايا مهمة.

الصفة الأولى
القواعد والتأصيلات البدعية

ولوع المميعة بوضع القواعد والتأصيلات المنهجية، ومن قواعدهم الباطلة ما يلي:

- نصحح ولا نُجرح.
- إذا حكمت حُكمت.
- المنهج الواسع الأفيح.
- ولا يلزمني.
- يلزم من جرح المبتدع إجماع أهل العصر.
- حمل المجمل على المفصل.
- لا تجعل الخلاف في غيرنا سببًا للخلاف بيننا.

إلى غير ذلك من تأصيلات هدامة، وقواعد منحرفة، صادرة من وحي أوليائهم الشياطين، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١].

وهؤلاء المميعة لم يكتفوا بما وضعوه من القواعد المحرفة، بل أوحت لهم شياطينهم أن يردفوا مع تلك القواعد أدلة تعضد ما أصلوه من تنظيرات كاسدة، كعادة طرق أهل الأهواء في الاستشهاد بالنصوص علىٰ زيغهم.

يقول العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن نظر إلىٰ طرق أهل البدع في الاستدلال عرف أنها لا تنضبط؛ لأنها سيالة لا تقف عند حد، وعلىٰ وجه يصح لكل زائغ وكافر أن يستدل علىٰ زيغه وكفره، حتىٰ ينسب النحلة التي التزمها إلىٰ الشريعة.

فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفار أنه استدل علىٰ كفره بآيات القرآن كما استدل بعض النصارىٰ علىٰ تشريك عيسىٰ مع الله في الربوبية بقوله تعالىٰ: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١].

واستدل علىٰ كونهم أهل الجنة بإطلاق بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [المائدة:٦٩] الآية.

واستدل بعض اليهود علىٰ تفضيلهم علينا بقوله سبحانه: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٢٢].

وبعض الحلولية استدل علىٰ قوله بقوله تعالىٰ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر:٢٩].

والتناسخي استدل بقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨].

وكذلك كل من اتبع المتشابهات، أو حرف المناطات، أو حمل الآيات ما لا تحتمله عند السلف الصالح، أو تمسك بالأحاديث الواهية، أو أخذ الأدلة ببادي الرأي: أن يستدل علىٰ كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يعوز ذلك أصلًا، والدليل عليه: استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة علىٰ بدعتها بآية أو حديث من غير توقف.

فمن طلب خلاص نفسه؛ تثبت حتىٰ يتضح له الطريق، ومن تساهل رمته أيدي الهوىٰ في معاطب لا مخلص له منها إلا ما شاء الله»[1].

ولا ريب أن مثل هذه الخطط الماكرة، والدسائس الفاجرة، ما نصبت حبائلها إلا للإغماض عن ضلال المتلوثين بأوساخ البدع، وكذا قصد إكرامهم، والتشنيع علىٰ أهل السنة السلفيين، ومحاربتهم.

يقول العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «ومن الفتن التي وجهت سهامها لنحور أهل السنة -خاصةً أهل المنهج السلفي- فتنة عبد الرحمن عبد الخالق، وفتنة محمود الحداد، وفتنة عدنان عرعور، وفتنة حسن المالكي، وفتنة أبي الحسن المصري المأربي، وهي أشدها وأكثرها تلبيسًا ودعاوىٰ عريضة، ومن هذه الدعاوىٰ العريضة الباطلة دعاوىٰ التأصيل وما أدراك ما هذا التأصيل، إنه القذف بالأصول الفاسدة الهدامة التي تهدم أصول أهل السنة والجماعة ومنهج السلف الصالح، ولا سيما

(١) «الاعتصام» (٢ / ١٢٤-١٢٥).

الأصول التي تواجه البدع والضلالات»[١].

وقد كان من آثار ما نصبوه من هذه التنظيرات الردية، أن طرحتهم في هوَّة الردىٰ.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «فرب قاعدة لو علم صاحبها ما تفضي إليه لم يقلها»[٢].

ومن أعظم ما أفضت إليه تنظيراتهم البدعية هو مضادة محجة سبيل السلف الصالح، وذلك من وجهين:

الوجه الأول: البراءة من أهل البدع والأهواء المدلل عليها بالآيات القرآنية، والسنة النبوية، والآثار السلفية، ومن نفائس الدرر التي يعض عليها بالنواجذ ويثنىٰ عليها بالخناصر، ما قاله العلامة المحقق ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اجتنب من يعادي أهل الكتاب والسنة لئلا يعديك خسرانه»[٣].

وقال العلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد كان من المعلوم أنه لا يجتمع في قلب عبد موالاة أعداء الله ورسوله، ومحبتهم، والجدال عنهم، وحماية حماهم، مع محبة الله تعالىٰ، ومحبة أوليائه، ومعاداة أهل الإسلام المبغضين لأعداء الله ورسوله، المنابذين لهم، الناهين عن

---

(١) «حقيقة المنهج الواسع عند أبي الحسن»، منقول من موقع الشيخ -حفظه الله-.

(٢) «الفتاوىٰ الكبرىٰ» (٦ / ٩٢).

(٣) «الفوائد» (ص ٧٤).

متابعتهم، ومجامعتهم، ومجالستهم، والرد عليهم، وتجهيلهم، وتضليلهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

أتحب أعداء الحبيب وتدعي ... حبًّا له ما ذاك في إمكان

وكذا تعادي جاهدًا أحبابه ... أين المحبة يا أخا الشيطان[1]

وقال العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-:

«فلا تتحقق السلفية والسنية في أحد حتىٰ يفارق أهل البدع والتحزب قلبًا وقالبًا، ويلتزم بما كان عليه السلف الصالح ظاهرًا وباطنا عقيدة ومنهجًا قولًا وعملًا، عبادة وأخلاقًا، معاملة وسياسة»[2].

وهذه البراءة والمعاداة لأهل الأهواء تستلزم:

الوجه الثاني، وهو: الرد علىٰ أهل البدع، مع كشف حالهم، وعدم السكوت عليهم.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك حكم هذه البراءة بين أتباع الرسول ﷺ أهل سنته، وبين أهل البدع المخالفين لما جاء به، الداعين إلىٰ غير سنته إذا قال لهم خلفاء الرسول وورثته: لكم دينكم ولنا ديننا، لا يقتضي هذا إقرارهم علىٰ بدعتهم، بل يقولون لهم هذه براءة منها، وهم مع هذا منتصبون للرد عليهم ولجهادهم بحسب الإمكان»[3].

---

(١) «كشف الشبهتين» (ص ٢٣-٢٤).

(٢) «حقيقة المنهج الواسع عند أبي الحسن»، منقول من موقع الشيخ -حفظه الله-.

(٣) «بدائع الفوائد» (١ / ٢٤٩).

ومحصل ما تهدف إليه قواعدهم البدعية، وتأصيلاتهم الردية الناشئة من الأهوية المغوية، المتدنسة بالبدع والحيل الشيطانية، أمران:

الأول: رد النصوص وتعطيلها، وهذا دأب كل مبتدع لما تدمغه النصوص الناصعة، فإن المخرج عنده يتمثل في ابتداع قواعد فاسدة يسلطها علىٰ النصوص بالرد، أو التعطيل، أو التأويل، نصرة لطريقته الباطلة الجامعة لكل من الميتة والموقوذة والمتردية، ومن هذا قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا يجوز تحريف كلام الله انتصارًا لقاعدة نحوية؛ هدم مائة أمثالها أسهل من تحريف معنىٰ الآية»[1].

وهذا المسلك المظلم السائر عليه لابد أن يلجأ إلىٰ مسالك غاية في الضلال، والتي منها الآتي:

١- الكذب، والافتراء، والدجل.

٢- القول بلا علم المقترن بالجهل والهوىٰ.

٣- الكلام بالمتشابه.

٤- الموالاة والمعاداة علىٰ ما استحدث من القواعد والتأصيلات.

الثاني: علمهم أن العلماء سيجرحونهم؛ لإغراقهم في الضلال فهم يأخذون لأنفسهم الاحتياط بهذه القواعد والتأصيلات البدعية، كعادة حيل اللصوص والسراق.

---

(١) «بدائع الفوائد» (١ / ٤٨).

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وهم أنواع لا تحصىٰ، فمنهم السراق بأيديهم، ومنهم السراق بأقلامهم، ومنهم السراق بأمانتهم، ومنهم السراق بما يظهرونه من الدين والفقر والصلاح والزهد وهم في الباطن بخلافه، ومنهم السراق بمكرهم وخداعهم وغشهم، وبالجملة فحيل هذا الضرب من الناس من أكثر الحيل »[١].

فمن هذا؛ فليتمعن اللبيب في حال ما آلت إليه عقول المميعة التي اقترنت باتباع الهوىٰ، شريك العمىٰ، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية، **حيث قال**: «ثم إذا صارت الشبهات أهواء أخرجت من النفوس الداء الدفين»[٢].

وفي المقابل لكل ما سبق، يتضح أن الموقف الصحيح المتعين علىٰ كل مسلم السير عليه نحو كل تأصيل مخترع؛-خاصة عصرنا عصر الأهواء وعصر الجهل، وعصر اختلاط العالم بعضهم ببعض[٣]-، هو بالرجوع إلىٰ العلماء المعتبرين، الذين يسيرون علىٰ منهج صحابة رسول الله ﷺ.

قال الإمام البربهاري -رحمه الله تعالىٰ-، وهو يوصي أهل زمانه: «فانظر -رحمك الله- كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن، ولا تدخلن في شيء منه حتىٰ تسأل وتنظر، هل تكلم فيه أحد من أصحاب

---

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣ / ٣٧١).

(٢) «جامع المسائل» (٥ / ٤٢).

(٣) «إتحاف القاري بالتعليقات علىٰ شرح السنة للبربهاري» (١/ ٨٧).

النبي -صلىٰ الله عليه وسلم ورضي الله عنهم-، أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت فيه أثرًا عنهم فتمسك به، ولا تجاوزه لشيء، ولا تختر عليه شيئًا فتسقط في النار» [١].

قال شيخنا العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «هذه وصية عظيمة، إذا أعجبك كلام مِن أحد في الدين، أما الكلام الذي في أمور الدنيا فليس موضوع البحث، لكن إذا أعجبك كلام في الدين فلا تعجَل حتىٰ تنظر فيه، هل هو مؤسس علىٰ حق و أدلة، أم هو من الرأس ومن الفكر، فهذا غثاء كغثاء السيل اتركه، أما إن كان مؤسسًا ومؤصلًا علىٰ الكتاب والسنة فهذا حق، فلا تعجل في أخذ الكلام علىٰ عواهنه، حتىٰ ولو أعجبتك فصاحته وبلاغته وقوته وجزالته، لا تعجل فيه حتىٰ تنظر، وتعرضه علىٰ الكتاب والسنة، وتنظر من قاله هل هو فقيه أم ليس بفقيه؟ حتىٰ تسأل أهل العلم عنه، وتنظر هل قاله أحد من السلف أو لم يقولوه.

وهذا ما حذرت منه مرات، أقول: لا تحدثوا اجتهادات وآراء وأقوالًا وعبارات لم تسبقوا إليها، خذوا القدوة من السلف ومن كلام السلف، لو أتيت بشيء لم تسبق إليه فإنه يكون شذوذًا، وخطره أكثر من نفعه» [٢].

فاتضح بهذا حقيقة الميزان الذي يجب المصير إليه، ليدرك بذلك صحة

---

(١) «شرح السنة» (ص٢٣).

(٢) «إتحاف القاري بالتعليقات علىٰ شرح السنة للبربهاري» (١/ ٨٨).

التأصيلات والتنظيرات حتىٰ تقبل، أو فسادها فترد.

قال العلامة المحقق ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فمن أنشأ أقوالًا وأسس قواعد بحسب فهمه وتأويله؛ لم يجب علىٰ الأمة اتباعها ولا التحاكم إليها حتىٰ تعرض علىٰ ما جاء به الرسول؛ فإن طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذٍ، وإن خالفته وجب ردها واطراحها؛ فإن لم يتبين فيها أحد الأمرين جعلت موقوفة، وكان أحسن أحوالها أن يجوز الحكم والإفتاء بها وتركه، وأما أنه يجب ويتعين فكلَّا ولمَّا»[١].

وقال العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «وإذا أردت أن تعرف الحق الصحيح، فهو ما قاله الله أو قاله رسوله، وأن ما ناقضه أو نافاه، فهو باطل مضمحل مبني علىٰ جهالات، ومواد فاسدة، ومقدمات ناقصة»[٢].

(١) «زاد المعاد» (١ / ٣٥).

(٢) «الفتاوىٰ السعدية» (ص٣٦).

الصفة الثانية
مسلك الليونة والسكوت عن أهل الضلال

سلوك المميعة لمسلك الليونة والسهولة مع أهل الضلال بالسكوت عنهم، وعدم الرد عليهم، والتقليل من خطرهم وفسادهم، هذا يعد من شر الأوصاف التي تميز بها أهل التمييع، وحقيقته تهدف إلىٰ هدم أصل الرد علىٰ المخالف، الذي يعد من وسائل حفظ دين الله تعالىٰ، وسنة نبيه ﷺ، يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ولما كانت ألفاظ القرآن محفوظة منقولة بالتواتر، لم يطمع أحد في إبطال شيء منه، ولا في زيادة شيء فيه، بخلاف الكتب قبله، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، بخلاف كثير من الحديث طمع الشيطان في تحريف كثير منه، وتغيير ألفاظه بالزيادة والنقصان، والكذب في متونه، وإسناده، فأقام الله له من يحفظه، ويحميه، وينفي عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فبينوا ما أدخل أهل الكذب فيه، وأهل التحريف في معانيه، كما قال ﷺ: «**لا يزال طائفة من أمتي علىٰ الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم**

ولا من خذلهم حتىٰ تقوم الساعة» [١].

وقال ﷺ: **(يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)»** [٢].

قال العلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالىٰ-: «فمن نصح نفسه وأراد نجاتها، فليلتمس رضا الله بمعاداة أعداء الله ورسوله، ويعلم أن أصل الأصول لا استقامة له، ولا ثبات إلا بمقاطعة أعداء الله، وجهادهم، والبراءة منهم، والتقرب إلىٰ الله بمقتهم، وعيبهم، وقد قال تعالىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:٧٨-٨١].

وأكثر الناس إنما يتعبد بما يحسن في العادة، ويثنىٰ عليه به، وما فيه مقاطعة ومجاهدة وهجر في ذات الله، ومراغمة لأعدائه، فذاك ليس منه علىٰ شيء، بل ربما ثبط عنه، وقدح في فاعله، وهذا كثير في المنتسبين إلىٰ

---

(١) سبق تخريجه (ص٩).

(٢) «الرد علىٰ البكري» (١ / ١٧١-١٧٢)، والحديث تقدم في (ص١٢٣-١٢٤).

العادة، والمنتسبين إلىٰ العلم والدين، والشيطان أحرص شيء علىٰ ذلك منهم؛ لأنهم يرونه غالبًا دينًا وحسن خلق، فلا يتاب منه ولا يستغفر؛ ولأن غيرهم يقتدي بهم، ويسلك سبيلهم فيكونون فتنة لغيرهم، ولهذا حذر الشارع من فتنة من فسد من العلماء والعُبَّاد وخاف علىٰ أمته، فالمؤمن إذا حصل له ظفر بحقائق الإيمان، وصار علىٰ نصيب من مرضاة الملك الرحمن، فقد حصل له الحظ الأوفىٰ، والسعادة الكبرىٰ، وإن قيل ما قيل.

إذا رضـــي الحبـــيب فـــلا أبالـــي أقـــام الحـــي أم جـــد الـــرحيل»[1]

وبالكشف عن حقيقتين يتبين للقارئ ظلمة وفساد هذا المنهج التمييعي، المبني علىٰ الليونة والسهولة مع أهل الضلال بالسكوت وعدم الرد، وهما:

الحقيقة الأولىٰ: أن في قيام أصحاب المنهج السلفي بالرد علىٰ أهل البدع، بنسف تُرهاتهم، وتأصيلاتهم الفاسدة، مع كشف لحالهم، فَوائدَ يصعب حصرها، ولكن أورد بعضًا منها، فمن ذلك ما يلي:

أ- يحفظ للأمة بيضة إسلامها من سموم أفكار المنحرفين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «فالمرصدون للعلم عليهم للأمة حفظ علم الدين وتبليغه؛ فإذا لم يبلغوهم علم الدين، أو ضيعوا حفظه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين؛ ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ

(١) «كشف الشبهتين» (ص ٥١- ٥٣).

﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]، فإن ضرر كتمانهم تعدىٰ إلىٰ البهائم وغيرها، فلعنهم اللاعنون حتىٰ البهائم»[١].

ب- يحقق لأهله الناصحين الكمال في الدين، كما جاء في حديث تميم الداري ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**، قلنا: لمن؟قال: **لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم**»[٢].

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله: الدين النصيحة. فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعامة، كان ناقص الدين، وأنت لو دعيت: يا ناقص الدين، لغضبت»[٣].

وإذ الأمر كذلك؛ فإنه لا ينهض بهذه الوظيفة السامية إلا ورثة الأنبياء من مشايخ الدعوة السلفية، فهم وحدهم -دون من سواهم- ألسنة الإسلام، وحفَظته وأنصاره، وأسماعه وأبصاره، ونبالُه وقِسيُّه، وحِباله وعصيُّه[٤].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «فهؤلاء الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر، أطباء الأديان، الذين تشفىٰ بهم القلوب المريضة، وتهتدي بهم القلوب الضالة، وترشد بهم القلوب الغاوية، وتستقيم

---

(١) «الفتاوىٰ» (٢٨/ ١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم٥٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١ / ٥٠٠).

(٤) «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٣ / ٤٢٠) بتصرف.

بهم القلوب الزائغة، وهم أعلام الهدىٰ، ومصابيح الدجىٰ» [١].

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وتبليغ سنته إلىٰ الأمة أفضل من تبليغ السهام إلىٰ نحور العدو، ولأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم -جعلنا الله تعالىٰ منهم بمنه وكرمه-» [٢].

ج- يكسر شرة أهل الباطل ويدحر حججهم، وبالتالي يستبين الحق، وتعلو رايته.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «الباطل كلما ظهر فساده وبطلانه أسفر وجه الحق واستنارت معالمه، ووضحت سبله، وتقررت براهينه، فكسر الباطل ودحض حججه، وإقامة الدليل علىٰ بطلانه من أدلة الحق وبراهينه» [٣].

وهذا من فوائده العائدة علىٰ أصحاب الدعوة للمنهج السلفي، أن يزيدهم شرفًا وعزًّا، وثباتًا وصبرًا علىٰ الصراط المستقيم، وذلك ليقينهم بأمرين:

الأمر الأول: أن ما هم عليه يمثل الصراط المستقيم، كما يدل عليه قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

(١) «جامع المسائل» (٥ / ٢٥٠).

(٢) «جلاء الأفهام» (ص٤١٥).

(٣) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (١ / ٣٠٨).

سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

الأمر الثاني: تلاشي الباطل، واضمحلاله بمحق براهين الحق له، يقول الله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:١٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:١٨].

قال العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «هذا وصف الباطل، ولكنه قد يكون له صولة وروجان إذا لم يقابله الحق، فعند مجيء الحق يضمحل الباطل، فلا يبقىٰ له حراك، ولهذا لا يروج الباطل إلا في الأزمان والأمكنة الخالية من العلم بآيات الله»[(١)].

وجاء عن أبي زرعة -رحمه الله تعالىٰ-، أنه كتب إلىٰ إسحاق بن راهويه: «لا يهولنك الباطل، فإن للباطل جولة ثم يتلاشىٰ»[(٢)].

د- من صميم علم الجرح والتعديل، وذلك لما فيه من الذب عن السنة، والذود عنها.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ٤٦٤).

(٢) «الجرح والتعديل» (١ / ٣٤٢).

يقول العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «نقد أهل البدع وتجريحهم بها داخل في صميم علم الجرح والتعديل وجزء منه، بل هم الهدف الأول من جرح أئمة الحديث والنقد، ويكذب كذبًا مفضوحًا من يخرجهم من نقد أهل الحديث وجرحهم وينادي بجهله وكذبه علىٰ رءوس الأشهاد، فما كشف عوار أهل البدع وهتك أستارهم إلا أئمة الحديث، والعلماء من فقهاء وغيرهم تبع لهم وعيال عليهم في هذا الباب العظيم؛ لأن هذا اختصاصهم والمعول في كل فن علىٰ أهله المتخصصين فيه، وهذا من البدهيات عند العلماء وعقلاء البشر»[1].

وقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله تعالىٰ-: «وإذ لم يقم أهل السنة العصريون بالجرح والتعديل فسيكون كلامك أيها السني الذي تقول: قال الله، قال رسول الله -صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم-، وكلام محمد الغزالي الذي يحارب السنة، وكلام الشعراوي الذي يتلون، وكلام علي الطنطاوي واحدًا، بل كل منهم هو المقبول عند الحزبيين وعند العامة؛ لأنهم هم العلماء الذين يتكلمون في الإذاعة والتلفزيون، ويكتبون في الجرائد والمجلات، ومن أنت بجانبهم في نظر العامة وفي نظر الحزبيين، فلابد أن يقيم أهل السنة علم الجرح والتعديل، ومن الذي يقوم بالجرح والتعديل؟ إنه العالم البصير، الذي يخاف الله، وليس كل أحد يتصدر للجرح والتعديل»[2].

---

(١) «المجموع الواضح في رد منهج وأصول فالح» (ص٩٥).

(٢) «فضائح ونصائح» (ص٣٨).

ذ- التعبد لله تعالىٰ بمراغمة أعداء السنة، وطوائفها الضالين، ومن ذلك إذلالهم عن طريق الردود.

يقول العلامة ابن القيم عن عبودية المراغمة لله تعالىٰ: «...فعبوديته فيها عبودية خواص العارفين، وهي تسمىٰ عبودية المراغمة، ولا ينتبه لها إلا أولو البصائر التامة، ولا شيء أحب إلىٰ الله من مراغمة وليه لعدوه وإغاظته له...

فمن تعبد الله بمراغمة عدوه فقد أخذ من الصديقية بسهم وافر، وعلىٰ قدر محبة العبد لربه وموالاته ومعاداته لعدوه، يكون نصيبه من هذه المراغمة»[1].

وقال العلامة العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «أوجب الله علىٰ العلماء إعزاز الدين وإذلال المبتدعين، فسلاح العالم علمه ولسانه، كما أن سلاح الملك سيفه وسنانه، فكما لا يجوز للملوك إغماذ أسلحتهم عن الملحدين والمشركين، لا يجوز للعلماء إغماد ألسنتهم عن الزائغين والمبتدعين، فمن ناضل عن الله وأظهر دين الله، كان جديرًا أن يحرسه الله تعالىٰ بعينه التي لا تنام، ويعزه بعزه الذي لا يضام»[2].

ر- أن في قلم الرد علىٰ المبطلين ورفع سُنة المحقين، وكشف أباطيل

---

(١) «مدارج السالكين» (١ / ٢٤١).

(٢) «شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور» (ص٢٢٣).

المبطلين، على اختلاف أنواعها وأجناسها، وبيان تناقضهم وتهافتهم وخروجهم عن الحق، ودخولهم في الباطل [١]، مما يندرج ضمن إماطة الأذى.

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله تعالى- عند شرحه لقول رسول الله ﷺ: «... «**وتميط الأذى عن الطريق صدقة** [٢]...»، إذا كان إماطة الأذى عن الطريق الحسي صدقة، فإماطة الأذى عن الطريق المعنوي أبلغ، وذلك ببيان البدع والمنكرات وغيرها، والمنكرات كسفاسف الأخلاق من الدعارة واللواط وشرب الخمر والدخان وغيرها، فبيان هذه الأشياء لئلا يمارسها الناس تعتبر صدقة وأعظم من إماطة الأذى عن الطريق الحسي» [٣].

ز- إذا قصر أهل الحق السلفيين في باب الردود ببيان الحق، وكشف باطل المخالفين وقمعهم، ففي المقابل ينشط أئمة الضلال لنشر مذاهبهم الردية.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى-: «إن ما وقع في هذه الأمة من البدع والضلال، كان من أسبابه تقصير من قصَّر في إظهار السنة والهدى» [٤].

وقارن هذا بما قاله رحمه الله في موضع آخر عن أسباب ظهور المبتدعة: «فإن هذا الصنف يكثرون ويظهرون إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (٢ / ٢١٣).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم١٠٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) «شرح الأربعين النووية» (ص٧).

(٤) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٣٧٨).

هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك والشرك والمحال»[(١)].

وأعظم ما يستفز أهل الباطل ويقلقهم هو أن تسكت مدافعُ أهل الحق عنهم، وهكذا كانت عادة المشركين مع نبينا محمدﷺ، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم، حيث قال سبحانه: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم:٩].

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «وهو أن المشركين طلبوا من النبيﷺ أن يسكت عن عيب آلهتهم ودينهم، ويسكتوا عنه، ولهذا قال: ﴿وَدُّوا﴾؛ أي: المشركون ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾؛ أي: توافقهم علىٰ بعض ما هم عليه، إما بالقول، أو الفعل، أو بالسكوت عما يتعين الكلام فيه، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ ولكن اصدع بأمر الله، وأظهر دين الإسلام، فإن تمام إظهاره بنقض ما يضاده، وعيب ما يناقضه»[(٢)].

ومن أمثلة ما يوضح عن سعي أهل الباطل لإسكات أهل الحق، ما ورد عن ابن طاهر قال: سمعت أبا إسماعيل، عبد الله الأنصاري الهروي يقول: «عرضت علىٰ السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عمن خالفك، فأقول: لا أسكت»[(٣)].

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (١ / ٦)، وانظر: «التدمرية» (١١٢).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٨٧٩).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٨ / ٥٠٩).

وهذا مما يدل علىٰ أن السكوت عن أهل الضلال والأهواء، إنما هو من أحد ركائز رواج دجلهم في الأمة.

قال ابن قتيبة رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما يقوىٰ الباطل بالسكوت عنه»[(١)].

ويقول العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ- عن طرائق أهل الفتن: «...وهم ما يسكتون، هم ينشرون باطلهم في صحفهم في مجلاتهم في أشرطتهم، ويريدون صوت الحق أن يسكت، صوت الحق هو الذي يجب أن يسكت عندهم، وصوت الباطل له أن يعلو، وأن ينتشر في الأرض! هل هم سكتوا؟، أهل الباطل لا يسكتون ولا يفترون ولا يهدءون، ولهم خطط جهنمية ينفذونها ثم يطلبون من أهل الحق أن يسكتوا!

قال الله عَزَّوَجَلَّ لمحمد ﷺ: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم:٩-١٣].

يأتي إلىٰ المنهج السلفي يقول لك: هذا يمزق، هذا يفرق! إنما من فرق ومزق الأمة هي الأهواء والضلالات التي يتحمس لنشرها أهل الباطل الآن في الإنترنت، مواقع الباطل في الصحف، في المجلات، في المدارس، في كل مكان ينشرون باطلهم، والشيء الذي يصعب عليهم أن يسمعوه هو صوت الحق»[(٢)].

---

(١) «الاختلاف في اللفظ والرد علىٰ الجهمية» (ص٦٠).

(٢) «كشف الستار عما تحمله بعض الدعوات من أخطار» (ص٢٦-٢٧).

س- من وسائل الارتقاء في مراقي العلم، والرسوخ فيه؛ فإن حذق النبيه بمسالك العلماء في باب الردود العلمية، يثمر له الآتي:

١- الحماية من التذبذب في مزالق الأحوال، التي تجر لهوة الضلال.

٢- اتساع مداركه العلمية.

٣- تتبرهن له المشكلات، وتفتح له المغلقات.

٤- اكتساب خبرة النقد والتمييز.

٥- حصول المعرفة بخبايا المخالفين.

٦- معرفة مناهج العلماء في الردود.

الحقيقة الثانية: أن مسلك التمييع الفاسد القائم علىٰ كتمان الحق، وعدم الصدع والبيان في الرد علىٰ ضلالات المخالفين المجانبين لسواء السبيل، يقود أهله إلىٰ نتائج مريرة، ومخاطر عظيمة [1]، وهي كالآتي:

أولًا: لبس الحق بالباطل، وكتمان الحق الواجب الصدع به، وقد جاء ما يذم هذا الصنف من الناس، فمن القرآن قول الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١].

يقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهمًا وكتموا الحق

(١) أضف إليه ما ذكرناه قريبًا في تضاد منهج السلف الصالح، فتنبه!

الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب علىٰ ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتدِ العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتىٰ يؤثروه، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون، ويرجع الضالون وتقوم الحجة علىٰ المعاندين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران:١٨٧]»[(١)].

ومن السنة حديث أبي سعيد الخدري ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمنعن رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه،أو شهده، أو سمعه**»[(٢)].

قال العلامة الشيخ الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: «وفي الحديث النهي المؤكد عن كتمان الحق خوفًا من الناس، أو طمعًا في المعاش، فكل من كتمه مخافة إيذائهم إياه بنوع من أنواع الإيذاء كالضرب والشتم، وقطع الرزق، أو مخافة عدم احترامهم إياه، ونحو ذلك، فهو داخل في النهي، ومخالف للنبي ﷺ، وإذا كان هذا حال من يكتم الحق وهو يعلمه؛ فكيف يكون حال من لا يكتفي بذلك، بل يشهد بالباطل علىٰ المسلمين الأبرياء،

---

(١) «تفسير السعدي» (ص ١٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (رقم٢١٩١)، وابن ماجه في «سننه» (رقم٤٠٠٧)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٦٨).

ويتهمهم في دينهم، وعقيدتهم؛ مسايرة منه للرعاع، أو مخافة أن يتهموه هو أيضًا بالباطل إذا لم يسايرهم علىٰ ضلالهم واتهامهم؟!، فاللهم ثبتنا علىٰ الحق، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين»[(١)].

ومن كلام أهل العلم الأعلام في وجوب كشف حال أهل الأهواء، وأنه مما لا يسوغ السكوت بحال عنهم، ما يلي:

أ- قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: « فلابد أيضًا من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم؛ فإن فيهم إيمانًا يوجب موالاتهم وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تفسد الدين، فلابد من التحذير من تلك البدع، وإن اقتضىٰ ذلك ذكرهم وتعيينهم؛ بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق؛ لكن قالوها ظانين أنها هدىٰ وأنها خير وأنها دين؛ ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها»[(٢)].

ب- قال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم؛ لأن ما يعود علىٰ المسلمين من ضررهم إذا تركوا أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعداوة.

ولا شك أن التفرق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم -إذا

---

(١) «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١/ ٣٢٥).

(٢) «الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٣٣).

أقيم-عليهم أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم، وإذا تعارض الضرران فالمرتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الشر أهون من جميعه كقطع اليد المتآكلة إتلافها أسهل من إتلاف النفس، وهذا شأن الشرع أبدًا، يطرح حكم الأخف وقاية من الأثقل»[(١)].

د- **قال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ-**: «ومتىٰ سكت أهل الحق عن بيان أخطاء المخطئين وأغلاط الغالطين، لم يحصل منهم ما أمرهم الله به من الدعوة إلىٰ الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعلوم ما يترتب علىٰ ذلك من إثم الساكت عن إنكار المنكر وبقاء الغالط علىٰ غلطه والمخالف للحق علىٰ خطئه، وذلك خلاف ما شرعه الله سبحانه من النصيحة والتعاون علىٰ الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله ولي التوفيق»[(٢)].

ز- **قال العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلو سكت أهل الحق والمعرفة حتىٰ يستفحل أمر المبتدعة؛ لكان في ذلك ضرر عظيم، وما نصر الله نبيه، وأصحاب نبيه إلا لأنهم نصروا الحق علىٰ أنفسهم أولًا، وعلىٰ غيرهم ثانيًا، والله تعالىٰ قد قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧].

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٢٢٩).

(٢) «تنبيهات علىٰ ما كتبه الصابوني في صفات الله عَزَّ وَجَلَّ» (ص٣٠).

فإذا نصرنا الله علىٰ أنفسنا وعلىٰ من سوانا نصرنا الله، وإذا خذلنا الحق، وكتمنا ما أمرنا الله بأن نبلغه للناس، فإنا نكون حينئذٍ قد تعرضنا لغضب الله، وقد قال النبي ﷺ: «**إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا علىٰ يديه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**» [(١)]...فلا يستقيم الدين إلا بالتناصح، والتواصي بالحق، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:١١٦].

وبهذا نعلم أن الردود التي تكون في محلها حق، وبها تكون إقامة الدين، ومن قال خلاف ذلك حكم عليه بالضلال؛ لأنه بكتمان الحق أراد أن يستفحل الباطل، نسأل الله للجميع الهداية والتوفيق والسداد» [(٢)].

وعليه؛ فإن العالم الغيور الذي لا يفتأ يذب عن الحق بلسانه أو قلمه، ولا يسوقه طمع، أو رهبة إلىٰ الخمول أو الصمت [(٣)]**، يوصف بأمرين:**

١ - مجاهد في سبيل الله تعالىٰ.

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» (رقم٤٣٣٨)، والترمذي في «سننه» (رقم٢١٦٨)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٥٦٤).

(٢) «الفتاوىٰ الجلية» (ص٢٥).

(٣) «رسائل الإصلاح» (ص ٧٣) للخضر حسين، بتصرف.

قال محمد بن يحيىٰ الذهلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «سمعت يحيىٰ بن يحيىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله، قال محمد: قلت ليحيىٰ: الرجل ينفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد فهذا أفضل؟ قال: نعم بكثير»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «لكن الموافقة التي فيها قهر المخالف، وإظهار فساد قوله هي من جنس المجاهد المنتصر، فالراد علىٰ أهل البدع مجاهد»[٢].

٢- حامي الدين ومن فرسانه الشجعان.

قال سفيان الثوري -رحمه الله تعالىٰ-: «الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض»[٣].

وقال يزيد بن زريع رَحِمَهُ اللَّهُ: «لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد»[٤].

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وكذلك العلماء رجوم لشياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غرورًا، فالعلماء رجوم لهذا الصنف من الشياطين، ولولاهم لطمست معالم الدين

---

(١) «ذم الكلام وأهله» (٤/ ٢٥٤).

(٢) «نقض المنطق» (ص٢٢).

(٣) «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي (ص٤٤).

(٤) المصدر السابق نفسه.

بتلبيس المضلين، ولكن الله سبحانه أقامهم حراسًا وحفظة لدينه، ورجومًا لأعدائه، وأعداء رسله»[١].

وأيضًا مما يتبع مخاطر كتمان الحق وعدم الصدع والبيان في الرد علىٰ ضلالات المخالفين:

ثانيًا: أن ذلك من صفات اليهود المغضوب عليهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-؛ وذلك بعد أن ساق الآيات القرآنية في وصف اليهود بالكتمان: «فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم: تارة بخلًا به، وتارة اعتباطًا عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفًا أن يحتج عليهم بما أظهروه منه.

وهذا قد يبتلىٰ به طوائف من المنتسبين للعلم؛ فإنهم تارة يكتمون العلم بخلًا به، وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه، وتارة اعتياضًا عنه برئاسة أو مال، فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته أو نقص ماله، وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزىٰ إلىٰ طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من العلم ما فيه حجة لمخالفه وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل، ولهذا قال عبد الرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم»[٢].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٦٦)، وانظر: «الفروسية» (ص ١٥٧).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٨٤-٨٥).

ثالثًا: أنهم علىٰ مذهب غلاة المرجئة الذين يقولون: «لا يضر مع الإيمان ذنب»، وكذلك حال لسان المميعة مع المخالفين: «لا يضر مع السلفية شيء».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب، أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس، بل يكتمونه ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم؛ بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذمًّا مطلقًا؛ لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة، أو يقرون الجميع علىٰ مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع.

وهذه الطريقة قد تغلب علىٰ كثير من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة، كما تغلب الأولىٰ علىٰ كثير من أهل الأهواء والكلام، وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة»[1].

(١) «الفتاوىٰ» (١٢/ ٤٦٧-٤٦٨).

الصفة الثالثة
الرمي لأهل المنهج السلفي بالغلو في التجريح

رميهم لأهل المنهج السلفي بوصمة الغلو في التجريح، ومِمَّن حمل راية نبز أهل السنة بهذا الوصف هو أبو الفتن: مصطفىٰ بن إسماعيل السليماني المصري[١].

وقد كانت معاملة دعاة الحق وفرسان الدين معه في عناء وتعب، فصرفوا أوقاتًا فاضلة، وساعات مباركة، يحتسبونها من عظيم الجهاد والمُنَافحة عن سبيله، والدعوة إلىٰ صراطه، مع الحرص علىٰ أمل توبته ورجوعه مما بدر منه من سموم قاتلة، ولكن قابل كل ذلك بالعناد والتسفيه والسب والمراوغة بالكذب، والإصرار علىٰ نصرة قواعده، وتُرهاته الباطلة، التي تضاد أخلاق الداعين إلىٰ الله تعالىٰ؛ قدوة هذه الأمة، الذين من صفاتهم الانقياد للحق، الدال علىٰ صدق الإيمان، كما يبينه حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإنما المؤمن كالجمل الأنف**[٢]، **حيثما**

---

(١) كما هو مسطور في كتبه وفي الوسائل المرئية، وأيضًا تجد تلك الجعجعة عند المغراوي، ومحمد حسان، وأبي إسحاق الحويني، وعدنان عرعور، وعلي الحلبي.

(٢) «كَكَنف أي: المأنوف، وهو الذي عقر الخشاش أنفه، فهو لا يستنع علىٰ قائده للوجع

قيد انقاد»[١].

وكذلك حديث مكحول قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإذا أنيخ علىٰ صخرة استناخ**»[٢].

قال العلامة ابن الوزير -رحمه الله تعالىٰ-: «والقاصد لوجه الله تعالىٰ لا يخاف أن يُنقد عليه خلل في كلامه، ولا يهاب أن يُدل علىٰ بطلان قوله، بل يحب الحق من حيث أتاه، ويقبل الهُدىٰ ممن اهداه، بل المُخاشنة بالحق والنصيحة، أحب إليه من المداهنة علىٰ الأقوال القبيحة، وصديقك من صَدَقك لا من صدَّقك»[٣].

ومن أعظم الشنعات التي أرعد بها وأزبد وطار بها كل مطار في حملته المسعورة علىٰ السلفيين، هو رميهم بما سطرناه قبل بـ :«غلاة التجريح»، ثم صارت هذه القولة الضالة الجائرة علىٰ لسان كل مميع ضائع لما يواجه سهام نقد أهل المنهج السلفي.

=

الذي به، وقيل: الأنف: الذلول»، «النهاية في غريب الأثر» (١ / ١٨٠)، و«حاشية السندي» علىٰ ابن ماجه (١ / ٣٦).

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (رقم٤٣)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم٣٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦ / ٢٧٢)، وحسنه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير» (رقم٦٦٦٩)، وانظر: «السلسلة الصحيحة» (رقم٩٣٦).

(٣) «الروض الباسم» (٢ / ٧٦).

والسبب في لجوء المميعة لمثل هذه الدسائس، ذلك حتىٰ لا تنفضح وشائج العلائق التي تربطهم مع أهل الأهواء والبدع، ولهذا وضعوا لهم قاعدة ذائدة عنهم[١]. وهي: «المنهج الواسع الأفيح»، التي من بعض مفاسدها الضارة:

١- تورث النفاق.

يقول الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالىٰ-: «الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»[٢].

ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من النفاق.

قال ابن بطة -رحمه الله تعالىٰ-: «صدق الفضيل -رحمة الله عليه-، فإنا نرىٰ ذلك عيانًا»[٣].

٢- التهوين من مخالطته الهلك كله، ومخالطته بمنزلة أكل السُّم...وهم أهل البدع والضلالة، الصادون عن سنة رسول الله، الداعون إلىٰ خلافها: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:٤٥]، من أمثال جماعة الإخوان، والتبليغ، والسرورية، وكل رأس ضل عن سواء السبيل.

والنصوص التي جاءت في بيان خطر التهاون بمجالسة هذا الصنف،

---

(١) انظر: «المنهج الواسع عند أبي الحسن» للعلامة الشيخ ربيع المدخلي.

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣٣٣٦)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ٢٦٣٨).

(٣) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (٢ / ٤٥٦).

كثيرة جدًّا، ومن ذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال العلامة الشوكاني -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قدرنا عليه وبلغت إليه طاقتنا.

ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حق معرفتها علم أن مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سيما لمن كان غير راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما ينفق عليه من كذباتهم وهذيانهم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجه ويعسر دفعه فيعمل بذلك مدة عمره، ويلقىٰ الله به معتقدًا أنه من الحق، وهو من أبطل الباطل، وأنكر المنكر»[(١)].

٣- مكيدة شيطانية تهدف إلىٰ إرضاء المبتدعة، وذلك باستئصال أصل نقد المخالف.

يقول العلامة سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن الشيطان قد فتح لكثير من الناس أبوابًا من الشبه في إسقاط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألقىٰ علىٰ ألسنتهم هذه الشبهة ليتوصل بذلك إلىٰ أن يترك الناس

(١) «فتح القدير» (٢ / ١٨٥).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن في ذلك تنفيرًا للناس عن قبول النصيحة، ويظنون أن هذا من جهل الآمر والناهي، وأن العقل لا يسوغ هذا.

وهذا العقل هو حظ كثير من الناس، بل أكثرهم وهو عين الهلاك، وثمرة النفاق، فإن أربابه يرون أن العقل إرضاء الناس جميعهم، وعدم مخالفتهم في أغراضهم، وشهواتهم، واستجلاب مودتهم، ويقولون أصلح نفسك بالدخول مع الناس، والتسلك معهم، ولا تبغض نفسك عندهم، فلا يقبلوا لك نصحًا، وهذا هو إفساد النفس وإهلاكها، وفاعل ذلك قد التمس رضا الناس بسخط الله، وصار الخلق في نفسه أجل من الله، ومن التمس رضا الناس في سخط الله؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» [(١)].

فهذا ملخص أخلاق المميعة الوضيعة، مما يدلك عن خساستهم، ودناءة أخلاقهم، والتي تولدت بسبب استحكام الهوىٰ والضلال بعد الهدىٰ.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ- : «ومن قرن بين البدعة والهوىٰ أنتجا له ضروب الهذيان، فهي تنادي علىٰ رءوس الأشهاد: أيها الفطن لا تغتر» [(٢)].

وشنعة رمي السلفيين بالغلو في الجرح، إنما هي من قبيل ضروب هذيانهم، التي لا تصدر إلا ممن قد اتصف بالدعوة إلىٰ الضلال، والتحريش

---

(١) «كشف الشبهتين» (ص ٥١- ٥٣).

(٢) «بدائع الفوائد» (٤ / ١٢١٦).

بين المسلمين، وهذا هو نعت كل إمام ضال.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «من تكلم بلا علم، أو تكلم بالهوىٰ والجهل؛ فهذا ليس من أئمة الدين»[١].

وقال العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «وأخطر ما علىٰ الأمة الآن الدعاة الجُهَّال الذين لا يعرفون العلم، ويدعون الناس بجهل وضلال، أو الدعاة المغرضون الذين يعرفون الحق لكنهم معرضون، يريدون صرف الأمة عن جادَّة الصواب»[٢].

ولهذا؛ فإن كل داعٍ من دعاة التمييع، وغيرهم من المنحرفين، تجده قد جمع بين شيئين:

أ- ضعف بصيرته في الدين.

ب- قلة علمه المقترن بفساد القصد، مع اتباع أهويته الفاسدة[٣].

ونتيجة لهذين؛ فإن من أخص علاماتهم هو: انعدام الفرقان عندهم، والتمييز بين صاحب السنة، وصاحب البدعة، فيحسبون كل سوداء تمرة، وكل بيضاء شحمة، ويحسبون الورم شحمًا، والدواء النافع سُمًّا[٤].

---

(١) «الرد علىٰ الإخنائي» (ص ٣٨٥).

(٢) «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٢ / ١٠٩).

(٣) انظر: «إغاثة اللهفان» (٢ / ١٦٥).

(٤) انظر: «الجواب الكافي» (ص ٢٢٠) بتصرف.

وهذا الحال المقيت، قد جاء ما يبينه، وذلك في حديث حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب[١]، كالحصير عودًا عودًا [٢]، فأي قلب أُشربها[٣]؛ نُكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها [٤]؛ نُكت فيه نكتة بيضاء، حتىٰ تصير علىٰ قلبين: علىٰ أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مُربادًّا [٥]، كالكوز مجخيًا [٦]، لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه**»[٧].

وأما حقيقة الإمام في الدين الذي حقق تجريد اتباع الرسول وتحكيمه في دق الدين وجله، ظاهره وباطنه، عقائده وأعماله، حقائقه وشرائعه[٨]، فهو

---

(١) أي: أنها تلصق بعرض القلوب؛ أي: جانبها، كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به.

(٢) أي: تعاد وتكرر شيئًا بعد شيء.

(٣) أي: دخلت فيه دخولًا تامًّا وألزمها وحلت منه محل الشراب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ﴾ [البقرة:٩٣]؛ أي: حب العجل.

(٤) أي: ردها.

(٥) أي: شيء من بياض يسير يخالط السواد كلون أكثر النعام.

(٦) أي: منكوسًا.

(٧) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم٢٣١).

(٨) «إغاثة اللهفان» (٢ / ١٦٥)، وها هنا تنبيه مهم، عن كلمة الإمام التي صارت وللأسف تقال لكل من هب ودب، والذي ينبغي هو رعاية مثل هذه المصطلحات ووضعها لمن يستأهلها.

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي أن ينبه أنه لا يتسامح في إطلاق كلمة إمام، إلا =

من اتصف بشيئين:

الأول: معرفته وعلمه بالحق والباطل، والصحيح والفاسد، والصواب والخطأ[١]، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فالعالمون بالله، وكتابه، ودينه، عرفوا سبيل المؤمنين معرفة تفصيلية، وسبيل المجرمين معرفة تفصيلية، فاستبانت لهم السبيلان كما يستبين للسالك الطريق الموصل إلىٰ مقصوده، والطريق الموصل إلىٰ الهلكة، فهؤلاء أعلم الخلق وأنفعهم للناس وأنصحهم لهم، وهم الأدلاء الهداة، وبذلك برز الصحابة علىٰ جميع من أتىٰ بعدهم إلىٰ يوم القيامة»[٢].

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي -رحمه الله تعالىٰ-: «من أكبر نعم الله علىٰ عبده أن يرزقه العلم النافع، ويعرف الحكم بين الناس في المقالات

=

علىٰ من كان قدوة وله أتباع؛ كالإمام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم، ممن له أثر في الإسلام؛ لأن وصف الإنسان بما لا يستحق هضم للأمة؛ لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام، وهذا إمام، هان الإمام الحق في عينه، قال الشاعر:

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضىٰ من العصا

«القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (٢ / ٢٥٢).

(١) «مصباح الظلام» للعلامة الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ (٦٨).

(٢) «الفوائد» (ص ١١٤).

والمذاهب، وفي الخصومات والمشاحنات، كما قال تعالىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص:٢٠]» [١].

وعلىٰ أساس هذه المعرفة، فقد نال كثير من الأئمة الإجلاء التقدم علىٰ أهل زمانهم، فمنهم:

١- الإمام مالك -رحمه الله تعالىٰ-.

قال الإمام سفيان بن عيينة: «رحم الله مالكًا، ما كان أشد انتقاده للرجل والعلماء» [٢].

٢- الإمام أحمد بن حنبل.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «أحمد كان أعلم بمقالات الناس» [٣].

وقال الإمام الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «وهذه الأمة عصمها الله عن الاجتماع علىٰ ضلالة، فلابد أن يكون فيهم من يبين أمر الله ورسوله، ولو اجتهدت الملوك علىٰ جمع الأمة علىٰ خلافه لم يتم لهم أمرهم، كما جرىٰ مع المأمون والمعتصم والواثق، حيث اجتهدوا علىٰ إظهار القول بخلق القرآن، وقتلوا الناس وضربوهم وحبسوهم علىٰ ذلك، وأجابهم العلماء تقية وخوفًا.

---

(١) «تيسير اللطيف المنان» (ص١٩٧).

(٢) «ترتيب المدارك وتقريب المسالك» (١ / ٣٣).

(٣) «الفتاوىٰ» (٧ / ٣٨٧).

فأقام الله إمام المسلمين في وقتهم: أحمد بن حنبل، فرد باطلهم حتىٰ اضمحل أمرهم، وصار الحق هو الظاهر في جميع بلاد الإسلام والسنة، ولم يكن الإمام أحمد يحابي أحدًا في مخالفة أمر الرسول وإن دقَّ، ولو عظم مخالفه في نفوس الخلق، فقد تكلم في بعض أعيان مشايخ العِلم والدين لمسألة أخطأها، فحمل أمره حتىٰ لما مات لم يصل عليه إلا نحو أربعة أنفس، وكان كلما تكلم في أحد سقط؛ لأنَّ كلامه تعظيمِ لأمر الله ورسوله لا لهوىٰ نفسه»[1].

٣- الإمام أسد بن الفرات.

فقد كتب إليه أسد بن موسىٰ قائلًا: «اعلم أي أخي أن ما حملني علىٰ الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم الله بك، وشد بك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم، فأذلهم الله بذلك ، وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر أي أخي بثواب ذلك، واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله؟»[2].

---

(١) «مجموع رسائل ابن رجب» (١ / ٢٤٧).

(٢) «البدع»لابن وضاح (رقم ٧).

٤- الإمام أبو زرعة الرازي -رحمه الله تعالىٰ-.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: «رأيت في كتاب عبد الرحمن بن عمر الأصبهاني المعروف بـ: (رُستة) من أصبهان إلىٰ أبىٰ زرعة بخطه: «اعلم -رحمك الله- أني ما أكاد أنساك في الدعاء لك ليلي ونهاري؛ أن يُمتِّع المسلمون بطول بقائك، فإنه لا يزال الناس بخير ما بقي من يعرف العلم وحقه من باطله، ولولا ذاك لذهب العلم وصار الناس إلىٰ الجهل، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»، وقد جعلك الله منهم، فأحمد الله علىٰ ذلك، فقد وجب لله ﷻ عليك الشكر في ذلك»[(١)].

٥- الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله تعالىٰ-.

قال سعيد بن عمرو البرذعي: «وردت الري، فدخلت علىٰ أبي زرعة، فقلت: سمعت حميد بن الربيع يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول يعني قوله: ما أعلم أحدًا أعظم مِنة علىٰ الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي.

فقال أبو زرعة: صدق أحمد بن حنبل، ما أعلم أحدًا أعظم مِنة علىٰ الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، ولا أحد ذَبَّ عن سنن رسول الله ﷺ مثل ما ذب الشافعي، و لا أحد كشف عن سوءات القوم مثل ما كشفه»[(٢)].

---

(١) «الجرح والتعديل» (١ / ٣٤١).

(٢) «مناقب الشافعي» للبيهقي(٢/ ٢٧٩).

٦- كذلك في زماننا من شيوخ أئمة الدعوة السلفية، وعلىٰ رأسهم حامل راية الجرح والتعديل: العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-.

قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وباختصار أقول: إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر، وبحق هو أخونا الدكتور ربيع، والذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبدًا، والعلم معه...»[(١)].

وفي المقابل يتبين أن جهل المميعة بحقائق طرق أهل الضلال هي من أحد الأسباب في وقوعهم في الانحراف، ومثل هذا الجهل بحقائق أهل الضلال قد وقع فيه من قبلهم.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فمن لم يعرف سبيل المجرمين، ولم تستبن له، أوشك أن يظن في بعض سبيلهم أنها من سبيل المؤمنين، كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرة في باب الاعتقاد والعلم والعمل هي من سبيل المجرمين، والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنها من سبيلهم في سبيل المؤمنين، ودعا اليها، وكفَّر من خالفها، واستحل منه ما حرمه الله ورسوله، كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية، والقدرية، والخوارج، والروافض، وأشباههم ممن ابتدع بدعة، ودعا إليها، وكفَّر من خالفها»[(٢)].

---

(١) من شريط: «الموازنات بدعة العصر».

(٢) «الفوائد» (ص ١١٥).

الثاني: إثاره الحق علىٰ الباطل مع شجاعة في الصدع به.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وما تفاوتت منازل الخلق عند الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين[١]، وهما اللذان أثني الله بهما سبحانه علىٰ أنبيائه -عليهم الصلاة والسلام- فى قوله تعالىٰ: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [ص:٤٥]، فالأيدي: القوة في تنفيذ الحق، والأبصار: البصائر في الدين، فوصفهم بكمال إدراك الحق وكمال تنفيذه» [٢].

وقال الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-: «الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلىٰ قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يخذل، فمن قام بهما كاملًا، فهو صديق، ومن ضعف، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب» [٣].

وهذه أربع وقفات ترمي إلىٰ نقض باطل قول أهل التمييع عن أصحاب المنهج السلفي، بأنهم غلاة في التجريح:

الوقفة الأولىٰ: أن داء الغلو في الدين، الذي يعني المبالغة في الأمر، ومجاوزة الحد فيه إلىٰ حيز الإسراف[٤]، يعتبر أُسَّ كل بدعة، ومثار رهج كل فتنة.

---

(١) يشير إلىٰ معرفة الحق.

(٢) «الجواب الكافي» (ص ٦٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢٣٤).

(٤) «الاعتصام» للشاطبي (٢ / ١٧٠).

قال العلامة ابن الوزير -رحمه الله تعالىٰ-: « فاحذروا مواقع الغلو؛ فإنها أساس البدعة، نسأل الله السلامة» (١).

ومن أدلة ما جاء في النصوص التي تذم الغلو في الدين، قول الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء:١٧١].

وقال ﷻ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧].

ومن السنة حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هلك المتنطعون، قالها ثلاثًا**»(٢).

قال العلامة النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: المتعمقون، الغالون، المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»(٣).

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة جمع: «**هلم القط لي**، فلقطت له حصيات من حصىٰ الخذف، فلما وضعهن في يده، قال: **نعم**

---

(١) «العواصم والقواصم» (٧/ ١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٦٧٠).

(٣) «شرح النووي علىٰ مسلم» (١ / ٢٢٠).

بأمثال هؤلاء، وإياكم والغلوَّ في الدين؛ فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين» [١].

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وقوله: «**إياكم والغلو في الدين**»، عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات، والأعمال» [٢].

وقال أيضًا: «فإذا كان علىٰ عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين قد انتسب إلىٰ الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة؛ حتىٰ أمر النبي ﷺ بقتالهم، فيعلم أن المنتسب إلىٰ الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضًا من الإسلام والسنة، حتىٰ يدعي السنة من ليس من أهلها، بل قد مرق منها، وذلك بأسباب، منها: الغلو» [٣].

ولأجل ذلك كان الغلو في الدين يعد من الصفات الملاصقة بأهل البدع والأهواء.

يقول العلامة الشيخ سليمان بن سحمان -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن علامات صاحب البدعة: التشديد، والغلظة، والغلو في الدين، ومجاوزة الحد في الأوامر والنواهي، وطلب ما يعنت الأمة، ويشق عليهم، ويحرجهم،

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٢١٥)، والنسائي في «السنن» (رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه في «سننه» (رقم ٣٠٢٩)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٢٨٣).

(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٢٨).

(٣) «الفتاوىٰ» (٣/ ٣٨٣).

ويضيق عليهم في أمر دينهم، وتكفيرهم بالذنوب والمعاصي، إلىٰ غير ذلك مما هو مشهود مذكور من أحوال أهل البدع »[١].

ومن أمثلة من يتمثل فيه آثار الغلو في الدين في عصرنا الحاضر، مما كان له في المسلمين الشر المستطير، والتفرق الماحق الخطير هما:

أ- الجماعات التكفيرية، أو ما يصطلح عليه بالإرهابيين، أو تنظيم القاعدة، ممن يغلون في التكفير، فيكفرون المسلمين بكبائر الذنوب التي هي دون الشرك والكفر، ولأجل ذلك فهم يسعون علىٰ المسلمين بسلاحهم ويستبيحون بيضتهم.

ب- الحدادية ممن يغلون في الرمي بالبدعة، والطعن في حماة الدين علماء والسنة بغير وجه حق[٢].

ومما يقابل داء الغلو هو: التساهل والليونة، وتمييع ثوابت الدين، وهذا أشد خطورة من غلو الطائفتين، ويتمثل هذا في نهج المميعة.

يقول العلامة حمود التويجري -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن أعظم الزلات علىٰ الإسلام وأشدها أثرًا في نقض عراه محاولة بعض أهل الزيغ والفساد في زماننا أن يقاربوا بين المسلمين وبين أهل الأديان الباطلة من اليهود والنصارىٰ، وغيرهم من سائر أهل الملل المخالفة لدين الإسلام، ومحاولتهم

(١) «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع» (ص ٢٦).
(٢) وقد تقدم الكلام عنهم.

أيضًا مقاربتهم بين أهل السنة وبين الرافضة وغيرهم من أهل البدع المخالفة لما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وقد نشروا دعوتهم إلىٰ هذه المذاهب الهدامة في كتب لهم ومقالات كثيرة، وإنه لينطبق عليهم قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠].

فليحذر المؤمن الناصح لنفسه من هؤلاء الزائغين أشد الحذر؛ فإنهم ألد الأعداء للسنة وأهلها من اليهود والنصارىٰ وسائر أهل الملل، والله المسئول أن يكفي المسلمين شرهم»[(١)].

وأما دين العدل، فيتميز بأنه يتوسط «بين الغالي فيه والجافي عنه»[(٢)]، «كالوادي بين جبلين، والهدىٰ بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين»[(٣)]، وهو الكامن في طريق أهل السنة السلفيين؛ فإن دينهم يتسم بالتوسط في كل أمور الدين.

---

(١) «تغليظ الملام علىٰ المتسرعين إلىٰ الفتيا وتغيير الأحكام» (ص١١٦).

(٢) «الفتاوىٰ» (٣/ ٣٨١).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٦٤).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكذلك لا تجد أهل الحق دائمًا إلا وسطًا بين طرفي الباطل، وأهل السنة وسط في النِّحل، كما أن المسلمين وسط في الملل»[(١)].

وبهذا جاء وصف طريق أهل الحق، قال الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣].

قال الإمام محمد بن إسماعيل البخاري -رحمه الله تعالىٰ- في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾: «هم الطائفة التي قال النبي ﷺ: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم)**»[(٢)].

وفي تفسير معنىٰ الوسط؛ يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «والوسط: الخيار أو العدل، والآية محتملة للأمرين، ومما يحتملهما قول زهير:

هم وسط ترضىٰ الأنام بحكمهم ... إذا نزلت إحدىٰ الليالي بمعظم

ومثله قول الآخر:

أنتم أوسط حي علموا ... بصغير الأمر أو إحدىٰ الكبر»[(٣)]

ومما يعضد تفسير الوسط بمعنىٰ: العدل، ما جاء في حديث أبي سعيد

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٣ / ٣٠٤).

(٢) «خلق أفعال العباد» (ص ٦٠).

(٣) «فتح القدير» (١ / ٢٣٤).

الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالىٰ: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟، فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟، فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ**، وهو قوله -جل ذكره-: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾، والوسط: العدل»[(١)].

قال الإمام محمد بن جرير الطبري -رحمه الله تعالىٰ-: «...الوسط: العدل، وذلك معنىٰ الخيار؛ لأن الخيار من الناس عدولهم»[(٢)].

فمن هذا يتجلىٰ وسطية أهل السنة السلفيين، وأنهم أولىٰ بمزية الخيار العدول، كما يشهد لذلك حديث إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله ﷺ: « **يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-: «لأن أهل الجهل ليسوا عدولًا، وكذلك أهل البدع، فعرف أن المراد بالوصف المذكور أهل السنة والجماعة، وهم أهل العلم الشرعي»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٣١٦١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٣ / ١٤٢).

(٣) سبق تخريجه (ص١٢٣-١٢٤).

(٤) «فتح الباري» (١٣ / ٣١٦).

فظهر أن ما عدا وسطية طريق أهل الحق، فأطراف داخلة تحت الخطر، كما يتمثل هذا في مسالك أهل البدع والأهواء من غلو الخوارج والحدادية، وما يقابله من تساهل وليونة المميعة.

الوقفة الثانية: وقوعهم في الاضطراب، والتناقض المخزي، وعدم الثبات علىٰ حال، وهذا لا يصدر إلا من جمع بين صفتين، وهما:

١- الغواية، وهي: المخالفة للحق، والاتباع للهوىٰ.

٢- الضلال، وهو: الجهل بالحق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية الإلهية؛ فإنه لابد أن يضل، ويتناقض، ويبقىٰ في الجهل المركب، أو البسيط»[(١)].

ويقول تلميذه العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «أن كل من أعرض عن شيء من الحق وجحده، وقع في باطل مقابل لما أعرض عنه من الحق وجحده ولابد»[(٢)].

والسبب المؤدي لمثل هذا الاضطراب والتناقض المزري، يرجع إلىٰ عدة أحوال:

---

(١) «درء تعارض العقل والنقل» (٥ / ٣٥٦).

(٢) «مدارج السالكين» (١ / ١٨٣).

الحال الأول: اتباع أهويتهم الفاسدة، وهي من أعظم الآفات المُهلِكَة.

قال عبد الله بن عون البصري: «إذا غلب الهوىٰ علىٰ القلب استحسن الرجل ما كان يستقبحه» (١).

وقال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «فأهل الأهواء إذا استحكمت فيهم أهواؤهم، لم يبالوا بشيء، ولم يعدوا خلاف أنظارهم شيئًا، ولا راجعوا عقولهم مراجعة من يتهم نفسه، ويتوقف في موارد الإشكال» (٢).

ومن مضار استحكام الهوىٰ علىٰ صاحبه، هو الآتي:

١- عبادة الهوىٰ، كما يدل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣].

يقول العلامة الشيخ صالح الفوزان -رحمه الله تعالىٰ-: «فالهوىٰ إله آخر، وليس الشرك مقصورًا علىٰ عبادة الصنم أو الوثن؛ بل هناك شيء آخر وهو الهوىٰ، فقد لا يعبد الإنسان الأصنام، والأشجار، والأحجار، ولا يعبد القبور، لكن يتبع هواه، فهذا عبد لهواه، فعلىٰ الإنسان أن يحذر، ولا يتبع إلا ما وافق الكتاب والسنة» (٣).

---

(١) «الشرح والإبانة علىٰ أصول السنة والديانة» لابن بطة العكبري (رقم٨٤).

(٢) «الاعتصام» (٣/ ٣١٩).

(٣) «إتحاف القاري بالتعليقات علىٰ شرح السنة للبربهاري» (١/ ٧١).

٢- رد الحق، وهذا -والعياذ بالله- يعاقب صاحبه بفساد قلبه، وعقله، ورأيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف:٥].

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «حذار حذار من أمرين لهما عواقب سوء: أحدهما: رد الحق لمخالفته هواك فإنك تعاقب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق رأسًا ولا تقبله إلا إذا برز في قالب هواك، قال تعالىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١١٠]. فعاقبهم علىٰ رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك...»[(١)].

٣- الوقوع في الحيرة.

٤- موت القلب.

٥- الامتناع عن النطق بالحق[(٢)].

٦- يطمس نور العقل.

٧- يعمي بصيرة القلب.

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٢٨-١١٢٩).

(٢) انظر: «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٤٣١).

٨- يصد عن اتباع الحق.

٩- يضل صاحبه عن الطريق المستقيم [١].

وكل هذه الظلمات تجتمع في أهل التمييع، ومحيطة بهم، وبسببها حلت بدارهم الهلكات، فأودت بهم إلىٰ الأخطاء، والبدع، والشطحات، كما هو ظاهر للعيان، غني عن البرهان من دفاعهم عن أهل الضلال، والعمل علىٰ مدحهم، والثناء عليهم، مع علمهم بتحذير أئمة السنة السلفيين منهم، وحكمهم عليهم، المبني علىٰ الحجج بخروجهم عن الجادة المستقيمة، ومن أمثلتهم: المغراوي، ومحمد حسان، وأبو الحسن المأربي، وأبو إسحاق الحويني، وعدنان عرعور، وعلي الحلبي، وغيرهم.

ومن هذا قال العلامة المحقق ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-، عن مثل هذا الصنف: «ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل، والسكوت عن بيان الحق، تولد بينهما جهل الحق، وإضلال الخلق» [٢].

الحال الثاني: التلون، والتقلب، والتذبذب، حسب كل هوىٰ، وكل داعٍ، فحالهم كما قال الشاعر:

فـيومًا بحـزوىٰ، ويـومًا بالعقـيق ويومًا بالعذيب، ويومًا بالخليصاء

وتـارة ينتحـي نجـدًا وآونـة شعب الحزون، وحينًا قصر تيماء

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٤٧)، بتصرف.

(٢) «مختصر الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة» (ص٥٢).

وأحسن منه وأبلغ ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعير إلىٰ هذه مرة، وإلىٰ هذه مرة**»[١].

وهذا الحديث الجليل يرشدنا إلىٰ فائدتين:

الفائدة الأولىٰ: سلوك المميعة لسنن من كان قبلهم من الزائغين، وهذا كحال المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي عرف بالكذب والتلون؛ فمما ذكروه عنه أنه كان خارجيًّا، ثم صار زبيريًّا، ثم صار شيعيًّا، وصار يتظاهر بالدعوة إلىٰ خلافة محمد بن الحنفية، ولكن ابن الحنفية تبرأ منه، وكان يدعي أنه يعلم الغيب، وأنه يأتيه الوحي من السماء إلىٰ آخر ما هو معروف عن عقائده الضالة[٢].

ومن الآثار السلفية التي وردت في النهي عن التلون، والتقلب في دين الله تعالىٰ، الآتي:

١- عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: «إن الضلالة حق الضلالة، أن تعرف ما كنت تنكر، وأن تنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله تعالىٰ؛ فإن دين الله واحد»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٧٨٤).

(٢) ينظر: «مقالات الإسلاميين» (١/ ٩١)، و«الفرق بين الفرق» (٣١٨)، و«الملل والنحل» (١٤٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم١٢٠)، وابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (رقم٥٧٢).

٢- **عن إبراهيم النخعي -رحمه الله تعالىٰ- قال:** «كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب في الله»[١].

٣- **وقال الإمام مالك -رحمه الله تعالىٰ-:** «الداء العضال: التنقل في الدين»[٢].

٤- **عن يحيىٰ بن أبي عمرو السيباني -رحمه الله تعالىٰ- قال:** «كان يقال: يأبىٰ الله لصاحب بدعة توبة، وما ينتقل صاحب بدعة إلا إلىٰ شر منها»[٣].

٥- عن عبد الله بن شوذب قال: «سمعت عبد الله بن القاسم يقول: ما كان عبد علىٰ هوىٰ فتركه إلا ما هو شر منه، قال: فذكرت هذا الحديث لبعض أصحابنا، فقال: تصديقه في حديث النبي ﷺ: **(يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ثم لا يرجعون إليه حتىٰ يرجع السهم إلىٰ فوقه)**»[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالًا من قول إلىٰ قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه، وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين، فإن الإيمان

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (رقم٥٨٠).

(٢) نفس المصدر (رقم٥٨١).

(٣) أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (رقم ١٥٢).

(٤) نفس المصدر (برقم ١٥٤)، والحديث أخرجه البخاري في«صحيحه» (رقم٣٦١١-٦٩٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (برقم ١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه.

كما قال فيه قيصر لما سأل أبا سفيان عمن أسلم مع النبي ﷺ: «هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا، قال: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب لا يسخطه أحد»، ولهذا قال بعض السلف عمر بن عبد العزيز أو غيره: «من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل»(١).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن صفاتهم: كثرة التلون وسرعة التقلب، وعدم الثبات علىٰ حال واحد: بينا تراه علىٰ حال تعجبك من دين، أو عبادة، أو هدي صالح، أو صدق، إذا انقلب إلىٰ ضد ذلك، كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلونًا وتقلبًا وتنقلًا، جيفة بالليل، قُطربًا بالنهار» (٢).

الفائدة الثانية: عدم رسوخهم في العلم.

يقول العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد قيل: من أخذ العلم من عين العلم ثبت، ومن أخذه من جريانه أخذته أمواج الشبه، ومالت به العبارات، واختلفت عليه الأقوال» (٣).

وقال أبو الوفاء بن عقيل -رحمه الله تعالىٰ-: «من صدر اعتقاده عن برهان، لم يبق عنده تلون يراعي به أحوال الرجال: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤]، وكان الصديق رضي الله عنه، ممن يثبت علىٰ

---

(١) «الفتاوىٰ» (٤ / ٥٠-٥١).

(٢) «طريق الهجرتين» (٢/ ٨٨٨).

(٣) «مدارج السالكين» (٢ / ٨).

اختلاف الأحوال، فلم تتقلب به الأحوال في كل مقام زلت به الأقدام»[١].

وأما الراسخ في العلم، فهو كما قال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «الراسخون في العلم، وهم الثابتو الأقدام في علم الشريعة»[٢].

ومن صفاته: رسوخ قدمه في مواطن الفتن، وتعاظم الشبهات حين تضل الأفهام، وتتزلزل الأقدام.

قال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «إن البدع لا تقع من راسخ في العلم، وإنما تقع ممن لم يبلغ مبلغ أهل الشريعة المتصرفين في أدلتها»[٣].

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الراسخ في العلم لو وردت عليه من الشبه بعدد أمواج البحر، ما أزالت يقينه، ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم فلا تستفزه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردها حرس العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[٤].

وحرس العلم وجيشه إنما أثمر عند الراسخين في العلم بأمرين:

١- اليقين والثبات.

---

(١) «الآداب الشرعية» (١ / ٢٨١).

(٢) «الاعتصام» (٢ / ٦).

(٣) نفس المصدر السابق (٣ / ٢٥٠).

(٤) «مفتاح دار السعادة» (١ / ٤٤٢).

٢- الصبر عن الأهواء المخالفة للشرع [١].

ودليل هذين الأمرين، قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين» [٢].

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن الداعي إلىٰ الله تعالىٰ لا يتم له أمره إلا بيقينه للحق الذي يدعو إليه وبصيرته به، وصبره علىٰ تنفيذ الدعوة إلىٰ الله باحتمال مشاق الدعوة، وكف النفس عما يوهن عزمه، ويضعف إرادته، فمن كان بهذه المثابة كان من الأئمة الذين يهدون بأمره تعالىٰ» [٣].

ومما يزيد هذا إيضاحًا ما جاء عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك»** [٤].

وكذلك حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ:

---

(١) انظر: «قرة عيون الموحدين» (ص٣٢٩).

(٢) «المستدرك علىٰ فتاوىٰ ابن تيمية» (١/ ١٤٥)، و«الفتاوىٰ» (٣/ ٣٥٨).

(٣) «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/ ١٤٣).

(٤) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم١٩٢٠).

«لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك» [1].

فهذه الأوصاف والملامح النبوية لطائفة الحق، تدل علىٰ شيئين:

أ- أنها لم تسلك بُنيات الطريق التي تورث التلون، والتقلب، والاهتزاز، بل إنما سلكت الصراط المستقيم المبني علىٰ اليقين والثبات والاعتزاز.

قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ -رحمه الله تعالىٰ-: «وإنما ظهر فضل هذه الفرقة بتمسكها بالحق، وصبرها علىٰ مخالفة هذه الفرق الكثيرة، والاحتجاج بالحق ونصرته، وما ظهر فضل الإمام أبي حنيفة، والإمام أحمد، ومن قبلهما من الأئمة، ومن بعدهما، إلا بتمسكهم بالحق، ونصرته وردهم الباطل.

وما ضر شيخ الإسلام أحمد بن تيمية وأصحابه، حين أجلب عليهم أهل البدع، وآذوهم، بل أظهر الله بهم السُّنة، وجعل لهم لسان صدق في الأمة، وكذلك من قبلهم، ومن بعدهم، كشيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالىٰ-، لما دعا إلىٰ التوحيد وبين أدلته، وبين الشرك وما يبطله، وفيه قال الإمام العلامة الأديب، أبو بكر بن غنام -رحمه الله تعالىٰ-:

وعاد به نهج الغواية طامسًا ... وقد كان مسلوكًا به الناس تربع

وجرت به نجد ذيول افتخارها ... وحق لها بالألمعي ترفع

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٧٤٦٠) واللفظ له، ومسلم في «صحيحه» (رقم١٠٣٧).

فآثاره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطع»(١)

ب- يتضمن في طيه آية عظمىٰ، حيث أخبر النبي ﷺ بأنه سيواجه طائفة الحق أشكالٌ من الناس، وهم:

١- **أهل التخاذل**: وهم ممن كانوا مع طائفة الحق علىٰ نفس الخط، لكن لم يصبروا ويثبتوا علىٰ الطريق، فركنوا إلىٰ داعي أهوائهم.

٢- **أهل التكذيب**: وهم المنابذون لأهل دعوة الحق بالكذب، والافتراء علىٰ دعوتهم البيضاء النقية.

٣- **أهل المخالفة**: وهم المعادون لهم جملة وتفصيلًا في المسلك المتبع.

وموقف طائفة أهل الحق الموصوفة بالقلة؛ فإنهم مهما خذلهم المتخاذلون، وكذبهم الكاذبون، وخالفهم الخصوم والمناوئون، فذلك لا يضرهم، بل يبقون متماسكين بالحق ثابتين عليه، لما قام عندهم من تحقيق جانب الصبر واليقين.

يقول العلامة محمد صالح العثيمين -رحمه الله تعالىٰ-: «قوله: **(لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم) خذلهم**: أي: لم ينصرهم، ويوافقهم علىٰ ما ذهبوا إليه، وفي هذا دليل علىٰ أنه سيوجد من يخذلهم، لكنه لا يضرهم؛ لأن الأمور بيد الله، وقد قال ﷺ: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا علىٰ أن**

(١) «الدرر السنية في الأجوبة» (١ / ١٧٧ - ١٧٨).

يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»، وكذلك «لا يضرهم من خالفهم»؛ لأنهم منصورون بنصر الله، فالله ﷻ إذا نصر أحدًا فلن يستطيع أحد أن يذله»[(١)].

وحاصل الفائدة الثانية: أنها دلت علىٰ أن وقوع المميعة في الفتن، والأهواء الردية، يرجع إلىٰ شيئين:

أ- ضعف العلم، الذي ضده الرسوخ في العلم ومن ثماره الثبات، والاستقرار.

ب - ضعف الصبر.

الحال الثالث: الاستخفاف بخطر ما تؤدي إليه البدع من أخطار، ومن ذلك ما حصل للخوارج.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا ريب أن الخوارج كان فيهم من الاجتهاد في العبادة والورع، ما لم يكن في الصحابة كما ذكره النبي ﷺ، لكن لما كان علىٰ غير الوجه المشروع أفضىٰ بهم إلىٰ المروق من الدين، ولهذا قال عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة»[(٢)].

ومن شواهد ما جاء من مروقهم قصة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع أصحاب

---

(١) «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد» (١ / ٤٨٠-٤٨١).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٢٥٨-٢٥٩).

الحِلَق، حيث قال عمرو بن سلمة ﷺ عن عاقبتهم الوخيمة: «فرأينا عامة أولئك يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج» (١).

فهذه نهاية مسالك البدع المظلمة، فهؤلاء الخوارج الجهال قد أدىٰ بهم الاستخفاف بالبدع إلىٰ نهاية سيئة، تتمثل في تكفير الصحابة الأخيار، وقتالهم بالسيف.

يقول الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «واحذر صغار المحدثات من الأمور؛ فإن صغير البدع يعود حتىٰ يصير كبيرًا، وكذلك كل بدعة أحدثت في هذه الأمة كان أولها صغيرًا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها، ثم لم يستطع الخروج منها، فعظمت وصارت دينًا يدان بها؛ فخالف الصراط المستقيم فخرج من الإسلام» (٢).

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «إن البدع ما تزال تخرج صاحبها من صغير إلىٰ كبير، حتىٰ تخرجه إلىٰ الإلحاد والزندقة» (٣).

الوقفة الثالثة: أن باعث علماء الجرح والتعديل في قدحهم أو تعديلهم

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (رقم٢٠٤)، وصححه الشيخ الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم٢٠٠٥).

وقد وفقني ربي تعالىٰ إلىٰ شرح هذا الأثر الجليل، وبيان ما فيه من الفوائد، يسر الله إخراجه علىٰ خير.

(٢) «شرح السنة» (ص٣٧-٣٨).

(٣) «الفتاوىٰ» (٢٢/ ٣٠٦).

للرواة، أو في ردودهم علىٰ المبتدعة، إنما هو من دافع الغيرة علىٰ الدين، وصيانته من أي شائبة تكدر جماله وصفائه، فلا محاباة لأي أحد عندهم، ولو كان أقرب قريب.

يقول الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن أنعم النظر في اجتهاد أهل الحفظ في معرفة أحوال الرواة، وما يقبل من الأخبار، وما يرد، علم أنهم لم يألوا جهدًا في ذلك، حتىٰ إذا كان الابن يقدح في أبيه إذا عثر منه علىٰ ما يوجب رد خبره، والأب في ولده، والأخ في أخيه لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تمنعه في ذلك شجنة رحم، ولا صلة مال» (١).

وهذه مواقف لعلماء الأمة تبين ما نص عليه الحافظ البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ، فمن ذلك ما يلي:

١- **قال زيد بن أبىٰ أنيسة:** «أخي يحيىٰ يكذب» (٢).

٢- **قال يحيىٰ بن المغيرة:** «سألت جريرًا عن أخيه أنس، فقال: لا يكتب عنه؛ فإنه يكذب في كلام الناس، وقد سمع من هشام بن عروة، وعبيد الله بن عمر، ولكن يكذب في حديث الناس فلا يكتب عنه» (٣).

٣- **قال علي بن الحسين بن الجنيد:** «سمعت أبا داود السجستاني يقول:

---

(١) «دلائل النبوة» (١ / ٤٧).

(٢) «الجرح والتعديل» (٩ / ١٢٩).

(٣) نفس المصدر السابق(٢ / ٢٨٩).

ابني عبد الله هذا كذاب»[١].

٤- **قال شعبة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو حابيت أحدًا حابيت هشام بن حسان، كان ختني ولكن لم يكن يحفظ»[٢].

٥- **وسئل علي بن المديني عن أبيه فقال:** «سلوا غيري، فقالوا: سألناك، فأطرق ثم رفع رأسه، وقال: هذا هو الدين، أبي ضعيف»[٣].

وكذلك هي مواقف أئمة السلف، ومن تبعهم من الهداة الأعلام ما هو مشهور عنهم باستعمال الشدة عند المصلحة علىٰ كثير من أهل الأهواء والضلال، وذلك لما تحقق عندهم من مضرة البدع، وخطر أهلها علىٰ أهل الإسلام.

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «اشتد نكير السلف والأئمة لها [أي: للبدعة]، وصاحوا بأهلها من أقطار الأرض، وحذروا فتنتهم أشد التحذير وبالغوا في ذلك ما لم يبالغوا مثله في إنكار الفواحش والظلم والعدوان، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد»[٤].

ومع هذا كله؛ فلم يأتِ عن أي أحد من العلماء أنه وقف موقف الصادِّ،

---

(١) «الكامل في الضعفاء» (٤ / ٢٦٥).

(٢) «الكامل في الضعفاء» (٧ / ١١٢).

(٣) «إكمال تهذيب الكمال» (٧ / ٢٨٧)، و«تهذيب التهذيب» (٥ / ١٧٦).

(٤) «مدارج السالكين» (١/ ٣٧٢)، وانظر ما تقدم في (ص٢١-٢٢).

والرامي للأئمة الهداة حينما يجتثون عروش الباطل، ويحاربون البدع، بوصمة: «الغلاة في التجريح»، وإنما جرىٰ استعمال هذا الوصف عند أئمة الجرح والتعديل علىٰ معنىٰ الغلو في التشيع.

يقول الحافظ الذهبي -رحمه الله تعالىٰ-: «إن البدعة علىٰ ضربين: فبدعة صغرىٰ كغلو التشيع، أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف، فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق، فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية، وهذه مفسدة بينة، ثم بدعة كبرىٰ، كالرفض الكامل، والغلو فيه، والحط علىٰ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والدعاء إلىٰ ذلك، فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة.

وأيضًا فما أستحضر الآن في هذا الضرب رجلًا صادقًا ولا مأمونًا، بل الكذب شعارهم، والتقية والنفاق دثارهم، فكيف يقبل نقل من هذا حاله! حاشىٰ وكلا.

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم: هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليًّا رضي الله عنه، وتعرض لسبهم.

والغالي في زماننا وعرفنا: هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويتبرأ من الشيخين أيضًا، فهذا ضال معثر»[1].

---

(١) «ميزان الاعتدال» (١ / ٥-٦).

وفي تفنيد عبارة القوم، وبيان ما قامت عليه من الفساد، يقول العلامة الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله تعالىٰ-: «لا يغلو سني في الجرح أبدًا؛ لأن هذا دين يدين الله به، ولكن نحن نسمع ما بين الفَينة والفَينة، هذه الكلمة تردَّد، فالسني يدين الله ﷻ بالجرح، إذ هو عنده دين يدين الله به فيذب به عن السنة وأهلها، كما أن التعديل كذلك دين، ولهذا فإن أهل السنة -أعني الأئمة- حريصون علىٰ ألا يجرحوا أحدًا ببدعة فضلًا عن كفر، إلا وعندهم من البيِّنات ما يشهد لهم، ولكن أهل الأهواء يفسرون هذا غلوًّا، فما دام الدليل قد قام واضحًا علىٰ أن فلانًا من الناس مبتدع ضال منحرف، فكيف يفسر هذا غلوًّا؟وأهل السنة متقرِّر عندهم أنهم لا يبدِّعون أحدًّا فضلًا عن تكفيره، حتىٰ تقوم عليه الحجة الرسالية، وهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: أهل السنة أعرف الناس بالحق وأرحمهم بالخلق.

لكن أهل الأهواء لا يقرُّ لهم قرار، ولا تنام لهم جفون، ولا تنشرح لهم صدور، ولا تطمئن لهم قلوب بالجرح؛ لأن أئمة السنة وعلماء السنة وأهل السنة يبغضون أهل البدع، فإذا كُشف لهم عن رجل بأنه مبتدع قَوِي البغض في نفوسهم، وقوي الحذر، فحذروه، وإن كانوا من قبل يحسنون به الظن، وهذا لا يرضي أهل الأهواء، نعم قد يكون من بعض أهل السنة شيء من القسوة لما رأىٰ هو أن الأمر يستدعي القسوة، والآخر وإن كان لا يخالفه في أصل المسألة، ولكنه يستعمل أحيانًا عبارات لينة، وهذا ليس محل خلاف.

وإذا سلمنا علىٰ ما ورد في السؤال من حكاية لقول بعض أهل الأهواء أن بعض أهل السنة يغلو في الجرح، أقول: مِن قديم وجد من أهل السنة من هو قوي وليس غاليًا؛ حرصًا علىٰ حماية السنة، وشدة في الذبِّ عنها، وعن أهلها، وما لامه الآخرون، وما قالوا إنه: (مفرق)[١].

وعلىٰ سبيل المثال، يقولون:من وثَّقه شعبة فحسبُك به، ومن جرحه، ينظر في جرحه، ولم يتهم شعبة رَحِمَهُ اللَّهُ بأنه غالٍ متشدد؛ شدة في غير محلها، ولم أعلم أحدًا حتىٰ الساعة، رجلًا متمكنًا في السنة، خالطت بشاشتها قلبه حذر من شعبة ووشىٰ به عند غيره من أهل السنة» [٢].

والحاصل أنه ليس عند أهل التمييع في محاربتهم لأهل الدعوة السلفية إلا الحيل الماكرة، القائمة علىٰ وسيلتين خبيثتين، وهما:

أ- خلط الباطل بشيء من الحق، وذلك حتىٰ يسهل ترويجه في الأمة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ولا ينفق الباطل في الوجود، إلا بشوب من الحق» [٣].

ب- التشغيب والتشنيع، وهما من حِرف الجاهلين، وطريقة غير المحصلين.

---

(١) في المطبوع: (متفرق).

(٢) «الحد الفاصل» (ص٣١-٣٢).

(٣) «الفتاوىٰ» (٣٥ / ١٩٠).

قال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «وكم رد من الحق بتشنيعه بلباس من اللفظ قبيح»(١).

وقال العلامة سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ حاكيًا عن مثل أسلوب هذا الضرب بالتشنيع علىٰ أهل السنة: «وهؤلاء تظاهروا بالرد والتشنيع علىٰ من أظهر عداوة الجهمية، والإباضية، وعبَّاد القبور، وسموا هؤلاء الملاحدة من الجهمية وغيرهم من المسلمين، وزعموا أن قصدهم النصيحة للمؤمنين عن تكفير المسلمين، أفلا يستحي من صنع هذا الصنيع، ورتع في هذا المرتع الفظيع، ممن يقف علىٰ كلامه السامج الساقط، وعلىٰ غاية مرام قصده المارج القاسط، حيث قام في نحر من يظهر عداوة أعداء الله ورسوله، ويتظاهر بالرد عليهم، وتجهيلهم، وتضليلهم بغير دليل من كتاب الله، وسنة رسوله، وكلام أهل التحقيق من أهل العلم، بل بما سنح له من مفهومه، وتخيله في معلومه.

أقلوا عليهم لا أبًا لأبيكمو ... من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا»(٢)

الوقفة الرابعة: أن استخدام أسلوب الشدة أو اللين مع المخالفين، لا يتنافىٰ مع مسمىٰ الحكمة المنصوص عليها في قوله تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١ / ١٤١).

(٢) «كشف الشبهتين» (ص ٢٤).

ومن كلمات جهابذة العلماء في تقرير هذا، هو الآتي:

١- **يقول شيخ الإسلام** رحمه الله: «ما ذكرتم من لين الكلام والمخاطبة بالتي هي أحسن: فأنتم تعلمون أني من أكثر الناس استعمالًا لهذا، لكن كل شيء في موضعه حسن، وحيث أمر الله ورسوله بالإغلاظ علىٰ المتكلم لبغيه وعدوانه علىٰ الكتاب والسنة : فنحن مأمورون بمقابلته ، لم نكن مأمورين أن نخاطبه بالتي هي أحسن» (١).

٢- **قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله تعالىٰ-**: «واعلم أن الدعوة إلىٰ الله بطريقين: طريق لين، وطريق قسوة.

أما طريق اللين: فهي الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وإيضاح الأدلة في أحسن أسلوب وألطفه؛ فإن نجحت هذه الطريق فبها ونعمت، وهو المطلوب، وإن لم تنجح تعينت طريق القسوة بالسيف حتىٰ يعبد الله وحده وتقام حدوده، وتمتثل أوامره، وتجتنب نواهيه، وإلىٰ هذا الإشارة بقوله تعالىٰ:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ [الحديد:٢٥]، ففيه الإشارة إلىٰ إعمال السيف بعد إقامة الحجة؛ فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب، والله تعالىٰ قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن» (٢).

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣ / ٢٣٢).

(٢) «أضواء البيان» (١ / ٤٦٤).

٣- قال العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالىٰ-: «أن الشريعة الكاملة جاءت باللين في محله، والشدة في محلها، فلا يجوز للمسلم أن يتجاهل ذلك، ولا يجوز أيضًا أن يوضع اللين في محل الشدة، ولا الشدة في محل اللين، ولا ينبغي أيضًا أن ينسب إلىٰ الشريعة أنها جاءت باللين فقط، ولا أنها جاءت بالشدة فقط، بل هي شريعة حكيمة كاملة صالحة لكل زمان ومكان ولإصلاح جميع الأمة، ولذلك جاءت بالأمرين معًا، واتسمت بالعدل والحكمة والسماحة، فهي شريعة سمحة في أحكامها وعدم تكليفها ما لا يطاق، ولأنها تبدأ في دعوتها باللين والحكمة والرفق، فإذا لم يؤثر ذلك وتجاوز الإنسان حده وطغىٰ وبغىٰ أخذته بالقوة والشدة وعاملته بما يردعه ويعرفه سوء عمله.

ومن تأمل سيرة النبي ﷺ، وسيرة خلفائه الراشدين، وصحابته المرضيين، وأئمة الهدىٰ بعدهم؛ عرف صحة ما ذكرنا» [1].

٤- قال العلامة الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: «لكن الحق هو أن الأصل في الدعوة أن تكون علىٰ الحكمة والموعظة الحسنة، ومن الحكمة أن تضع اللين في محله والشدة في محلها، أما أن نصف خير الطوائف الإسلامية، التي امتازت علىٰ كل الطوائف بحرصها علىٰ اتباع الكتاب والسنة، وعلىٰ ما كان عليه السلف الصالح بالشدة، هكذا علىٰ الإطلاق؟ ما أظن هذا من

(١) «مجموع فتاوىٰ ابن باز» (٣/ ٢٠٤- ٢٠٥).

الإنصاف في شيء، بل هو من السرف، أما أن يقال: فيهم من هو متشدد؛ فمن الذي يستطيع أن ينكر؟، ما دام أن من الصحابة من كان متشددًا في غير محل شدة، فأولىٰ وأولىٰ في الخلف من أمثالنا -خلف بالمعنىٰ اللغوي- بأن يوجد فينا متشدد...»[1].

٥ - **قال العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-**: «إن اللين والرفق والصبر لأمور مهمة جدًّا، ولاسيما في مجال الدعوة إلىٰ الله، لكن بقي عليك أمر آخر وهو ما إذا لم تجد هذه الأخلاق العظيمة عند بعض أهل الباطل من الكفار وغيرهم، فالشدة تكون حينئذٍ هي الحل، وفيها الحزم وإبراز قوة الحق، قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم:٩].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:١٢٣].

---

(١) من شريط مفرغ بعنوان: «الشدة عند السلفيين».

وحث رسول الله ﷺ شعراء أصحابه علىٰ هجاء قريش:

عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**اهجوا قريشًا فإنه أشد عليها من رشق بالنبل**» فأرسل إلىٰ ابن رواحة، فقال: «**اهجهم**»، فهجاهم، فلم يرضَ، فأرسل إلىٰ كعب بن مالك.

ثم أرسل إلىٰ حسان بن ثابت، فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلىٰ هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه، فقال: والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تعجل فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسبًا حتىٰ يلخص لك نسبي**»، فأتاه حسان، ثم رجع، فقال: يا رسول الله، قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين، قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان: «**إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله**» وقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**هجاهم حسان فشفىٰ واشتفىٰ**»[1].

وعن البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: «**اهجهم** -أو: **هاجهم**- **وجبريل معك**»[2].

فإذا استطال أهل الباطل علىٰ أهل الحق بالطعن والتشويه والأكاذيب

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم٢٤٩٠).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم٣٢١٣)، ومسلم في «صحيحه» (رقم٢٤٨٦).

ومدح أهل الباطل، فلا يسع أهل الحق إلا قمع أهل الباطل، وبيان ظلمهم وافترائهم وكشف أباطيلهم.

والقرآن والسنة فيهما الدعوة إلىٰ الرفق واللين، وفيهما الشدة علىٰ اليهود والنصارىٰ والمشركين والمنافقين، بل حتىٰ علىٰ العصاة من المسلمين، هذا إذا لم ينفع الرفق واللين، والعفو والصفح» [(١)].

والشدة والغلظة في الرد علىٰ المخالف علىٰ ضوء النصوص والآثار السلفية، لها صورتان:

الصورة الأولىٰ: الشدة علىٰ المخالف المخطئ من أهل السنة، ومن الأدلة عليها ما يلي:

- عن عبيد الله بن عبد الله عن أبيه: أن سبيعة بنت الحارث تعالت[(٢)] من نفاسها بعد وفاة زوجها بأيام، فمر بها أبو السنابل فقال: إنك لا تحلي حتىٰ تمكثي أربعة أشهر وعشرًا، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**كذب أبو السنابل، ليس كما قال، قد حللت فانكحي**» [(٣)].

- عن ابن عباس ﷺ قال: «رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت! قال:

---

(١) «بيان ما في نصيحة إبراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال» (ص٢٣-٢٤).

(٢) أي: طهرت.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (رقم ١٥٠٦)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٣٢٧٤).

جعلت لله ندًّا؟! ما شاء الله وحده» [١].

- عن عدي بن حاتم ﷺ: «أن رجلًا خطب عند النبي ﷺ فقال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوىٰ، فقال رسول الله ﷺ: **بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله»** [٢].

- عن سلمة بن الأكوع ﷺ: «أن رجلًا أكل عند رسول الله ﷺ بشماله فقال: **كُل بيمينك**. قال: لا أستطيع، قال: **لا استطعت**، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعها إلىٰ فيه» [٣].

ومن عمل الصحابة، وكذا من بعدهم من أئمة السلف في استخدام الشدة علىٰ المخالفين، فما يلي:

١- عن سعيد بن جبير: أن قريبًا لعبد الله بن مغفل حذف، قال: فنهاه، وقال: إن رسول الله ﷺ نهىٰ عن الخذف، وقال: إنها لا تصيد صيدًا، ولا تنكأ عدوًّا، ولكنها تكسر السِّن، وتفقأ العين، قال: فعاد، فقال: أحدثك أن رسول الله ﷺ نهىٰ عنه، ثم تخذف، لا أكلمك أبدًا» [٤].

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (رقم٦٠٥)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم٨٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٢٠٢١).

(٤) أخرجه البخاري في«صحيحه» (رقم ٥١٦٢)، ومسلم في «صحيحه» (رقم ١٩٥٤).

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-: «وفي الحديث جواز هجران من خالف السنة، وترك كلامه، ولا يدخل ذلك في النهي عن الهجر فوق ثلاث؛ فإنه يتعلق بمن هجر لحظ نفسه»[(١)].

- عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها**، قال: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبًّا سيئًا ما سمعته سبَّه مثله قط، وقال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن!»[(٢)].

قال العلامة النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه تعزير المعترض علىٰ السنة والمعارض لها برأيه»[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالىٰ-: «وأخذ من إنكار عبد الله علىٰ ولده تأديب المعترض علىٰ السنن برأيه، وعلىٰ العالم بهواه، وتأديب الرجل ولده وإن كان كبيرًا إذا تكلم بما لا ينبغي له، وجواز التأديب بالهجران»[(٤)].

ومن عمل أئمة السلف:

- **قال الشاذكوني**: «سمعت ابن عيينة يقول: كان الأوزاعي والثوري

---

(١) «فتح الباري» (٩ / ٦٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٤٤٢).

(٣) «شرح النووي علىٰ مسلم» (٤ / ١٦٢).

(٤) «فتح الباري» (٢ / ٣٤٩).

بمنىٰ، فقال الأوزاعي للثوري: لِمَ لا ترفع يديك في خفض الركوع ورفعه؟، فقال: حدثنا يزيد بن أبي زياد... فقال الأوزاعي: روىٰ لك الزهري، عن سالم، عن أبيه، عن النبي ﷺ، وَتُعَارِضُنِي بِيَزِيدَ رَجُلٍ ضعيف الحديث، وحديثه مخالف للسنة، فاحمر وجه سفيان، فقال الأوزاعي: كأنك كرهت ما قلت؟ قال: نعم، فقال: قم بنا إلىٰ المقام نلتعن أينا علىٰ الحق، قال: فتبسم سفيان لما رآه قد احتد»(١).

- **عن عبد الله بن أحمد بن شبويه قال:** «سمعت أبا رجاء يقول: قال حماد بن زيد: كلمنا شعبة في أن يكف عن أبان بن أبي عياش لِسِنِّه وأهل بيته، فضمن أن يفعل، ثم اجتمعنا في جنازة فنادىٰ من بعيد: يا أبا إسماعيل، إني قد رجعت عن ذلك، لا يحل الكف عنه؛ لأن الأمر دين»(٢).

- نقل صاحب «مرآة الزمان»(٣) في ترجمة أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري، بلا إسناد عن الدارقطني، أنه قال: كان ابن قتيبة يميل إلىٰ التشبيه، قال الحافظ الذهبي: هذا لم يصح، وإن صح عنه، فسحقًا له، فما في الدين محاباة(٤).

الصورة الثانية: الشدة علىٰ أهل البدع، وتعد من المناقب الممدوحة،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٧ / ١١٢-١١٣).

(٢) «ميزان الاعتدال» (١ / ١١).

(٣) سبط ابن الجوزي.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٣ / ٢٩٧).

ومن الأدلة عليها ما يلي:

١- **قال العلامة ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان ابن عباس شديدًا على القدريَّة، وكذلك الصحابة»[(١)].

٢- وكان سمرة بن جندب رضي الله عنه شديدًا على الخوارج، فكانوا يطعنون عليه[(٢)].

٣- **قال إمام دار الهجرة مالك بن أنس -رحمه الله تعالى-**: «لا تسلم على أهل الأهواء، ولا تجالسهم إلا أن تغلظ عليهم، ولا يعاد مريضهم، ولا تحدث عنهم الأحاديث»[(٣)].

٤- **قال الحافظ البيهقي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي -رحمهما الله-**: «وكان الشافعي رضي الله عنه شديدًا على أهل الإلحاد، وأهل البدع، مجاهرًا ببغضهم وهجرهم»[(٤)].

٥- **قال الإمام الحافظ أبو رجاء قتيبة بن سعيد في عمر بن هارون البلخي**: «كان عمر بن هارون شديدًا على المرجئة، وكان يذكر مساوئهم، وبلاياهم»[(٥)].

---

(١) «شفاء العليل» (ص٦٠).

(٢) «الإصابة» لابن حجر (٣/ ١٣٠).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد القيرواني (ص١٢٥).

(٤) «مناقب الشافعي» (١/ ٤٦٩).

(٥) «تاريخ دمشق» (٤٥/ ٣٦٥).

وغير ذلك من الآثار الواردة عن السلف في استعمال الشدة مع المبتدعة[١].

والدافع الجامع لهاتين الصورتين يعود إلىٰ ما نص عليه الحافظ ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ- بقوله: «ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم من العلماء علىٰ كل من خالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد -لا بغضًا له بل هو محبوب عندهم، معظم في نفوسهم- لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق كل أمر مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره فأمر الرسول ﷺ أولىٰ أن يقدم ويتبع»[٢].

وقال الحافظ ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد كان الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل لشدَّة تمسكه بالسنَّة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنَّة، وكلامه محمول علىٰ النصيحة للدين»[٣].

وقال العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي -رحمه الله تعالىٰ-: «...ومن هذه الأدلة نعلم أن الردود التي تقع إنما تقع علىٰ أقوام أخطئوا في العقيدة أو في غيرها، فأدخلوا في الإسلام ما ليس منه؛ أحلوا حرامًا أو حرموا حلالًا أو أباحوا ممنوعًا أو سكتوا عن الشرك، وغضوا الطرف عن أهله، أو ابتدعوا

---

(١) يراجع: «إجماع العلماء علىٰ الهجر والتحذير من أهل الأهواء» (ص٢٥ وما بعده، فإنه مهم) للأخ الفاضل الشيخ خالد الظفيري -وفقه الله تعالىٰ-.

(٢) «الحكم الجديرة بالإذاعة» (ص ١٧).

(٣) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (٢٥٣).

بدعة في الدين حتىٰ يظن الظانُّ أن تلك البدع من الدين.

فمن أجل ذلك رد أقوام من السلفيين علىٰ أقوام من المبتدعة، وبينوا الأخطاء التي وقعوا فيها، سواء كانت في العقيدة أو في المعاملات، أو في العبادات، وإن هؤلاء الذين فعلوا ذلك، وكلفوا أنفسهم بالرد، إنما فعلوا ذلك بيانًا للحق، ودفعًا للباطل، وذودًا عن الدين، وحماية له من أن يدخل فيه ما ليس منه، فهؤلاء قد فعلوا ما أمر الله به، ولم يكن منهم اعتداء علىٰ أحد، ولا خروج عن الحق، وإنما أرادوا أن يفهم الناس الحق، ويبتعدوا عن الباطل، فمن يخطئهم فهو المخطئ، ومن يضللهم فهو الضال»[1].

❀❀❀

(١) «الفتاوىٰ الجلية» (ص٢٣-٢٤).

الصفة الرابعة
الرمي لأهل المنهج السلفي بتمزيق الصف

وهذا من جملة دسائسهم الكثيرة المبنية علىٰ الكذب.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما أهل الأهواء، فالكذب فيهم كثير»[1].

ومثل هذه التهم الجائرة من رمي مشايخ الدعوة السلفية بالفرقة، لا يستغرب صدورها منهم؛ لأن ذلك من ديدن أهل الأهواء المنحرفين، القائم علىٰ إلصاق التهم الكاذبة بأهل الحق.

يقول العلامة المحقق ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن صفاتهم: كتمان الحق، والتلبيس علىٰ أهله، ورميهم له بأدوائهم: فيرمونهم -إذا أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، ودعوا إلىٰ الله ورسوله- بأنهم أهل فتن مفسدون في الأرض، وقد علم الله ورسوله والمؤمنون بأنهم أهل الفتن المفسدين في الأرض، وإذا دعا ورثة الرسول إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله

(١) «جواب الاعتراضات المصرية علىٰ الفتيا الحموية» (ص ٤١).

خالصة غير مشوبة، رموهم بالبدع والضلال، وإذا رأوهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة متمسكين بطاعة الله ورسوله، رموهم بالزوكرة[١]، والتلبيس والمحال، وإذا رأوا معهم حقًّا ألبسوه لباس الباطل، وأخرجوه لضعفاء العقول في قالبه لينفروهم عنه، وإذا كان معهم باطل ألبسوه لباس الحق، وأخرجوه في قالبه ليقبل منهم»[٢].

ومن هذا قال العلامة أحمد بن يحيىٰ النجمي -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن زعم بأن السلفيين هم الذين جاءوا بالتفريق، وهم الذين جاءوا باختلاف الكلمة، فقد كذب، وافترىٰ فرية يسأله الله ﷻ عنها، فوالله ما جاء بتفريق الكلمة إلا أصحاب الحزبيات الذين جاءوا ببدع، وهم الذين جاءوا بهذا، وهم الذين سببوا التفرقة، ولكن عندما يتكلم متكلمهم، أو يكتب كاتبهم، فيرمي السلفيين بأنهم هم الذين فرقوا؛ فإنه قد وقع فيما قيل: رمتني بدائها وانسلت، وهذا قلب للحقائق.

وسيسأل الله عن هذا الكلام من قاله، ويعلم الله عالم الغيب والشهادة الذي يعلم السر وأخفىٰ من السر، فهو يعلم من الذي جاء بالتفرقة، ومن

---

(١) **الزوكرة**: لفظ يستعمله المغاربة، ومعناه عندهم: المتلبس الذي يظهر النسك والعبادة، ويبطن الفسق والفساد.

يراجع: «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» (٦ / ١٢)، مستفاد من حاشية التعليق علىٰ «طريق الهجرتين وباب السعادتين».

(٢) «طريق الهجرتين و باب السعادتين» (٨٨٩-٨٩٠).

الذي جاء باختلاف الكلمة، ومن الذي سبب هذا، وما يقوله وينتحله بعض الناس في السلفيين، فما هذا إلا صد عن سبيل الله، ورمي للسلفيين بما ليس فيهم، والخصومة بيننا وبين الحزبيين بين يدي الله؛ لابد أن نجتمع في الخصومة نحن وإياهم، والله ﷻ يقول: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج:١٩].

نسأل الله أن يوفق المسلمين لما يحب ويرضىٰ، وأن يكفيهم شر هؤلاء الحزبيين، الذين يَضلون ويُضلون، ونسأل الله أن يعين أهل المنهج السلفي علىٰ الصبر، وعلىٰ التمسك بدينهم، الدين الحق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم»[1].

وعلىٰ هذا الأساس سيكون رد تهمة أهل التمييع لمشايخ الدعوة السلفية، من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن المنهاج الذي عليه مشايخ أهل الدعوة السلفية يمثل دعوة الإسلام الحقيقي الذي عليه خير الناس من أهل القرون الثلاثة المفضلة، المتميزة بالاتفاق، والاعتصام، والهدىٰ، والاجتماع ، لأجل أنها مشت علىٰ صراط واحد، لا تعدد فيه، فامتثلت أمر ربها ﷻ القائل: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) «الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية» (ص٢٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «أنه لم يكن في القرون أكمل من قرن الصحابة، فليس في الطوائف بعدهم أكمل من اتباعهم، فكل من كان للحديث والسنة وآثار الصحابة أتبع كان أكمل، وكانت تلك الطائفة أولىٰ بالاجتماع، والهدىٰ، والاعتصام بحبل الله وأبعد عن التفرق والاختلاف والفتنة، وكل من بَعُدَ عن ذلك كان أبعد عن الرحمة وأدخل في الفتنة»[1].

ولهذا لم يلح في عهد المجتمع الفاضل أي رائحة من روائح التفرق في الدين، التي تحمل معها رياح الفتن والقلاقل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «والصحابة رضي الله عنهم كانوا أقل فتنًا من سائر من بعدهم، فإنه كلما تأخر العصر عن النبوة كثر التفرق والخلاف، ولهذا لم تحدث في خلافة عثمان بدعة ظاهرة، فلما قتل وتفرق الناس حدثت بدعتان متقابلتان: بدعة الخوارج المكفرين لعلي، وبدعة الرافضة المدعين لإمامته وعصمته أو نبوته أو إلهيته، ثم لما كان في آخر عصر الصحابة في إمارة ابن الزبير، وعبد الملك، حدثت بدعة المرجئة، والقدرية، ثم لما كان في أول عصر التابعين في أواخر الخلافة الأموية حدثت بدعة الجهمية المعطلة، والمشبهة الممثلة، ولم يكن علىٰ عهد الصحابة شيء من ذلك»[2].

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (٦ / ٣٦٨)، وينظر ما سبق في مقدمة الكتاب.

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٦ / ٢٣١).

وقال العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله تعالىٰ-:

«فالقرون المفضلة انقرضت ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر بعدهم في العقائد، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه عليه، ولا يقبل خلافه»[1].

فمن هذا، نخلص إلىٰ شيئين:

أ- أن الذي جاء بالافتراق، والعداوة، والبغضاء، والفتن بين المسلمين، وانشقاق الكلمة، وتفتيت وحدته، وقتل روحه، إنما ذلك من أصحاب الأهواء، والضلالة من أمثال المعتزلة، والخوارج، والجهمية، والمرجئة، والأشاعرة، والإخوان المسلمين، والأحباش، وجماعة التبليغ، والقطبية، والسرورية، والحدادية، والمميعة، وغيرهم، وهذه الأمراض القاتلة لجسد الأمة، سببها إنما يعود إلىٰ البعد عن الإسلام النقي الصافي، ولذلك حذر ربنا ﷻ عباده من التفرق، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١١٩]. وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ [الروم:٣١-٣٢].

قال العلامة الشاطبي -رحمه الله تعالىٰ-: «ومعنىٰ: صاروا شيعًا؛ أي: جماعات بعضهم قد فارق البعض، ليسوا علىٰ تآلف، ولا تعاضد، ولا تناصر، بل علىٰ ضد ذلك؛ فإن الإسلام واحد وأمره واحد، فاقتضىٰ أن يكون حكمه

---

(١) «شرح كشف الشبهات ويليه شرح الأصول الستة» (ص ١٢١-١٢٤).

علىٰ الائتلاف التام لا علىٰ الاختلاف، وهذه الفرقة مشعرة بتفرق القلوب المشعر بالعداوة والبغضاء، ولذلك قال: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران:١٠٣].

فبين أن التآلف إنما يحصل عند الائتلاف علىٰ التعلق بمعنىٰ واحد، وأما إذا تعلق كل شيعة بحبل غير ما تعلقت به الأخرىٰ فلابد من التفرق، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]» [(١)].

ب- خطورة الفرقة في الدين، وأنها مرتبطة بالبدع المذمومة الحادثة في الإسلام.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالىٰ-: «البدعة مقرونة بالفُرقة، كما أن السنة مقرونة بالجماعة، فيقال: أهل السنة والجماعة، كما يقال: أهل البدعة والفرقة» [(٢)].

ويقول العلامة الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «الفتنة والشبه، إنما جاء بها أهل البدع والأهواء، والدعوة إلىٰ الله وإلىٰ كتاب الله والتمسك بالكتاب والسنة هي دعوة تجمع الأمة كلها؛ الفتن والافتراق والخلافات التي جاءت كلها عن طريق أهل الباطل، وأهل الفتن» [(٣)].

---

(١) «الاعتصام» (٣/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) «الاستقامة» (١/ ٤٢)، وينظر: «الاعتصام» (١/ ٢٠٦).

(٣) «كشف الستار عما تحمله بعض الدعوات من أخطار» (ص٢٦).

الوجه الثاني: أن هذا الضرب قد خذلوا عن اتباع منهج السلف في مواقفهم الشامخة ضد أهل البدع والضلالة، فهم اليوم يحاربون ما كانوا يقررونه أمس.

وقد صدق عامر بن عبد الله حينما قال: «ما ابتدع رجل بدعة إلا أتىٰ غدًا بما كان ينكره اليوم» (١).

ومثل هذا الحال منهم نحو الفتن، يعد قاصمة لظهورهم؛ لأنها عملت علىٰ فضحهم، وأبانت عن مدىٰ تمكن شُبه أهل الباطل من قلوبهم، وأنهم أهل تلون وتقلب، وهكذا هي شأن الفتن وطبيعتها.

قال مطرف -رحمه الله تعالىٰ-: «إن الفتنة لا تجيء حين تجيء لتهدي، ولكن لتقارع المؤمن عن نفسه» (٢).

وقال الإمام الآجري -رحمه الله تعالىٰ- في وصف الفتنة: «فإن الفتنة يفتضح عندها خلق كثير، ألم تسمع إلىٰ قول النبي ﷺ، وهو محذر أمته الفتن؟، قال: **(يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا، ويصبح كافرًا)**» (٣).

وقال العلامة ابن بطة العكبري -رحمه الله تعالىٰ-: «فإن هذه الفتن والأهواء قد فضحت خلقًا كثيرًا، وكشفت أستارهم عن أحوال قبيحة؛ فإن أصون الناس لنفسه أحفظهم للسانه، وأشغلهم بدينه، وأتركهم لما لا يعنيه» (٤).

---

(١) «الشرح والإبانة علىٰ أصول السنة والديانة» لابن بطة العكبري (رقم٨٢).
(٢) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٧ / ١٤٢).
(٣) «الشريعة» (١ / ٣٩٢-٣٩٣).
(٤) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (٢ / ٥٩٦).

وبعكس ذلك؛ فإن أهل الحق اتصفوا بالثبات واليقين، والصبر علىٰ المبادئ أمام حوالك الفتنٰ، وصنوف المحن.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ومما يميز أهل الحديث عن غيرهم، ثباتهم علي مبادئهم عند المحن والفتن، فما يعلم أحد من علمائهم، ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله، واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبرًا علىٰ ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة»[1].

ونصل بهذا إلىٰ تقرير أمرين مهمين:

أ- خطر مضلات الفتن، التي من آثارها المدمرة الانحراف عن المبادئ، والثوابت، مثلما حصل لكثير من أناس كانوا علىٰ السنة فآل بهم الحال مع المميعة والحدادية المنحرفين، وطوائف أهل البدع الحركيين.

فإذا علم البصير العاقل هذا؛ فما عليه إلا بالمسارعة بركوب قارب النجاة، المتمثل في مجانبة الفتن، والفرار منها إذا أطلت بقرونها، ومن فعل ذلك، فهو ممن حَظِيَ بالأمن والإيمان والحياة الطيبة السعيدة، ودليل هذا ما ورد عن جبير بن نفير قال: جاءنا المقداد بن الأسود لحاجة له، فقلنا: اجلس عافاك الله حتىٰ تطلب حاجتك، قال: العجب من قوم مررت بهم آنفًا يتمنون

---

(١) «الفتاوىٰ» (٤/ ٥١).

الفتنة يزعمون ليبتليهم الله فيها بما ابتلىٰ رسوله ﷺ وأصحابه، وايم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن السعيد لمن جنب الفتن**،-يرددها ثلاث مرات-، **ولَمَن ابتلي فصبر**»[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن استقرأ أحوال الفتن التي تجري بين المسلمين، تبين له أنه ما دخل فيها أحد، فحمد عاقبة دخوله، لما يحصل له من الضرر في دينه ودنياه، ولهذا كانت من باب المنهي عنه، والإمساك عنها من المأمور به الذي قال الله فيه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]»[(٢)].

ب- خطر المفتون في دينه، وقد درج أئمة السلف المرضيين، من التحذير من المفتونين في دينهم.

فعن سفيان بن دينار التمار قال: «سمعت مصعب بن سعد يقول: لا تجالس مفتونًا؛ فإنه لن يخطئك منه إحدىٰ اثنتين، إما أن يفتنك فتتابعه، وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه»[(٣)].

وعن أيوب قال: كان أبو قلابة يقول: «لا تجالسوا أهل الأهواء،

---

(١) أخرجه أبو داود في«السنن» (رقم٤٢٦٣- مختصرًا)، والطبراني في«المعجم الكبير» (٢٠/ ٢٥٢-٢٥٣ اللفظ له)، وفي «مسند الشاميين» (رقم٢٠٢١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم٩٧٥).

(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٤١٠).

(٣) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (٢ / ٤٤٢).

ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما تعرفون»[١].

وجاء كذلك عن عمرو بن قيس قال: «كان يقال: لا تجالس صاحب زيغ، فيزيغ قلبك»[٢].

قال الإمام العلامة ابن بطة -رحمه الله تعالىٰ-: «فالله الله إخواني، احذروا مجالسة من قد أصابته الفتنة فزاغ قلبه، وعشيت بصيرته، واستحكمت للباطل نصرته، فهو يخبط في عشواء، ويعشو في ظلمة، أن يصيبكم ما أصابهم، فافزعوا إلىٰ مولاكم الكريم فيما أمركم به من دعوته، وحضكم عليه من مسألته، فقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨] »[٣].

الوجه الثالث: أن المنهج السلفي الذي عليه مشايخ الدعوة السلفية، نعم يفرق!!، لكن بين الحق والباطل، وبين السنة وأهلها، والبدعة وأهلها، وهذا مثاله ما حدث علىٰ أرض أفغانستان من معارك طاحنة بين الجماعات الإسلامية.

قال العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله تعالىٰ-: «إن

---

(١) المصدر السابق نفسه (٢ / ٤٣٧).

(٢) المصدر السابق نفسه (٢ / ٤٣٦).

(٣) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (١ / ٢٦١).

التعاون مع أهل البدع هو الذي ميَّع الدعوة، وهو الذي جعل أفغانستان مجزرة المسلمين بسبب أنهم كانوا خليطًا، فهذا حزبي، وهذا صوفي، وهذا إخواني، فلابد من تميُّز، وابتعاد عن كلِّ مبتدع، فالذي ننصح به هو الابتعاد عنهم، فهم من ذوي الزيغ ، كما قال أبو قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء والبدع، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

وقد رأيت أن الذي يقسم ظهور المبتدعة أمرين:

الأمر الأول: الجرح والتعديل.

الأمر الثاني: التميز؛ أي: الانفصال عنهم، فلا يجالسون، ولا يحضر محاضراتهم» [(١)].

وما عليه أصحاب المنهج السلفي من تمسكهم بأصل المجانبة والتميز عن أهل الأهواء، إنما حصل بتوفيق الله تعالىٰ لهم لقفو المحجة البيضاء، المنبنية علىٰ أساس العلم الصحيح، ومعرفة ما يضاده.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن لم يعرف حقيقة الإسلام الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه، وما في طرائق الناس مما يوافق ذلك وما يخالفه؛ لم يحصل له الفرقان الإلهي النبوي المحمدي، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور» [(٢)].

---

(١) «نبذة مختصرة من نصائح العلامة مقبل» (ص٦١) لأم عبد الله بنت الشيخ مقبل الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «الرد علىٰ الشاذلي» (ص١٠٨).

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله تعالىٰ-: «فكلما كان تمييز العبد وفرقانه أتم، كان حاله أكمل، وسيره أصح، وطريقه أقوم، وأقرب»[(١)].

وهذا يتبين بأمرين:

الأمر الأول: الموافقة لواقع دعوة النبي ﷺ، كما يدل عليه حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «**جاءت ملائكة إلىٰ النبي ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلًا فاضربوا له مثلًا، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: مثله كمثل رجل بنىٰ دارًا، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا، فمن أجاب الداعي دخل الدار، وأكل من المأدبة، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة، فقالوا: أوِّلوها له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمدًا ﷺ، فقد أطاع الله، ومن عصىٰ محمدًا ﷺ، فقد عصىٰ الله، ومحمد ﷺ فرق بين الناس**»[(٢)].

قال العلامة ملا علي القاري -رحمه الله تعالىٰ-: «ومحمد فرق بين الناس: روي مشددًا علىٰ صيغة الفعل، ومخففًا علىٰ المصدر، كذا قاله الطيبي، وقال

---

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص ٤٨٢)، ولينظر: «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤ / ٢٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (رقم ٦٨٥٢).

السيد جمال الدين: مصدر وصف به للمبالغة؛ أي: فارق بين المؤمن، والكافر، والصالح، والفاسق»[١].

وكذلك جاء عن جبير بن نفير قال: «جلسنا إلىٰ المقداد بن الأسود يومًا فمر به رجل، فقال: طوبىٰ لهاتين العينين اللتين رأتا رسول الله ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشهدنا ما شهدت، فاستغضب، فجعلت أعجب، ما قال إلا خيرًا!

ثم أقبل إليه، فقال: ما يحمل الرجل علىٰ أن يتمنىٰ محضرًا غيبه الله عنه، لا يدري لو شهده كيف كان يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ، أقوام أكبهم الله علىٰ مناخرهم في جهنم لم يجيبوه، ولم يصدقوه، أولَا تحمدون الله، إذ أخرجكم تعرفون ربكم، مصدقين لما جاء به نبيكم ﷺ، قد كفيتم البلاء بغيركم؟

والله، لقد بعث النبي ﷺ علىٰ أشد حال بعث عليها نبي من الأنبياء، وفترة وجاهلية ما يرون أن دينًا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالد وولده، حتىٰ إن كان الرجل ليرىٰ ولده أو والده أو أخاه كافرًا، وقد فتح الله قفل قلبه للإيمان يعلم أنه إن هلك دخل النار، فلا تقر عينه وهو يعلم أن حبيبه في النار، وأنها التي قال الله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان:٧٤] الآية»[٢].

---

(١) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (١ / ٤٩٦).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦ / ٢)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٢٨٢٣).

قال العلامة الإمام الألباني -رحمه الله تعالىٰ-: «ليتأمل في هذه الكلمة الرائعة من هذا الصحابي الجليل المعبرة تمام التعبير عن حقيقة دعوة النبي ﷺ، من يقول من الأحزاب الإسلامية الذين تجلت لهم صحة الدعوة السلفية بالرجوع إلىٰ الكتاب والسنة، وعلىٰ منهج السلف الصالح، يقولون بلسان الحال، وبعضهم بلسان المقال: إنها دعوة حق، ولكنها تفرق، ونحن اليوم بحاجة إلىٰ التجمع، والتكتل!

فنقول: علىٰ ماذا؟! علىٰ خليط سلفية صوفية، وسنية شيعية؟! فهل من معتبر بما كان عليه قائدنا محمد ﷺ؟!»[1].

الأمر الثاني: وهو حصول الفرقان لهم، وهو العلم والهدىٰ الذي يفرق به صاحبه بين الهدىٰ والضلال، والحق والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة[2]، والفتن عامة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩].

فأوضحت هذه الآية الكريمة أن أساس الفرقان لكل ما سبق، إنما يرجع إلىٰ التحلي بتقوىٰ الله تعالىٰ.

قال بكر المزني -رحمه الله تعالىٰ-: «لما كانت فتنة ابن الأشعث، قال طلق بن حبيب: اتقوها بالتقوىٰ، فقيل له: صف لنا التقوىٰ، فقال: العمل

---

(١) «صحيح موارد الظمآن» (٢/ ١٣٠).

(٢) «تفسير السعدي» (ص ٣١٩).

بطاعة الله، علىٰ نور من الله، رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله، علىٰ نور من الله، مخافة عذاب الله».

قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبدع وأوجز، فلا تقوىٰ إلا بعمل، ولا عمل إلا بترو من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا ليقال: فلان تارك للمعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلىٰ معرفتها، ويكون الترك خوفًا من الله، لا ليمدح بتركها، فمن دوام علىٰ هذه الوصية فقد فاز»[1].

وهذا الفرقان إنما تحقق لأهل الحق بالإخلاص لله تعالىٰ، وصدق المتابعة للنبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «فمن كان أعظم اتباعًا لكتابه الذي أنزله ونبيه الذي أرسله؛ كان أعظم فرقانًا، ومن كان أبعد عن اتباع الكتاب والرسول، كان أبعد عن الفرقان، واشتبه عليه الحق بالباطل كالذين اشتبه عليهم عبادة الرحمن بعبادة الشيطان، والنبي الصادق بالمتنبئ الكاذب، وآيات النبيين بشبهات الكذابين، حتىٰ اشتبه عليهم الخالق بالمخلوق»[2].

وأيضًا مما يعطيه الله تعالىٰ للمتقي: الفراسة الصائبة، التي أصلها من الحياة والنور اللذين يهبهما الله تعالىٰ لمن يشاء من عباده، فيحيا القلب

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٤ / ٦٠١).

(٢) «الفتاوىٰ» (١٣ / ٦).

بذلك ويستنير[١]، قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

وهذه الفراسة إنما يختص بها فقط أفراد من الناس، كما يدل عليه حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عبادًا يعرفون الناس بالتوسم**»[٢].

وممن عرف بالفراسة من هذه الأمة الخليفة الراشد أبو بكر الصديق ﷺ، فقد كان أعظم الأمة فراسة، وبعده عمر بن الخطاب ﷺ، وكذلك عثمان بن عفان ﷺ، وتعد فراسة الصحابة ﷺ أصدق الفراسة[٣].

وكذلك من بعدهم من أئمة السلف، وهي علىٰ ضربين:

أ- التفرس بحال الرجل، وذلك بحسب أقواله، وأفعاله، وأحواله.

كما ورد عن سفيان قال: «رأىٰ الحسن أيوب، فقال: هذا سيد شباب أهل البصرة، قال: ورأىٰ عمرو بن عبيد يومًا، فقال: هذا سيد فتيان البصرة، إن لم يحدث، فكان من أمره من القدر ما كان، حتىٰ هجره عامة إخوانه»[٤].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٢).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (رقم٦٩٣٥)، والطبري في«تفسيره» (١٧/ ١٢١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (رقم ٢٩٣٥)، وأبو الفضل الزهري في حديثه (رقم١٢٠)، والحديث حسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١/ ١٧٠)، والشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم١٦٩٣).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٤) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٦٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٧٠)، وابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٨/ ٧١).

وعن عبد الوهاب بن همام أخو عبد الرزاق بن همام قال: «كنت عند معمر، وكان خاليًا فقال: يختلف إلينا في طلب العلم من أهل اليمن أربعة: رباح بن زيد، ومحمد بن ثور، وهشام بن يوسف، وعبد الرزاق بن همام، فأما رباح فخليق أن تغلب عليه العبادة فينتفع بنفسه ولا ينتفع به الناس، وأما هشام فخليق أن يغلب عليه السلطان، وأما ابن ثور فكثير النسيان قليل الحفظ، وأما ابن همام، فإن عاش فخليق أن تضرب إليه أكباد الإبل، قال محمد بن أبي السري: فوالله لقد أتعبها»[١].

ب- التفرس بالفتن.

كما جاء في وصف الإمام أيوب السختياني للتابعي الجليل الحسن البصري -رحمهما الله تعالىٰ-، قال: «كان الحسن يبصر من الفتنة إذا أقبلت، كما نبصر نحن منها إذا أدبرت»[٢].

وعن الفضيل بن عياض -رحمه الله تعالىٰ- قال: «ليس موت أحد أعز علينا من موت الرشيد لما أتخوف بعده من الحوادث، وإني لأدعو الله أن يزيد في عمره من عمري».

قالوا: «فلما مات الرشيد، وظهرت تلك الفتن والحوادث والاختلافات، وظهر القول بخلق القرآن، فعرفنا ما كان تخوفه الفضيل من ذلك»[٣].

---

(١) «تاريخ دمشق» (٣٦/ ١٧٢-١٣٧)، و«تهذيب الكمال» (١٨ / ٥٧).

(٢) «المجالسة وجواهر العلم» (٦/ ٨٦-٨٧).

(٣) «البداية والنهاية» (١٤/ ٤٥).

وكذلك فراسة علماء عصرنا اليوم؛ عصر الفتن، فليست بخافية علىٰ أحد من أهل المنهج السلفي، وما اتسموا به من الفراسة الصائبة، والبصيرة النافذة ، إزاء ما يحاك للأمة من مكر، وكيد، والدفع بها عن طريق المغرضين إلىٰ معترك الشرور والمحن، فلهم القدح المعلىٰ، واليد الطولىٰ خاصة في ظل النزوات الثورية، والاضطربات السياسية، وما يرفع فيها من شعارات مؤنقة، ظاهرها جميل، وباطنها فيها العذاب الوبيل.

وكذلك فراستهم بمسالك الدعاة، وتمييزهم بين الصادقين، والكاذبين، ومن هذا فراسة الإمام ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-، وما تميز به من الفراسة الحادة في كشف أهل الأهواء المخادعين، كما شهد له بذلك علماء عصرنا.

ومنهم الإمام المحدث مقبل الوادعي -رحمه الله تعالىٰ-؛ حيث قال: «من أبصر الناس بالجماعات وبدخن الجماعات في هذا العصر الأخ الشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله-، من قال له ربيع بن هادي إنه حزبي فسينكشف لكم بعد أيام إنه حزبي، ستذكرون ذلك، فقط الشخص يكون في بدء أمره متسترًا ما يحب أن ينكشف أمره، لكن إذا قوي وأصبح له أتباع، ولا يضره الكلام فيه أظهر ما عنده، فأنا أنصح بقراءة كتبه والاستفادة منها-حفظه الله تعالىٰ-»[1].

---

(١) شريط: «الأسئلة السنية لعلامة الديار اليمنية، أسئلة شباب الطائف».

وقال أيضًا: «... فهو آية من آيات الله في معرفة الحزبيين»[(١)].

فظهر بهذه الأوجه الثلاثة، وهاء فرية رمي المميعة للسلفيين بالتمزيق للصف السلفي، وأن المسلك الذي يسير عليه أهل المنهج السلفي إنما هو من يمثل بحق جادة السلف الهداة، المتسم بالنقاوة، والبراءة من الإحداث والافتراق، عكس ما يتميز به أهل الأهواء والبدع.

قال العلامة ابن رجب -رحمه الله تعالىٰ-: «وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة فبسببها تفرق أهل القبلة، وصاروا شيعًا، وكفر بعضهم بعضًا، وصاروا أعداء وفرقًا وأحزابًا، بعد أن كانوا إخوانًا قلوبهم علىٰ قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه الفرق إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: **(لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين علىٰ الحق، لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله وهم علىٰ ذلك)**»[(٢)].

فمن هذا كله يتبين لكل منصف عاقل بطلان مسلك المميعة المثبطين، المقترن بالسبيل المشين؛ سبل الضلالات والبدع الصادة عن الصراط المستقيم، والمحاربة لأهل دعوة الحق القويم.

قال الشيخ العلامة أحمد النجمي رحمه الله محذرًا من مسلك هذا الضرب:

---

(١) «تحفة المجيب علىٰ أسئلة الحاضر والغريب» (ص١٦٠).

(٢) «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة، مجموع رسائل ابن رجب» (١ / ٣١٩)، والحديث سبق تخريجه (ص٥).

«لكن مثل هؤلاء الدعاة الذين يزعمون أنهم دعاة؛ وهم يثبطون عن المنهج السلفي، ويدعون إلىٰ الحزبيات؛ هؤلاء يجب ذكرهم؛ لأن الناس يغترون بهم»[1].

❀❀❀

(١) «الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية» (ص١٢٠).

الخاتمة
وصايا مهمة

أيها القارئ الكريم -ثبتنا الله وإياك علىٰ الإسلام والسنة- فهذه وصايا مهمة أقدمها لك، والتي تهدف إلىٰ الكشف عن مسالك المنحرفين، ودساس الخناسين، ممن احترفوا اللصوصية، والكيد لأهل الدعوة السلفية، وخاصة طلائع شباب الأمة الأغرار، كما تبين واجبك الشرعي نحوهم، وهي كالآتي:

أولًا: مجانبتهم، وإن أظهروا لك التزيي بزي السلفية وادعاء السلفية [١]، فإياك من أن تغتر بهم، لأجل أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة [٢]، وكلمات أئمة السلف في التحذير من هذا الصنف كثيرة، فمن ذلك:

أ- **يقول مفضل بن مهلهل**: «لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعته حذرته، وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك فمتىٰ تخرج من قلبك»[٣].

---

(١) انظر: «المجموع» للشيخ ربيع (١/ ٤٥٤).

(٢) انظر: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١).

(٣) «الإبانة الكبرىٰ» لابن بطة (رقم ٣٩٤).

ب- **عن معمر قال:** «كان ابن طاوس جالسًا، فجاء رجل من المعتزلة، فجعل يتكلم قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه قال: وقال لابنه: أي بني، أدخل إصبعيك في أذنيك واشدد ولا تسمع من كلامه شيئًا، قال معمر: يعني أن القلب ضعيف» (١).

ج- **عن عبد الرزاق قال:** «قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيىٰ: أرىٰ المعتزلة عندكم كثيرًا، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتىٰ أكلمك، قلت: لا، قال: لِم؟ قلت: لأن القلب ضعيف، والدين ليس لمن غلب» (٢).

د- **عن سلام بن أبي مطيع أن رجلًا من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني:** «يا أبا بكر، أسألك عن كلمة، قال أيوب -وجعل يشير بإصبعيه-: ولا نصف كلمة، ولا نصف كلمة» (٣).

قال الإمام أبي عثمان الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرت في القلوب

(١) المصدر السابق نفسه (٢ / ٤٤٦).

(٢) المصدر السابق نفسه (٢ / ٤٤٦).

(٣) المصدر السابق نفسه (٢ / ٤٤٧).

ضرت، وجرت إليها الوساوس والخطرات الفاسدة، وفيه أنزل الله ﷻ قوله: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ﴾ [الأنعام:٦٨]» [(١)].

وقال الإمام ابن بطة -رحمه الله تعالىٰ-: «ومن السنة مجانبة كل من اعتقد شيئًا مما ذكرناه، وهجرانه، والمقت له، وهجران من والاه ونصره، وذب عنه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة» [(٢)].

قال العلامة الشيخ ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ- معلقًا: «انظر إلىٰ كلام هذا الإمام، ومنه قوله: «وهجران من والاه ونصره وذب عنه وصاحبه، وإن كان الفاعل لذلك يظهر السنة»، واعتبر به وقارن بين ما يجري في هذا الزمن من بعد كثير من المنتسبين إلىٰ السنة عن هذا المنهج، بل من محاربتهم لمن يقترب من هذا المنهج ورميهم بالتشدد والغلو، فهذا الصنف المشار إليه المنزل فوق منزلته، بدل أن يحذروا من أهل البدع، ويعاملوهم بما ذكر هذا الإمام أنه من السنة سلكوا طريقًا أو طرقًا أخرىٰ من موالاة أهل البدع والذب عنهم، ومحاربة أهل السنة السالكين في معاملة أهل البدع مسلك السلف الصالح.

ألا يحق للمسلم أن يحكم علىٰ هؤلاء الذابين عن أهل البدع، بل

---

(١) «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص٢٩٨-٢٩٩).

(٢) «الشرح والإبانة» (ص ٢٦٢).

والمؤصلين للذب عنهم ولحرب أهل السنة، وأصولهم بما يستحقونه من الأحكام العادلة ؟»[١].

والحكم العادل، والدواء الناجع، فيمن هكذا حاله هو ما أرشد إليه العلامة الشيخ أحمد بن يحيىٰ النجمي -رحمه الله تعالىٰ- بقوله: «...إذا ظهر من أحد من أصحاب المنهج السلفي، يعني ممن ينتمون إليه بشيء من المخالفات نصحوه؛ فإن أبىٰ أن يرجع إلىٰ الحق رفضوه، وتركوه، وأنكروا عليه، وقطعوه من الجسم السلفي كالعضو الذي فسد فقطعه صاحبه استبقاء لسائر الجسم»[٢].

ثانيًا: لا تغتر بتبجح كثير من الحدادية أو المميعة وجميع المنحرفين بما يظهرون من أحوال يجتذبون بها الناس، والحقيقة أنها من الطرائق الخطيرة، التي عن طريقها ينفثون بها سموم أفكارهم الخبيثة، ومن هذه الأحوال ما يلي:

أ- التظاهر بصحبة العالم المعروف بالمنهج السلفي، وهم في حقيقة الأمر بخلاف ذلك[٣].

---

(١) «بيان ما في نصيحة إبراهيم الرحيلي من الخلل والإخلال» (ص ٧٥).

(٢) «الفتاوىٰ الجلية عن المناهج الدعوية» (١/ ١٧٩).

(٣) يراجع: المطلب الأول من الصفة الأولىٰ لصفات الحدادية: المكر والكيد لأهل الدعوة السلفية.

قال العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالىٰ- في تلميذه محمود الطحان: «ومن عجائب الدنيا أن الطحان هذا يعتبر من تلامذتي الذين كانوا يحضرون دروسي في حلب، وبها أمكنه الانتماء إلىٰ الجامعة الإسلامية طالبًا، وأنا الذي زكيته لها فقُبل، حتىٰ تخرَّج ثم صار مدرسًا فيها، ثم «جزاني جزاء سنمار»، ولله في خلقه شئون» (١).

ب- سعة المحفوظات، والتقدم في بعض فنون العلم.

يقول الإمام الحافظ السجزي -رحمه الله تعالىٰ-: «...ومن زاغ عن الطريقة وفاوض أهل البدع والكلام، وجانب أهل الحديث وأهله استحق الهجران والترك، وإن كان متقدمًا في تلك العلوم» (٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا كان السلف يعدون كل من خرج عن الشريعة في شيء من الدين من أهل الأهواء، ويجعلون أهل البدع هم أهل الأهواء، ويذمونهم بذلك، ويأمرون بألا يغتر بهم، ولو أظهروا ما أظهروه من العلم والكلام، والحجاج، أو العبادة، والأحوال» (٣).

وقال شيخنا العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «فلا يجوز الأخذ

---

(١) منقول من خط الشيخ علىٰ واجهة كتاب: «أصول التخريج ودراسة الأسانيد»، بواسطة: منتديات التصفية والتربية السلفية.

(٢) «رسالة السجزي إلىٰ أهل زبيد في الرد علىٰ من أنكر الحرف والصوت» (ص ٣٣٢).

(٣) «الاستقامة» (ص١٩٢).

عن الجهال، ولو كانوا متعالمين، ولا الأخذ عن المنحرفين في العقيدة بشرك أو تعطيل، ولا الأخذ عن المبتدعة والمنحرفين، وإن سُمُّوا علماء»[١].

ج- فرط الذكاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «قد يكون الرجل من أذكياء العالم، وأحدِّهم نظرًا، ويُعميه الله عن أظهر الأشياء، وقد يكون من أبلد الناس وأضعفهم نظرًا، ويهديه الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه، فلا حول ولا قوة إلا به، فمن اتكل علىٰ نظره واستدلاله، أو عقله، ومعرفته، خذل»[٢].

وقال العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله تعالىٰ-: «وكثير من الناس يغترون بما عندهم من المعرفة والذكاء!! فيخالطون أهل البدع ويعاشرونهم، فيكلهم الله إلىٰ أنفسهم فيقعون في الضلال»[٣].

وهذان مثالان ينكشف بهما حقيقة مثل هذا النوع:

١- أبو الحسن أحمد بن يحيىٰ بن إسحاق الريوندي الملحد، عدو الدين، كان ذكيًّا من الأذكياء، فهل نفعه ذكاؤه؟!

قال عنه الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادة مع التقوىٰ»[٤].

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص١٥٥).

(٢) «درء تعارض العقل و النقل» (٩/ ٤٣).

(٣) «المجموع» (٢/ ٣٦٨).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤ / ٦٢).

٢- علماء أهل الكلام، اتصفوا بقوة الذكاء، وسعة الفهوم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ- في وصفهم: «أوتوا ذكاء، وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهومًا، وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعًا وأبصارًا وأفئدة: ﴿فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦].

ومن كان عليمًا بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه، وذموا أهله وعابوهم، وعلم أن من ابتغىٰ الهدىٰ في غير الكتاب والسنة، لم يزدد من الله إلا بعدًا»[(١)].

د- إظهارهم الاستشهاد بنصوص الآيات والسنة.

يقول المفضل بن مهلهل -رحمه الله تعالىٰ-: «لو كان صاحب البدعة إذا جلست إليه يحدثك ببدعة حذرته، وفررت منه، ولكنه يحدثك بأحاديث السنة في بدو مجلسه، ثم يدخل عليك بدعته، فلعلها تلزم قلبك، فمتىٰ تخرج من قلبك»[(٢)].

هـ- تبجحهم بوفرة ما عندهم من الكتب، يصدق عليهم قول الشاعر:

زوامل للأشعار لا علم عندهم ... بجيِّدها إلا كعلم الأباعرِ

لعمرك ما يدرىٰ البعيرُ إذا غدَا ... بأوساقه أو راح ما في الغرائرِ

---

(١) «الفتاوىٰ» (٥ / ١١٩-١٢٠).

(٢) «الإبانة الكبرىٰ» (رقم٣٩٩).

قال الإمام إسماعيل الأصبهاني -رحمه الله تعالىٰ-: «وليس العلم بكثرة الرواية، وإنما هو الاتباع والاستعمال، يقتدىٰ بالصحابة والتابعين وإن كان قليل العلم، ومن خالف الصحابة والتابعين فهو ضال، وإن كان كثير العلم»[(١)].

وقال الإمام البربهاري -رحمه الله تعالىٰ-: «واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة، وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة، فهو صاحب بدعة، وإن كان كثير الرواية والكتب»[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد أوعبت الأمة في كل فن من فنون العلم إيعابًا، فمن نوَّر الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالًا ؛ كما قال النبي ﷺ لأبي لبيد الأنصاري: (**أوَليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارىٰ؟، فماذا تغني عنهم؟**)»[(٣)].

و- دعواهم الخبرة لقضايا الأمة الإسلامية، وبالتالي افتئاتهم علىٰ العلماء الربانيين، وهذا الضرب قد عم بهم الوباء، وكثر بسببهم البلاء، يصدق عليهم ما ذكره العلامة ابن حزم رحمه الله عن أشكال زمانه بقوله: «... ولاسيما إذا طول

---

(١) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٦٩).

(٢) «شرح السنة» (ص ٤٥).

(٣) «الفتاوىٰ» (١٠/ ٦٦٥)، والحديث أخرجه الترمذي (رقم٢٦٥٣- ٢٦٥٣)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح وضعيف سنن الترمذي»، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

الأردان، وأرخىٰ الذوائب الطويلة وراءه كذنب الأتان، وهذر باللسان، وخلا له الميدان الطويل من الفرسان:

فلو لبس الحمار ثياب خزٍّ لقال الناس: يا لك من حمارِ!

وهذا الضرب إنما يستفتون بالشكل لا بالفضل، وبالمناصب لا بالأهلية، قد غرهم عكوف من لا علم عنده عليهم، ومسارعة أجهل منهم إليهم»[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالىٰ-: «وقد قال بعض الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي؛ هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان»[(٢)].

وقال العلامة الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله تعالىٰ-: «...الآن رءوس جهال يتكلمون بأحكام الشريعة، ويوجهون الناس ويحاضرون ويخطبون، وليس عندهم من العلم والفقه شيء، إنما عندهم تهريج، وتهييج، قال فلان، وقال فلان، شغلوا الناس بالقيل، والقال، وهذا مصداق ما أخبر به النبي ﷺ: **«اتخذ الناس رءوسًا جهالًا»**[(٣)].

ومع الأسف يسميهم الناس علماء،-ولا حول ولا قوة إلا بالله- في حين

---

(١) «الإحكام» (٦/ ٧٧).

(٢) «الفتاوىٰ» (٥/ ١١٨- ١١٩).

(٣) سبق تخريجه (ص٧).

لو تسأله عن نازلة من النوازل، أو حكم شرعي، فإنه لا يستطيع أن يجيبك بجواب صحيح؛ لأنه يقول: هذا ليس بعلم! العلم هو الثقافة السياسية وفقه الواقع، فحرموا العلم والعياذ بالله، نسأل الله العافية»[(١)].

خ- تقعير الكلام، والتشدق فيه، وإظهار التفاصح، والسجع المتكلف، ويعد من المسالك المذمومة في الشرع، ومن أدلة ذلك ما يلي:

١- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «قدم رجلان من المشرق خطيبان علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فقاما فتكلما، ثم قعدا، وقام ثابت بن قيس خطيب رسول الله ﷺ، فتكلم، ثم قعد، فعجب الناس من كلامهما، فقال النبي ﷺ: **«يا أيها الناس، قولوا بقولكم، فإنما تشقيق الكلام من الشيطان»**، وقال: **«إن من البيان سحرًا»** [(٢)].

قال الإمام أبو عبيد رحمه الله: «المعنىٰ أنه يبلغ من بيانه يمدح الإنسان، فيصدق فيه حتىٰ يصرف القلوب إلىٰ قوله، ويذمه فيصدق فيه، حتىٰ يصرف القلوب إلىٰ قوله الآخر، فكأنه قد سحر السامعين بذلك» [(٣)].

٢- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله يبغض**

---

(١) «الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة» (ص ١٠٥).

(٢) أخرجه أحمد في«المسند» (٢/ ٩٤)، وصححه الألباني في«صحيح الأدب المفرد» (رقم٦٧٥).

(٣) «غريب الحديث» (١ / ٢٢٨).

البليغ من الرجال، الذي يتخلل [١] **بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها**»[٢].

٣- عن أبي عثمان النهدي قال: إني لجالس تحت منبر عمر ﷺ، وهو يخطب الناس، فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أخوف ما أخاف علىٰ هذه الأمة كل منافق عليم اللسان**» [٣].

قال المناوي -رحمه الله تعالىٰ-: «أي: عالم للعلم منطلق اللسان به، لكنه جاهل القلب فاسد العقيدة يغر الناس بشقشقة لسانه فيقع بسبب اتباعه خلق كثير في الزلل» [٤].

٤- **عن أنس بن مالك ﷺ قال**: خطب رجل عند عمر، فأكثر الكلام، فقال عمر: «إن كثيرًا من الخطب من شقاشق الشيطان» [٥].

قال ابن الأثير -رحمه الله تعالىٰ-: «الشقشقة: الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل العربي من جوفه ينفخ فيها فتظهر من شدقه...شبه الفصيح المِنْطِيقَ

---

(١) تتخلل، ويجوز أن تقول: يتخلل، فتحتمل الفوقية والتحتية، وهما صحيحان من جهة اللغة العربية؛ لأن البقر اسم جنس جمعي، يجوز تذكير الفعل وتأنيثه.

(٢) أخرجه الترمذي في «سننه» (رقم٢٨٥٣)، وصححه العلامة الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ٨٧٨).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١ / ٤٤)، والضياء المقدسي في«الأحاديث المختارة» (رقم ٢٣٥)، وصححه الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة» (رقم ١٠١٣).

(٤) «فيض القدير» (١/ ٢٢١).

(٥) أخرجه البخاري في«الأدب المفرد» (رقم ٨٧٦)، وصححه العلامة الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (رقم٦٧٦).

بالفحل الهادر، ولسانه بشقشقته، ونسبها إلىٰ الشيطان لما يدخل فيه من الكذب، والباطل وكونه لا يبالي بما قال»[1].

ومما ينبه عليه بأن الفصاحة والبلاغة في عرف السلف الهداة لا تعني تقعير الكلام، وتسجيعه، وتزويقه، كما يتخيله كثير من الجهال اليوم، بل إن الأمر كما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «وليست الفصاحة التشدق في الكلام، والتقعير في الكلام، ولا سجع الكلام، ولا كان في خطبة علي ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلف الأسجاع، ولا تكلف التحسين الذي يعود إلىٰ مجرد اللفظ، الذي يسمىٰ علم البديع، كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشعر...

وإنما البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [النساء:٦٣]. هي علم المعاني والبيان، فيذكر من المعاني ما هو أكمل للمطلوب، ويذكر من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني...

إلىٰ قوله: وأما تكلف الأسجاع، والأوزان، والجناس، والتطبيق، ونحو ذلك مما تكلفه متأخرو الشعراء والخطباء والمترسلين والوعاظ، فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم، ولا كان ذلك مما يهتم به العرب، وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني، كالمجاهد الذي يزخرف السلاح وهو جبان، ولهذا يوجد الشاعر

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٤٨٩/ ٤٩٠).

كلما أمعن في المدح والهجو خرج في ذلك إلىٰ الإفراط في الكذب يستعين بالتخيلات والتمثيليات»[1].

(١) «منهاج السنة النبوية» (٤/ ٤١٣-٤١٤).

تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

فهرس الموضوعات

تقديم فضيلة الشيخ محمد بن رمزان الهاجري -حفظه الله- ٥

* **مقدمة** ٧

* **مدخل**: أهمية معرفة صفات المخالفين لدعوة أهل السنة ١٨

* **المقصد الأول: الحدادية** ٢٥

المطلب الأول: تعريف بالحداد، والحدادية، وأصولهم الفاسدة..... ٢٧

المطلب الثاني: برنامج الحدادية وما تهدف إليه..... ٣٧

المطلب الثالث: صفات الحدادية ٤٤

- **الصفة الأولى**: المكر والكيد لأهل الدعوة السلفية ٤٥

- **الصفة الثانية**: فقد الدعوة للتوحيد ومحاربة أهل الباطل ٦٢

- **الصفة الثالثة**: سوء الأخلاق ٨١

- **الصفة الرابعة**: حب الرئاسة والتصدر ٩٧

- **الصفة الخامسة**: الظلم والجهل ١٢٢

- الصفة السادسة: الانصراف عما ينفع ١٣٦
- الصفة السابعة: التشبث بالضلال ١٤٩
* المقصد الثاني: المميعة ١٥٥
المطلب الأول: تعريف بمصطلح التمييع ١٥٧
المطلب الثاني: منهج المميعة ١٦٢
المطلب الثالث: صفات المميعة ١٦٣
- الصفة الأولى: القواعد والتأصيلات البدعية ١٦٤
- الصفة الثانية: مسلك الليونة والسكوت عن أهل الضلال ١٧٣
- الصفة الثالثة: الرمي لأهل المنهج السلفي بالغلو في التجريح ١٩٢
- الصفة الرابعة: الرمي لأهل المنهج السلفي بتمزيق الصف ٢٤١
* الخاتمة: وصايا مهمة ٢٦١
الفهرس ٢٧٥